شَرْحُ مَسَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ

الَّتِي خَالَفَ فِيهَا رسُولُ اللَّهِ ﷺ أهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ

لِشيْخِ الْإِسْلامِ

مُحمّدِ بْنِ عبد الوهّابِ بْنِ سُليْمان بْنِ علِيٍّ آل مُشرّفٍ التّمِيْمِيِّ

أجْزل اللَّهُ لَهُ الْمثُوبة وَالْمغْفِرة

الشّرْحُ لِفضِيلةِ الشّيْخِ الدُّكْتُورِ

ياسِرِ بْنِ حُسيْنِ بْنِ محْمُودٍ بُرْهامِي

غفر اللَّهُ لَهُ ولِوالِديْهِ وَلأهْلِ بيْتِهِ

تحْقِيْقُ وعِنايةُ

عادِلِ بْنِ مُحمّدٍ مُرْسِي رِفاعِي

غفر اللَّهُ لَهُ ولِوالِديْهِ ولأهْلِ بيْتِهِ ولِمشايِخِهِ

الجزء الثاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْمسْألةُ الرّابِعةُ والسّبْعُون: دعْوتُهُمْ النّاس إِلَى الضّلالِ بِغيْرِ عِلْمٍ؛ قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩].

الْمسْألةُ الْخامِسةُ والسّبْعُون: دعْوتُهُمْ إِيّاهُمْ إِلَى الكُفْرِ، مَعَ العِلْمِ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

الشـــرح:

فهذان النوعان: دعوة الناس إلى الضلال بغير علم، وهذه أكثر في النصارى الضالين؛ وأما اليهود فدعوتهم: يدعون الناس إلى الكفر وهم يعلمون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. فتجد في أهل الكتاب من يدعو إلى الضلال وإلى الكفر والشرك، وهو يظن نفسه على الهدى، وكما ذكرنا «**الْمغْضُوبُ عليْهِمْ: الْيهُودُ، والضّالُّون: النّصارى**»[1]، كما قال رسول الله ﷺ.

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥٥).

فالدعوة إلى الضلال والدعوة إلى الكفر بعلم وبغير علم صفة أهل الكتاب من أهل الجاهلية، والمسلمون لابد وأن يحذروا على أنفسهم من ذلك، فلابد أن يكون من يدعو الناس يدعوهم إلى الحق، ولابد وأن يكون ذلك بعلم، ولا يدعو بجهل أبدًا، ولا يدعو إلى ما لا يعلم، بل يدعو بعلم إلى الحق، يدعو إلى الحق وهو يعلم: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

فلابد في الدعوة أن تكون على بينات، لا يجوز أن تكون دعوة إلى مجهول، إلى باطل، إلى ضلال، نعوذ بالله من ذلك، وكثير من الناس ممن ينتسب إلى الإسلام فيه شبه من اليهود وشبه من النصارى، من فسد من علمائنا فهو أشبه باليهود، ومن فسد من عبادنا فهو أشبه بالنصارى، على حسب درجة المخالفة لشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكان من فسد من علماء المسلمين، ممن يدعو الناس إلى باطل، وهو يعلم، وهذا أيضًا واقع في رؤوس الضلال من البدع المكفرة - والعياذ بالله - من الزنادقة والمنافقين، الذين يأبون دين الله عَزَّ وَجَلَّ ويرفضون الإسلام، ويدعون الناس إلى الكفر، وهم يعلمون حقيقة الأمر، من أمثال: الفلاسفة، وغلاة الرافضة، والحلولية والاتحادية، فهذه الفرق - والعياذ بالله - الخارجة من الملة، الذين يدعون الناس إلى أنواع من الكفر، وهم يعلمون حقيقة دعوتهم، أشبه اليهود المغضوب عليهم.

وأما من كان من العباد الجهال المبتدعين السائرين في طريق التقليد الأعمى، الذي قد يصل إلى الشرك، والعياذ بالله، فهو من الذين يدعون الناس إلى الضلال بغير علم، هؤلاء الضالون الذين يدعون إلى أنواع

الضلال بغير علم، فلابد وأن يكون الإنسان في طريقه إلى الله على علم وعلى عمل؛ على علم يدرك به الحق من الباطل، والسنة من البدعة، والفساد من الصلاح، لابد وأن يكون على علم، ثم لابد أن يكون عاملاً بعلمه داعيًا له، داعيًا إلى الله ﷻ على بصيرة، وليس مجرد إنسان منقاد يسير في الباطل، أو أنه يعلم الحق ولكن يدعو إلى خلافه ويعمل بخلافه، لابد وأن يكون على بينة من أمره يدعو إلى الحق ويلتزم به كذلك، وليس أنه يدعو إلى ضلال بغير علم، أو أنه يضل بغير علم، أو أنه يعلم الحق ثم يعرض عنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

فكلا الصفتين مذموم؛ الدعوة إلى الضلال بغير علم، وكذلك الدعوة إلى الضلال والكفر وهو يعلم، فكل ذلك مذموم، على حسب درجة المشابهة يكون حكم الإنسان ممن ينتسب إلى أهل الإسلام، فإذا شابههم في الدعوة إلى كفر يظن نفسه على الحق، وقد قامت عليه الحجة ببلوغ الأدلة القطعية، فهذا قد أشبه النصارى شبهًا تامًا، وصار من الضالين؛ وأما من كان داعيًا إلى الكفر، وهو يعلم بطلان ما هو عليه ويعتقد ذلك، ولكنه يدعو إلى الكفر رغبة في الدنيا، فهذا كذلك حكمه حكم اليهود المغضوب عليهم؛ أما أهل الصراط المستقيم فهم الذين يلتزمون بالحق على بصيرة، يعلمون الحق ويشهدون به ويعملون به ويدعون إليه ويدعون به، هذا هو الواجب على كل مسلم، أن يسير في حياته على بينة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

الْمسْألةُ السّادِسةُ والسّبْعُون: الْمكْرُ الكُبّارُ، كفِعْلِ قوْمِ نُوحٍ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢].

الشـــرح:

قال عن نوح عليه السلام يصف به قومه، والمكر الكبار: هو المكر الكبير، فهذا هو تخطيط السوء للنبي عليه السلام وأتباعه، ولم يزل أهل الكفر والنفاق وأهل البدع يمكرون بالليل والنهار للصد عن سبيل الله ﷻ، وصد الناس عن أهل الحق؛ أما اليهود والنصارى فقد ذكر الله ﷻ مكر اليهود بعيسى ﷺ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، مكروا به وأرادوا صلبه وقتله؛ فرفعه الله ﷻ ونجاه من شرهم، واضطهدوا أتباعه وأعوانه، وكان من مكرهم كذلك ما أدخلوا بعضهم في دين النصارى حيلة ليفسده، كما فعل بولس المسمى ببولس الرسول، الذي دخل في دين النصرانية ليفسده، وقد فعل، أفسده على كثير ممن ينتسب إلى المسيح، ويظن أنه يتبعه، مع أن المسيح عليه السلام لم يأت بما قال هذا الرجل، كل هذا من المكر السيئ، وكذلك مكرهم حين صرفوا الناس عن دعوة التوحيد، وعظموا التثليث وعظموا الصليب، وأوجبوا هذا الاعتقاد على الناس في مجامعهم التي اجتمعوا فيها، وأنكروا ما خالف هذه العقيدة الفاسدة، واضطهدوا أهلها، وأحرقوا من الأناجيل التي تتضمن خلاف عقيدتهم عشرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمشركون مكروا برسول الله ﷺ؛ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، والله سبحانه وتعالى خير الماكرين نجاه مِن شرهم، وجعل مكرهم بأنفسهم: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ

إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]. وكذلك لا يزال في كل جيل وفي كل قرية أكابر المجرمين: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

فهذا دليل على أن هذا المكر الكبير من أكابر المجرمين أمر مستمر، لا يزال أهل الظلم والطغيان والكفر والعدوان يمكرون بأهل الإسلام، والمكر هو التدبير في الخفاء، وكثيرًا ما يستعمل في معنى السوء ومعنى الظلم والعدوان، وقد يستعمل في معنى التدبير بالخير؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، لكن لابد من قرينة، فكان هذا المكر مستمرًا؛ ولذلك لابد أن يعلم أهل الإيمان حقيقة ما يدبره لهم الأعداء، ولابد وأن يحذروا من هذا المكر السيئ، والله ﷻ بيّن لهم عاقبة هذا المكر السيئ أنه يضمحل ويبور، وأنه يحيق بأهله، إذا أحسن المؤمنون التوكل على الله ﷻ، فكل تخطيط يعده أعداء الإسلام لصرف الناس عن هذا الدين، هم والكفار والمنافقون يعدون الخطط لصرف الناس عن هذا الدين، لابد وأن نتوكل على الله ﷻ في دفعه، ولابد وأن نأخذ أسباب المقدور عليها المتاحة للمسلمين في إبطال هذا المكر؛ مِن الردود الصحيحة بالأدلة الثابتة على شبهاتهم، مِن إظهار الحقيقة لما يقولون وما يعتقدون، وهذا أمر إذا كُشِف للناس انصرفوا عنهم، وكذلك من ثبات المؤمنين على دينهم، وعلمهم وعملهم بالدين من أعظم ما يؤدي إلى ثباتهم واضمحلال هذا المكر الذي قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]. فنتوكل على الله ﷻ، ونثبت على ديننا، ونثبت على ما علمنا وعلى ما نعمل به وعلى ما ندعو إليه من طاعة

الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، والحذر كل الحذر من البدع والمنكرات، التي في حقيقة الأمر هي من هذا المكر الكبار.

لو نظرنا إلى رؤوس البدع الكبرى، التي خالف أصحابها أهل السنة، لوجدنا أن من ورائها هذا المكر الكُبّار، انظر إلى أول ما وقع من الفتن في واقعة مقتل عثمان رضي الله عنه وما تبعها من الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم، تجد من ورائها تخطيطًا يهوديًّا ومجوسيًّا، وعبد الله بن سبأ ذاك اليهودي الذي دخل في الإسلام ونافق نفاقًا ظاهرًا، حتى كان أحد المحرضين على قتل عثمان، وأحد رؤوس المنشبين للقتال بين الصحابة بعد أن أوشكوا على الاتفاق، ثم كان آخر أمره أو آخر فظائعه أن ادعى عليًّا رضي الله عنه هو الإله، وطلبه علي رضي الله عنه فما أدركه، وأدرك بعض أتباعه الذين عرفوا في التاريخ بالسبئية الذين يُؤلِّهون علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقولون: إنه هو الله، وإنه ناسوت ولاهوت - كاعتقاد النصارى في المسيح - وأن اللاهوت حل في الناسوت، وأنه الذي يُعذِّب بالنار، نعوذ بالله، حتى حرقهم علي رضي الله عنه بالنار[1].

فانظر إلى هؤلاء الذين كانوا سبب أكبر انحراف عقدي عبر التاريخ، وهو

---

(١) هو عبد الله بن سبأ الذي يُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وكان يقول لعلي رضي الله عنه: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي رضي الله عنه زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن ابن ملجم إنما قتل شيطانا تصور بصورة علي، وأن عليًا في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلاً، وأتباعه حين يسمعون صوت الرعد يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣١٠)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٠)، والتعريفات (ص١٥٥).

انحراف فرقة الرافضة، كيف كان أصلهم؟ هؤلاء السبئية. كيف كان أصل هؤلاء الرافضة؟ كان أصلهم ممن يمكر بالمسلمين مكرًا كبارًا.

وكذلك إذا نظرت إلى رأس الخوارج، هذا الرجل الذي نافق، وقال للنبي ﷺ: «**اتّقِ اللّه يا مُحمّدُ**» كما في الحديث: «**بعث عليٌّ رضي الله عنه، إلى النّبيِّ ﷺ بِذُهيْبةٍ فقسمها بيْن الأرْبعةِ الأقْرعِ بْنِ حابِسٍ الحنْظلِيِّ، ثُمّ المُجاشِعِيِّ، وعُيينة بْنِ بدْرٍ الفزارِيِّ، وزيْدٍ الطّائِيِّ، ثُمّ أحدِ بنِي نبْهان، وعلْقمة بْنِ عُلاثة العامِرِيِّ، ثُمّ أحدِ بنِي كِلابٍ، فغضِبتْ قُرِيْشٌ، والأنْصارُ، قالُوا: يُعْطِي صنادِيد أهْلِ نجْدٍ ويدعُنا، قال: إنّما أتألّفُهُمْ. فأقْبل رجُلٌ غائِرُ العيْنيْنِ، مُشْرِفُ الوجْنتيْنِ، ناتِئُ الجبِينِ، كثُّ اللِّحْيةِ محْلُوقٌ، فقال: اتّقِ اللّه يا مُحمّدُ فقال: منْ يُطِعِ اللّه إذا عصيْتُ؟ أيأْمنُنِي اللّهُ على أهْلِ الأرْضِ فلا تأْمنُونِي، فسألهُ رجُلٌ قتْلهُ، - أحْسِبُهُ خالِد بْن الولِيدِ - فمنعهُ، فلمّا ولّى قال: إنّ مِنْ ضِئْضِئِ هذا، أوْ: فِي عقِبِ هذا قوْمًا يقْرءُون القُرْآن لا يُجاوِزُ حناجِرهُمْ، يمْرُقُون مِن الدِّينِ مُرُوق السّهْمِ مِن الرّمِيّةِ، يقْتُلُون أهْل الإِسْلامِ ويدعُون أهْل الأوْثانِ، لئِنْ أنا أدْركْتُهُمْ لأقْتُلنّهُمْ قتْل عادٍ**»[1]، فهذا مكر في الحقيقة، هؤلاء المنافقون إنما دخلوا في الإسلام رغم عدم إيمانهم به، فدخلوا ليفسدوا في الأرض، والعياذ بالله.

الجهم بن صفوان[2]، والجعد بن درهم[3]، هذان اللذان أيضًا أخذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(٢) سبقت ترجمته (١/ ٤٠٦).

(٣) هو مؤسس مذهب التعطيل، وهو من أهل الشام كان مؤدبًا لمروان الحمار، آخر خلفاء بين أمية، قتله خالد القسري في يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: =

شبهات التعطيل من اليهود - والعياذ بالله - الذين حاولوا إفساد عقيدة أهل الإسلام من خلال نشر فكر تعطيل الصفات، ومن خلال نشر أسوأ الاعتقادات.

فالجعد والجهم كانا ينفيان الصفات، وكانا يقولان بالجبر، ويقولان بالإرجاء الغالي، يبحثون عن أفسد العقائد، أكثرها تدميرًا للأمة، ويتبنونها مع أنها متناقضة، فانظر إلى هذا الخطر العظيم.

وكذلك بشر المريسي رأس المعتزلة[1]، ولهم أقوال فظيعة منقولة عنهم

= أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحّ بالجعد بن درهم؛ فإنه قال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلّم موسى تكليمًا، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه: الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٦)، وشرح النونية لابن عيسى (١/ ٥٠، ٥١).

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب رضي الله عنه، كان من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة، ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه، مات في آخر سنة ثماني عشرة ومائتين وقد قارب الثمانين، فهو بشر الشر، وبشر الحافي بشر الخير؛ كما أن أحمد بن حنبل هو أحمد السنة، وأحمد بن أبي دؤاد هو أحمد البدعة. انتهى من كلام الذهبي.
ورد عليه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه القيم الذي كان يوصي به شيخ الإسلام ابن تيمية، والمسمى: (نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد)، وهو مطبوع، وهو حقيق بالعناية والمراجعة، وسيأتي (ص١٠٢). =

الله أعلم بها، هؤلاء الذين كانوا يخططون لإفساد عقائد المسلمين، ويحاولون بالمكر الكبار صد الناس عن سبيل الله ﷻ.

ومِن مظاهر ذلك ما وقع من الباطنية، الذين تدثروا بدثار الرافضة، وحقيقتهم الكفر بهذا الدين بالكلية، كما قال الغزالي عنهم: «**ظاهِرُهُمُ الرّفْضُ، وباطِنُهُمُ الْكُفْرُ الْمحْضُ**»[(١)].

فنشروا أفسد الاعتقادات، وأسسوا دولة حكمت نحو الثلاثة قرون تنشر الفساد في الأرض، المعروفة في التاريخ باسم «الدولة الفاطمية»، ونشروا مذهب الرافضة؛ لأنه أقرب المذاهب إليهم وأيسرها في نشر الخرافات والضلالات والعقائد الفاسدة[(٢)].

لما أزال صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ دولتهم، بعد أن مكنه الله ﷻ من أرض مصر، وألغيت هذه الخلافة المزعومة، وأعاد إلى مصر إظهار كتب الحديث والسنة ومذاهب الفقهاء الأئمة من أهل السنة - كالأئمة الأربعة - بعد أن

= انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)، والأنساب (٥/ ٢٦٧)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩، ٢٠٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٨١).

(١) انظر: رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا (ص ٢٣٦)، وفضائح الباطنية (ص ١٩).

(٢) وهي الدولة التي تسمَّت باسم الفاطميين؛ نسبة لآل البيت، وأنى لهم ذلك ومؤسسها يهودي (عبد الله بن ميمون القداح) وهي دولة إسماعيلية، ومنها انبثقت الدرزية الملحدة بأمر إمامها الحاكم بأمر الله الفاطمي، وملكت في مصر حتى أباد شوكتهم الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي. انظر: انظر في عقائدهم ونشأتهم: أخبار ملوك بني عبيد (ص: ٩٤)، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص ٣٥)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ١٢١)، وهذه مفاهيمنا لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ (ص ١٠٤).

كانت كتب الحديث - كالبخاري ومسلم وغيرهما - محرمة، ودراسة مذاهب أهل السنة ممنوعة، فعاد ذلك بفضل الله ﷻ.

وحاول هؤلاء الباطنية - وهم من المنافقين والعياذ بالله - الدخول إلى المسلمين - بعد سقوط هذه الدولة - بغزو من كثير من رجال التصوف الفلسفي، وكلهم أتوا من الغرب، موضع نشأة الدولة الباطنية المسماة بالفاطمية، فأتى إلى مصر الكثيرون مباشرة بعد سقوط الدولة، القرن الذي يلي سقوط الدولة الباطنية تجد فيه - في معظمه - وفيات رؤوس الاتحادية والحلولية؛ كابن سبعين، وابن عربي، والسهروردي، وكذلك تجد الشاذلي وتجد الدسوقي، وتجد ابن الفارض، في نفس التاريخ تقريبًا كلهم في زمن واحد بعد سقوط الدولة الباطنية، سارعوا، ومعظمهم أتى إلى مصر كمحاولة لإعادة الفكر الخبيث الباطني إلى هذه البلاد بعد أن أنقذها الله ﷻ منهم، وهذا كله من المكر والتدبير في الخفاء.

ولو نظرت إلى ما وقع في العصر الحديث من التدبير في الخفاء للعلمانية لكي تتمكن بما وقع من إزالة دولة الخلافة الإسلامية المسماة بـ «الدولة العثمانية»، وإسقاط الخلافة إلى غير رجعة إلى الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أطول فترة في التاريخ بقي المسلمون بلا خليفة حتى بالاسم منذ سقوط الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك، تجد مكرًا خبيثًا وتدبيرًا فظيعًا لإسقاط التزام المسلمين بالإسلام بعد إسقاط دولتهم، أن يجعل بطلاً قوميًا يلتف حوله الترك؛ لأنه الذي طرد قوات الحلفاء من بعض البلاد التركية، وهو في الحقيقة قد اتفق معهم على أن ينسحبوا، وهم يمكنون له بعد ذلك، فجيوش الحلفاء كانت منتصرة انتصارًا تامًا، فتنسحب من أمامه

وتترك له أزمير؛ حتى يصبح بطلاً يُشبّه بخالد بن الوليد، يقال له: يا خالد الترك، جدد خالد العرب.

ثم بعد أن يلتف حوله كثير من الناس ويعجبون به، ينقلب أشد انقلاب على المسلمين، ويطعن في القرآن، ويقول: لا نؤسس دولتنا على كتاب يبحث في التين والزيتون. ويحرم الشريعة الإسلامية، ويجرمها أعظم تجريم، وإلى يومنا هذا ما زالت القوانين التي سنّها في محاربة الشريعة قائمة، من تحريم الدعوة إلى تطبيق الشريعة، وأن من دعا إليها يُعاقب بالسجن ثماني سنوات، وإذا كان ضمن جماعة سجن مدى الحياة، وقتل من أجل القبعة والعمامة أناس.

وتحريم استعمال اللغة العربية في الأذان وفي الأمور الأخرى، حتى وصل به الحال إلى تحريم تعليم الأولاد القرآن وتجريم تعليم الأولاد القرآن زيادة على ما تقرره الدولة، وهي دولة علمانية خبيثة فرض على الناس جميعًا فصل الدين عن الحياة كلها، ولابد وإلى يومنا هذا أن يُقرر علمانية الدولة، وأن من تكلم عن دعوة إلى الدين، فلابد أن يُحاكم ويفصل ويُبعد ويسجن، إلى يومنا هذا.

هناك من قضى في سجون كمال أتاتورك من الدعاة - على اختلاف أنواعهم - أكثر من خمسين عامًا؛ لأجل دعوتهم إلى عودة الناس إلى الدين، ولو كان بأي معنى من المعاني، وانتشر هذا بعد ذلك.

والمخططات والمكر الكبّار في تمرير مبادئ الغرب من خلال العلمانية هو كله من المكر والتدبير في الخفاء، في إظهار أناس في صورة أبطال

يلتف الناس حولهم، ثم بعد ذلك يكونون هم الأداة لمحاربة دين الله ﷻ.

فأهل البدع والعلمانيون وأهل النفاق دائمًا كانوا يمكرون بأهل الحق، مسيرة طويلة في الحقيقة من قوم نوح عليه السلام إلى ما شاء الله ﷻ من التخطيط الخبيث بالسوء في الخفاء لأهل الإسلام؛ لخداعهم وصرفهم عن دينهم.

علاج هذا - كما ذكرنا - بالعلم والعمل وإدراك حقائق هذا المكر، حتى لاينطلي على المسلمين؛ لأن كثيرًا ممن لا يحسن معرفة الواقع، ولم يحسن في الحقيقة معرفة الشرع؛ لأن معرفة أدلة الشرع ترشد الإنسان أن يعرف ما يدور حوله، فحتى لا يُجعل الولي عدوًّا والعدو وليًّا كما يقع من الكثيرين، فمن ثمرة هذا المكر الكبار أن يُخدع أناس منتسبون إلى الدين، حتى يكون جُلُّ عدائهم لأهل الإسلام، وحياتهم مسخرة في الهجوم على الدعاة والعلماء والناصحين للأمة، ويتركون دائمًا أعداء الإسلام من المنافقين والكافرين واليهود والنصارى، بل يرسخون للموالاة لهم بأسماء أخر، نسأل الله العافية، كل ذلك من المكر الخطير، الذي لو علم من يروج له خطورة ما يفعل، لكان عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله، هو عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله على أي حال، لو علم الخطر العظيم يمرره للأمة الإسلامية، لعلم أي جريمة يرتكبها بجهله بواقع الحال، كما يجهل أدلة الشرع في مسائل الاختلاف بين المسلمين وبين أعدائهم من أهل الغرب من اليهود والنصارى والملحدين أعداء الملل كلها، فهذا المكر لابد من الحذر منه بالعلم النافع والعمل الصالح والدعوة على بصيرة إلى الله ﷻ وفهم الواقع الذي يحيط بنا؛ حتى يدرك المسلمون خصال النفاق التي يتدثر بها

أعداء الدين، وقد بينها القرآن أعظم بيان، وهناك من يُغمض عينيه عنها، حتى صار النفاق لا يتكلم عنه أحد إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والنفاق أصلاً هو من المكر الكبار، أصل النفاق بإعلان الإسلام وإبطان الكفر، ثم بالخصال الأخرى، هو كله من المكر الكبار.

الْمسْألةُ السّابِعةُ والسّبْعُون: إنَّ أئِمّتهُم: إمَّا عَالِمٌ فاجرٌ، وَإمَّا عَابدٌ جَاهلٌ؛ كَمَا فِي قوْلِهِ: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٨].

الشـــرح:

هذه الآيات الكريمة تبين ما عليه اليهود الذين خالفوا رسول الله ﷺ، فقد كان أئمة هؤلاء اليهود بين من يعرف كلام الله وعالم ثم يحرفه، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، أي: الذي هو عندهم في التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فهؤلاء قد عقلوا صفته، علموا صفة رسول الله ﷺ في التوراة، وعلموا أنه هو الذي بشر به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم حرفوا هذا الكلام بعد فهمهم وبعد علمهم وإدراكهم أنه المقصود ﷺ بهذه الإشارات، حرفوه وغيروا معانيه؛ حتى لا يدرك الناس حقيقة ما دلت عليه التوراة من التبشير برسول الله ﷺ، وكذا في الإنجيل، بل هذا الذي في الإنجيل أكثر، التحريف فيه أكثر؛ لكي يخرجوا أي نص فيه دلالة على النبي ﷺ - بشر فيه عيسى عليه السلام - عن معانيه بتحريفات واضحة، من أوضح ذلك: اسم «أحمد» الذي ورد في الأناجيل في الحقيقة، لكن غُيِّر من خلال الترجمة، فعندهم في الأناجيل

أن المسيح قال: (**لأنّهُ إِنْ لمْ أنْطلِقْ لا يأْتِيكُمُ الْمُعزِّي، ولكِنْ إِنْ ذهبْتُ أُرْسِلُهُ إِليْكُمْ**)[١]، هذه الكلمة معناها (الفارقليط) باللغة اللاتينية القديمة، أو (البارقليط) التي حرفت في الترجمة العربية إلى كلمة (المعزي)، مع أن أصل معناها كثير الحمد، صيغة أفعل التفضيل من الحمد التي هي كلمة أحمد، كما نص عليه القرآن عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]. فغيرت في حرف واحد إلى كلمة أخرى (الفارقليط) حتى تعرب إلى (المعزي)، فحملوه على روح القدس، وهكذا صنع اليهود بالنصوص، التي لا تكاد يخطئ أحد يفهمها في أن المقصود النبي ﷺ، فكانوا يفعلون ذلك، هؤلاء هم العلماء الفجار الذين قال الله فيهم: ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ - أي: بما علمتموه من بشارة النبي ﷺ في التوراة - ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾. يسمون التوراة فتحًا، لكنهم لا يطبقونها ولا يعملون بها، قال سبحانه وتعالى ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾، هذا النوع الأول: العالم الفاجر، وهو منتشر انتشارًا كبيرًا فيمن ينتسب إلى الإسلام، يحرف الأدلة عن مواضعها؛ نصرة للبدع ونصرة للضلالة، وكم من أناس يرفضون الآيات الواضحة الصريحة في القضايا الكبرى ويحرفونها؛ لكي تستمر البدع والضلالات من الجهمية والقدرية والجبرية والمرجئة والخوارج، يتركون الأدلة التي هي من أوضح الأمور دلالة على عقيدة أهل السنة والجماعة في المسائل المختلفة، فيحرفونها وهم يعلمون، وفي زماننا تجد

---

(١) انظر: انجيل يوحنا (١٦).

كذلك - فيما يتعلق بقضايا تطبيق شرع الله ﷻ، وعدم موالاة اليهود والنصارى - تحريفًا للأدلة حتى تخرج عن وجهها، وقد ذكرنا أمثلة كثيرة من هذا النوع، ممن ينتسب إلى العلم يخرج الأدلة عن حقيقتها في نوع من تحريف المعنى؛ لكي لا يفهم الناس المسائل الواجب عليهم أن يفهموها؛ من عدم موالاة اليهود والنصارى والكافرين، ومن إقامة شرع الله ﷻ وتحكيمه، وغير ذلك من المسائل التي فيها اختلاف بين أهل الإسلام وبين أهل الغرب، فيما يتعلق بقضايا الدين والمنهج تجد أناسًا من علماء السوء - والعياذ بالله - يحرفون الكلم عن مواضعه.

وكذلك فيما يتعلق بالخرافات والخزعبلات، المبنية على التصوف والتشيع ورد الأدلة الصحيحة، تجد هذه الفرق - والعياذ بالله - رغم أن كثيرًا من أئمتهم ورؤوسهم يعلمون صحة الأدلة، يشغبون حولها، حتى يترك الناس أوضح الأدلة، ألم تر إلى من يزعم أنه يُستحب بناء المساجد على القبور، وقد علم حديث النبي ﷺ المتفق على صحته: «**لعْنةُ اللّهِ على اليهُودِ والنّصارى، اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مساجِد. يُحذِّرُ ما صنعُوا لوْلا ذلِك أُبْرِز قبْرُهُ، غيْر أنّهُ خشِي أنّ يُتّخذ مسْجِدًا**»[1].

وقوله ﷺ: «**ألا وإِنّ منْ كان قبْلكُمْ كانُوا يتّخِذُون قُبُور أنْبِيائِهِمْ مساجِد، ألا فلا تتّخِذُوا الْقُبُور مساجِد، إِنّي أنْهاكُمْ عنْ ذلِك**»[2]، فيحرفون هذه الأدلة، ويقولون: بل هذه منسوخة. من الذي نسخها والرسول ﷺ قد قالها قبل أن يموت مباشرة؟!

(١) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

ويحتجون بالأحاديث الضعيفة والباطلة على أن الصحابة بنوا على قبور الصالحين مساجد، وهذا كذب ومنكر، لا شك في بطلانه، ومع ذلك تجدهم يحتجون على ذلك، ويذكرون الحكايات والخزعبلات؛ ليروجوا على الناس هذه البدع والضلالات، وما أكثر ما تسمع في هذه الأبواب كلها عمومًا وخصوصًا، تسمع تحريف للكلم عن مواضعه من رؤوس الضلال؛ وأما اليهود والنصارى فلا يزالون يحاولون إثارة الشبهات على المسلمين بمحاولة تحريف الآيات عن مواضعها، مع أنهم ليس لهم أن يتكلموا في القرآن، ولكن يثيرون الشبه، ويحاولون ضرب القرآن بعضه ببعض، والجهل هو الخطر العظيم، الذي يهدد المسلمين في هذه الشبهات، فهؤلاء رؤوس الفجار، علماء السوء، الذين علموا ولم ينتفعوا بعلمهم.

أما النوع الثاني - الذي ذكره - فهو مستنبط مِن الآية من قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. ﴿أُمِّيُّونَ﴾: لا يعلمون من التوراة إلا القراءة، «أماني»: إلا قراءة، لا يفهمون منها شيئًا، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: لا يعرفون وجوه الدلالة من الآيات التي يقرءونها، يعظمون الكتاب لفظًا، وهم يأخذون عقيدتهم من الظنون الكاذبة، التي قالها مشايخ السوء وأئمة الضلال العلماء الفجار.

فذكر الله ﷻ أولاً الفريق الذي ذكر أنهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، وذكر الباقين وهم الأميون الجهال، الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، تمنى بمعنى: قرأ؛ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، يعني: إلا إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته.

فهؤلاء لا يعلمون الكتاب إلا أماني، إلا قراءة، وأنت تجد أناسًا كثيرين يعظمون القرآن جدًا، يقرءونه كثيرًا، ولا يعرفون وجوه الدلالة ولا معاني العقيدة الصحيحة ولا العبادة الصحيحة، ولا يعلمون شيئًا مما دل عليه القرآن، يقرءون القرآن، يضعونه في المجالس، تجده يحسن القراءة وإخراج الحروف من مخارجها وتجويده على أحسن الوجوه، ثم هو يقع في الشرك ويقع في الضلال والبدع، والعياذ بالله، ويقرأ الآيات ولا يفهم منها شيئًا على الإطلاق؛ لذلك هذا النوع هو العابد الجاهل؛ لأنه يأخذ عقيدته من الظنون الكاذبة، وفي نفس الوقت يترك الفهم لكتاب الله ﷻ، ولا يعلمه إلا قراءة فقط، وأجد خطرًا عظيمًا في تحول القرآن لدى كثير من الناس إلى مجرد قراءة، والاهتمام بأنواع القراءات ووجوه القراءات المختلفة، مع الجهل التام بمعاني القرآن ودلالة القرآن على العقيدة وعلى العبادة وعلى المعاملات، تجد الناس يقرءون الأدلة بمنتهى الوضوح لمن يعقل، ولكنهم يصرون على خلاف الحق، تجد أعداء الإسلام يستغلون هذا النوع من الناس، ويلبسون به على باقي الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وخصوصًا أنه يظهر في صورة العابد؛ إنسان قارئ للقرآن، إنسان كثير الصلاة، وهو لا يستدل، ولا يعلمه إلا قراءة، إلا مجرد حروف يرددها ولا يفهم منها شيئًا

نجد خطرًا كبيرًا أن يتحول القرآن عندنا إلا ما صار إليه أهل الكتاب من أن يكون الكثير منا ممن لا يعلمون الكتاب إلا أماني؛ وأما العقائد فيأخذونها من الظنون؛ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

فمثلاً: لو أن الإنسان نظر إلى قضايا مثل أن أحدًا لا يملك النفع والضر إلا الله، كم تكررت في القرآن، كم تكرر في كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

هذا الأمر تكرر مرات عديدة، ومع ذلك تجد الكثيرين ممن يحسن القراءة لا يفهم شيئًا على الإطلاق من هذه الآيات، ويظل يعتقد أن الولي الفلاني هو المسئول عن هذا الربع من العالم، والولي الآخر مسئول عن الربع الآخر، والعالم أربعة أرباع بين أربعة أولياء، وأن أهل البيت هم الذين يحرسون الكرة الأرضية، وأن مصر تحرسها أولياء الله الصالحين.

ووالله أنا منذ أيام قرأت كتابًا عجيبًا ألفه بعض هؤلاء الشيوخ، أن مصر محروسة ببركة أولياء الله الصالحين المدفونين فيها من أهل بيت رسول الله ﷺ.

محاولات لخداع الناس، وتجده ربما يتقن القراءة تمامًا ولا يعي شيئًا، ويحبذ الزيارة لهذه الأضرحة، وأن البركة في زيارتها ونحو ذلك. كم من الناس يُخدع ولا يزال يُخدع بمثل هذا الضلال - نعوذ بالله من ذلك - بسبب أنه لا يفهم ما يقرأ، نسأل الله العافية. العبادة على جهل سبب عظيم من أعظم أسباب الانحراف في الدين، والحقيقة أن الأئمة الضلال

- كما قال النبي ﷺ: «**وَإِنَّما أَخَافُ عَلَى أُمّتِي الْأَئِمّة الْمُضِلِّين**»[١].

يشمل هذين النوعين: العالم الفاجر، والعابد الجاهل.

والعالم الفاجر: كثير انتشاره في اليهود، وهم المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ويعرضون عنه.

والعابد الجاهل: منتشر في النصارى، الذين هم ضالون، والعياذ بالله ويوجد فيهم النوعان كما ذكرنا، فكما قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان خطر هذين النوعين مع ملوك السوء[٢]:

رأيْتُ الذُّنُوب تُمِيتُ الْقُلُوب ... وقَدْ يُورِثُ الذُّلّ إِدْمانُها

وتَرْكُ الذُّنُوبِ حياةُ الْقُلُوبِ ... وخَيْرٌ لِنَفْسِك عِصْيانُها

وهَلْ أفْسد الدِّين إِلّا الْمُلُوكُ ... وأحْبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها

نعم هذا من أعظم أسباب فساد الدين، هذان النوعان: عالم منافق عليم اللسان، وعابد جاهل يحبه الناس من أجل عبادته، ومن أجل أنه يقرأ الكتاب، ولكن لا يفهمه ولا يعمل به؛ لذلك لابد أن نؤكد على أهمية تعلُّم الكتاب فهمًا واستدلالاً، وكثرة الاستدلال بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية، وليست مجرد أن تصبح عبارة عن أمور شكلية تفتتح بها المجالس ولا دخل للناس بمعانيها، تُقام عليها المسابقات، ومن يسلِّم الجوائز

---

(١) أصله في مسلم (٢٨٨٩)، وأخرجه بهذه الزيادة: أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق عزوه (١/ ٧٣).

هم الذين يحرمون العمل بالكتاب، ويمنعون العمل به والدعوة إليه وبيان ما فيه من الأحكام، يصبح الكتاب عبارة عن هدية تُهدى للناس ليقبلوه في المناسبات، وهو أعظم الناس حربًا عليه، يرى أن أحكامه هذه لا تصلح لهذا الزمان ولا للأزمنة الماضية، بل إنها أمور مخترعة باطلة، والحرب عليها أعظم ما يكون لكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، حرب شديدة، وهو إنما يريد أن يرسخ في الناس أن القرآن نحن نقرأه ولا يلزمنا أكثر من ذلك، فهذا تجد فيه شبهًا من هؤلاء الذين ذكر الله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾، جمعوا بين مجرد تلاوة الكتاب دون فهم؛ وأما العقيدة فعقيدة فاسدة مبنية على الظنون، لابد أن نبتعد عن ذلك، لابد أن نتعلم القرآن وأن نفهم القرآن، نتدبر القرآن، نتدبر أحاديث الرسول ﷺ، ونفهمها ونعمل بها، وتكون هي مصدر التلقي في العقيدة والعبادة والخلق والسلوك ونظام حياة الأمة، الأمة في كثير جدًا من أبنائها في عقيدتها يأخذونها من المتكلمين، وفي عبادتها وفي معاملاتها يأخذونها من المقلدين، وفي التهذيب والتزكية والإصلاح وإحسان الخلق يأخذونها من المتصوفة المبتدعين، وفي نظام الحياة وقوانين المجتمعات والدول يأخذونها من المنافقين أذناب الغرب، بل من القوانين الغربية مباشرة، والناس كلهم يقولون: إن القرآن نحن نُعظِّمُه، لو قلت له: أنت بهذا تخالف القرآن، لأنكر عليك وقال لك: كيف وأنا أحفظ القرآن من أوله إلى آخره.

وربما كان بعضهم ممن يفتن المسلمين عن دينهم، فتجده حافظًا للقرآن

من أوله إلى آخره، وربما قام به في التراويح، وربما قام به قيام الليل، ماذا يصنع؟!

رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه! والعياذ بالله؛ لأنه يجهل ما يقول، أو أنه يعرفه ثم يحرفه، فالمغضوب عليهم والضالون ما يزال يوجد من يتشبه بهم في أمة الإسلام، نسأل الله ﷻ العفو والعافية.

فهذا في الحقيقة يرجع إلى أنواع الأئمة المضلين الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**وإنّما أخافُ على أُمّتِي الْأئِمّة الْمُضِلِّين**»، وهما هذان النوعان: العالم الفاجر، والعابد الجاهل، وملوك السوء كذلك لأنهم أئمة؛ لأن الناس تبعًا لملوكهم وقادتهم وأمرائهم، فانظر إلى هذا الأمر، وانظر ممن تتبع، وانظر كيف تكون قراءتك للقرآن وفهمك له؛ حتى لا تحرف الكلم عن مواضعه بالبدع والضلالات وأنواع النفاق؛ وحتى لا تأخذ العقيدة من الظنون دون الأدلة البينة من الكتاب والسنة؟!

لابد أن نعيد إلى الكتاب والسنة منزلتهما الحقيقية الواجبة، من أن يكونا هما مصدر الاستدلال والتشريع، ليس كما جعلت في الزمن الماضي، كما يقول ابن القيم: «الكتاب والسنة في زماننا كالخليفة ليس له من الأمر إلا الخطبة والسكة». أيام ابن القيم رحمه الله مع أنها أيام كان فيها خير كثير، لكن الخليفة ماذا كان له؟ وقت ما يأتي ذكره في الخطبة يدعون له بالتأييد والنصرة، والسكة يعني عند سك النقود أو طبعها، وعند صناعة الدراهم والدنانير يكتبون عليها صكت في عهد الخليفة الفلاني، في حين أن المتحكم في الأمر أيام ابن القيم هم المماليك، سلاطين المماليك، الخليفة

نفسه لا دخل له بشيء نهائيًا، خلافة صورية كحال ملكة إنجلترا الآن، هي الملكة واسمها الملكة، ولكن المتحكم رئيس الوزراء، هذه هي تلك الأنظمة، أنظمة سياسية بهذه الطريقة، النظام في هذا العهد كان كذلك.

فكان في ذلك الزمان أصلاً عند طلاب العلم والمشايخ في ذلك الوقت الكتاب والسنة عندهم يُقال عنهما: نعم الكتاب والسنة معظمان، مثل الخليفة يُقال عنه ذلك وليس له الأمر والنهي.

تأتي له بآية أو بحديث تستدل به، فيرد ذلك، ويقول لك: لا، الكتاب الفلاني فيه الشيء الفلاني، وهذه روح للأسف الشديد بدأت تنتشر، حتى في طلاب العلم المعاصرين ممن ينتسب إلى السلف وممن ينتسب إلى العلم، فتجد كتب مؤلفة كاملة، فتذهب تبحث فيها عن آية أو حديث، فلا تجد إلا العالم الفلاني قال كذا، كأن قول العالم أصبح هو الحجة، والابتعاد تمامًا عن الاحتجاج بالآيات والأحاديث، والآيات تكون في منتهى الوضوح والبيان.

كما ذكرنا في قضايا الخرافات في اعتقاد الضر والنفع لغير الله ﷻ كعباد القبور، وكذا في أدلة وجوب تحكيم الشريعة ولزوم المرجعية إلى الكتاب والسنة تجد أناسًا أعرضوا عن كل ذلك؛ لأن الشيخ الفلاني أفتى بغير هذا؛ ولأن العالم الفلاني قال بغير هذا، كتب تؤلف على هذه المناهج المنحرفة ويزعم أنه ناصر للكتاب والسنة، وهو أمي لا يعلم من الكتاب إلا القراءة، ويتبرك بالأحاديث، أو يهتم على سبيل المثال بإسنادها دون البحث عن متنها، فأين الفهم لما دل عليه هذا الحديث؟!

فيركز الكلام كله على علوم غير المقصود من الحديث نفسه، ويقول: نحن من أهل الحديث. وليسوا من أهل الحديث، أهل الحديث هم الذين يفهمونه ويعملون به ويستدلون به، وليس فقط أنهم يتكلمون على الرجال دون أن يكون لهم دخل بفقه الحديث ومعانيه ودلالاته.

خطر عظيم هذا الذي يحدث للصحوة الإسلامية في وقتنا الحاضر، تكرار لما وصلت إليه الأمة - للأسف الشديد - في عصور الانحطاط، عندما ابتعدت في كل مجالات العلوم عما جعله الله مصدرًا للهدى والنور من الوحي المنزل، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أن تصبح - كما ذكرنا - العقائد مأخوذة من علم الكلام، والعبادات والمعاملات من كلام المقلدين من أتباع المذاهب، الذين لا يعرفون أدلة ولا دخل لهم بها، والتهذيب من كلام الصوفية البعيد عن الفهم الذي يصلح لأنواع من الفهوم المختلفة، التي تؤدي إلى انحراف في العقائد بعد ذلك وفي نظم الحياة وفي أنظمة المجتمع من الغرب وقوانينه ومبادئه ودساتيره، فحصل هذا الخلل العظيم.

من يحاول تمرير هذا الأمر إلى داخل من ينتسب إلى الالتزام، ويحاول إدخاله مرة أخرى بعد أن طُرد هو إما عالم فاجر، وإما عابد جاهل، وإما من سلاطين السوء، نسأل الله أن يعافينا من ذلك كله.

الْمسْألةُ الثّامِنةُ والسّبْعُون: دعْواهُمْ أنّهُمْ أوْلِياءُ اللهِ مِنْ دُونِ النّاسِ.

الشـــرح:

هذا ذكره الله ﷻ عن اليهود في قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ [الجمعة: ٦ - ٧].

فذكر الله ﷻ عن اليهود أنهم يدعون أنهم أولياء الله من دون الناس، وهذا أمر مشهور عن اليهود إلى يومنا هذا، أنهم يقولون عن أنفسهم أنهم شعب الله المختار، وأن سائر الأمم كالكلاب لهم أو عبيد العبيد لهم، بل من زور وجهل النصارى أنهم يدعون أن امرأة طلبت من المسيح أن يدعو لها أن يعلمها شيئًا أو نحو ذلك، فقال لها: ليس حسنًا أن يؤخذ خبز الأولاد أو خبز البنين ويرمى للكلاب. فقالت: والكلاب أيضًا لها نصيب. فقال: ما أعظم إيمانك! فدعا لها أو قبل منها ذلك. فمن يقبل أن يكون كلبًا عند اليهود، فهو الذي يكون مقبولاً، والعياذ بالله، نسأل الله العافية، هذا من تكبر اليهود وجبروتهم، وإنما اصطفاهم الله ﷻ على العالمين بإرسال الرسل، اتباعهم لرسل الله، فمن أبى ذلك وكذب الرسل أو قتلهم أو سعى في قتلهم أو عاداهم، فهو - والعياذ بالله - كافر ليس من المصطفين، إنما من اصطفاهم الله ﷻ من آمنوا بالله ورسله، فهذه من العقائد الفاسدة التي ما زال اليهود يتكبرون بها على العالم، ولا يزال كثير ممن ينتسب إلى النصرانية يعتقد لزوم علو اليهود كذلك، بل في الحقيقة ما يحدث من تحالف بين اليهود

والنصارى في زماننا على المسلمين، عند طائفة من النصارى في الغرب مرده إلى مثل هذا الاعتقاد، وهو أن علو بني إسرائيل مقدمة لعودة المسيح، وهذه عقيدة الكثير من الرؤساء المتعصبين للصليبية، الذين يخوضون أو خاضوا في الحقيقة حروبًا ضد أهل الإسلام؛ لأجل إنفاذ هذه العقيدة، وهذا أمر معلوم، نسأل الله العافية.

وكله مرده إلى هذا الاعتقاد الفاسد، وهو أن اليهود هم أولياء الله من دون الناس، غرهم أن الله ﷻ قد ذكر اصطفاءهم في كتابهم وفي القرآن العظيم، لكن هو اصطفاء مشروط بالتزام حقيقة الإيمان، بأن الله فضلهم بما ذكر الله على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]. فإنما كان ذلك بجعل الأنبياء وإيتائهم التوراة وأورثهم الكتاب، فلما أبوا أن يمتثلوا ما أمر الله وصفهم الله ﷻ بالفاسقين، لما أبوا أن يدخلوا الأرض المقدسة وقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ودعا موسى عليه السلام فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، ومنهم من كفر؛ كما قال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨١].

فوصفهم الله بالكفر والفسق، فدل ذلك على أن التزام الأوصاف التي استحقوا بها الاجتباء هو سبب أو شرط هذا الاجتباء، بدون هذه الأوصاف لايكونون من المصطفين الذين اصطفاهم الله على العالمين، وهذه الأمة قد نقل الله ﷻ ما كان للأمم السابقة من الشرف والرفعة والاصطفاء؛ كما قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

فجعل الله الاجتباء للأمة، خير أمة أخرجت للناس، الأمة الإسلامية، أمة محمد ﷺ، ولكن بشرط أن يكونوا من المتقين الذين يؤتون الزكاة، والزكاة هنا زكاة القلوب بتوحيد الله ﷻ وتطهيرها من الشرك وأمراض القلب من الكبر والعلو والرياء والسمعة والحقد والحسد، ولا شك أن تطهر القلب بذلك يؤدي إلى أداء الزكاة الواجبة: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ - الإيمان بآيات الله - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾. فاتباع الرسول ﷺ واتباع سنته شرط في هذا الاجتباء وهذا الاصطفاء وهذه الولاية، فأما أن يظن إنسان أنه من أولياء الله الصالحين لمجرد النسب أو لمجرد الانتساب إلى طريقة أو إلى شيخ أو إلى مذهب أو إلى إمام، فهذه من مشابهة أهل الكتاب، الذين ادعوا أنهم أولياء لله من دون الناس، فترى كثيرًا من الفرق المنحرفة الضالة تدّعِي لنفسها أنها دون غيرها أو هم أولياء الله ﷻ، مع انحرافها، وإنما ولاية الله ﷻ لمن آمن واتقى، لا تحصل أصلاً إلا لهؤلاء: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

إذًا، ليست مجرد انتساب إلى طائفة معينة، ولو كان حتى انتسابًا إلى آل بيت النبي ﷺ، فإن أهل بيت النبي ﷺ لهم فضيلة ومزية عظيمة بلا شك، ولكن لابد وأن يمتثلوا باتباعه ﷺ، أهل البيت لا يجتمعون على ضلال، ولن يفترقوا كطائفة عن كتاب الله، أعني: لا يزال منهم من يقوم بالحق، كما أن الأمة لا يزال فيها من يقوم بالحق، فقد قال النبي ﷺ: «**يا أيها النّاسُ إنِّي**

تركْتُ فِيكُمْ ما إِنْ أخذْتُمْ بِهِ لنْ تضِلُّوا : كِتاب اللّهِ، وعِتْرتِي أهْل بيْتِي»[١]، وليس معنى ذلك أن العصمة للعترة، لأهل البيت، وإنما معناه أنه لا يزال يوجد فيهم من يقوم بالكتاب، ولا يجتمعون جميعًا على مفارقة الكتاب أبدًا : «**إِنّهُما لنْ يفْترِقا حتّى يرِدا عليّ الْحوْض**»، فالرسول ﷺ جعل ثقلاً في أهل بيته، ومع ذلك فقد قال ﷺ : «**إِنّ آل أبِي فُلانٍ ليْسُوا لِي بِأوْلِياء، إِنّما أوْلِيّائِي الْمُتقون**»[٢]، وقال ﷺ : «**ومنْ أبطأ بِهِ عملُهُ، لمْ يُسْرِعْ بِهِ نسبُهُ**»[٣]، وقال لفاطمة بنته رضي الله عنها، ونسل النبي ﷺ وعترته كلهم منها، لم يوجد من بناته الأخريات من بقي له نسل، وإنما العترة أهل بيت النبي ﷺ، أولاد فاطمة من علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وخصوصًا الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومع ذلك فقد قال لها : «**يا فاطِمةُ بِنْتَ مُحمّدٍ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيْئًا**»[٤]، فإذا كان النبي ﷺ يقول ذلك لسيدة نساء العالمين، سيدة نساء المؤمنين، فاطمة بنت محمد ﷺ، فكيف بمن بعُد عن ذلك؟!

ولذلك نقول: إنه لا يكفي الانتساب ولو لأشرف الطوائف، وكذلك قد قال النبي ﷺ للمهاجرين والأنصار، الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى لما تنادوا بدعوى الجاهلية، فقال هذا : «**إِنّك امْرُؤٌ فِيك جاهِلِيّةٌ**»[٥]، وقال لأصحابه

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

(٣) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

(٤) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ رضي الله عنه.

الفضلاء حين تنادوا: «**وقال الأنْصارِيُّ: يا للْأنْصارِ، وقال المُهاجِرِيُّ: يا للْمُهاجِرِين، فَخَرجَ النّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا بَالُ دعْوى الْجاهِلِيّةِ؟!.. دعُوهَا فَإِنَّها مُنْتِنةٌ»**»(١).

إذاً، الانتساب إلى أشرف الطوائف، التي مدحها الله في الكتاب والسنة لا يكفي في تحقيق الولاية حتى يكون الإنسان مؤمنًا تقيًا، فلو انتسب الإنسان إلى أهل السنة، وهم أشرف الطوائف من جهة الاعتقاد والمنهج، وهم الجماعة التي قال عنها النبي ﷺ إنها الفرقة الناجية، ولكن هل يكفي الانتساب دون أن يحقق التقوى، دون أن يحقق الإيمان الذي ليس هو مجرد معرفة نظرية؟!

لذلك نقول: أبعد الناس عن دعوى الولاية من كانوا من أهل البدع مفارقين لحقائق الإيمان، التي بعث بها النبي ﷺ، فهم على عقيدة فاسدة؛ كالجهمية، والقدرية، والرافضة، والجبرية، والمرجئة، والخوارج، وأمثالهم، هؤلاء أبعد الناس عن أن يكونوا أولياء لله من دون الناس، فكذلك من انتسب إلى أهل الإيمان لكنه لم يتق الله. إذًا، قضية الولاية ليست مجرد دعوى، وليست مجرد انتساب، وليست مجرد اسم يرفعه الإنسان، وقد انتشر هذا في كثير من الناس، يشعر أنه طالما انتمى إلى جماعة معينة أو طائفة معينة أو نسب معين أو مذهب معين، فإنه ناج بمجرد الانتساب، فهذا خلل عظيم، ولا بد أن يعرف أن الانتساب إلى السلف كذلك لا يكفي فيه الانتساب، بل لابد أن يتحقق علمًا وعملاً بمنهجهم، أن

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٠).

يحقق الإيمان والتقوى، وإلا فقد وقع من ادعى ولاية الله ﷻ دون أن يلتزم بشروط هذه الولاية في مشابهة من سبق من أهل الكتاب، الذين ادعوا أنهم أولياء لله من دون الناس، دون أن يتصفوا بالشروط التي جعلها الله ﷻ في تحقيق الولاية، وأشد هؤلاء بعدًا من انتسب إلى فرق بدعية ومن انتسب إلى طرق منحرفة، وعامة الطرق الصوفية على بدع وضلال، يظنون أنفسهم أنهم الأولياء، وأن مقبوريهم هم الأولياء، ويدعون الولاية لهم، يقولون: نحن أتباع أولياء الله الصالحين، وليس عندهم من أولياء إلا تحت القباب، ليس عندهم من ولاية لله إلا من دفن في مسجد تحت قبة يزوره الناس، ويعملون له مولدًا، ويجعلون من يخالف ذلك معاديًا لأولياء أو معاديًا لأهل البيت، وهذا من الزور والباطل والكذب؛ لأن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، ليسوا أهل البدع والضلال ولا أهل الفسق والفجور، حتى ولو انتسب إلى أشرف الأسماء كما ذكرنا: «**ومنْ أبطأ بِهِ عملُهُ، لمْ يُسْرِعْ بِهِ نسبُهُ**»[1]، فكيف بمجرد انتسابه دون أن يكون له نسب حقيقي؟!

نقول إذًا: قضية ولاية الله يبحث كل إنسان عن صفات هذه الولاية في نفسه أحققها أم لا، الإيمان والتقوى، الإيمان والعمل، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الإيمان بيّنه النبي ﷺ بأركانه كلها، وبيّن تفاصيل كل ركن منها في عقيدة واضحة جلية، ولفظة الإيمان أعمق من لفظة العقيدة وأشمل، فإنها تشمل أحوال القلب وأعماله كذلك، وليس مجرد قول اللسان أو اعتقاد القلب ومعرفته، هذا جزء أساسي أن يكون على عقيدة صحيحة، ولكن الإيمان أعمق من ذلك، حال القلب وإيمانه، بل الإيمان

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

يدخل فيه العمل، والتقوى تدخل في الإيمان، ولكن إذا اقترنت كان ذلك تأكيدًا، التقوى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، على أن إيمانهم قد تحول في حياتهم العملية إلى سلوك وواقع يعيش به الإنسان في حياته، يتقي الله، كما قال طلْقُ بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**تقوى الله: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله**»[2]، يعمل بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ ويستعد للقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويزهد في دار الدنيا ويرغب في دار الآخرة، وهكذا يكون اهتمامه وعمله، إرادته وقصده، مع علمه وفهمه وتصوره، كل ذلك مبني على ما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما شرعه الله عَزَّ وَجَلَّ.

فهذا خطر يغفل عنه كثير من الناس ادِّعاء الولاية، ويظن أنه بانتسابه لجماعة معينة ناج عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا مشابهة لأهل الجاهلية.

---

(١) هو طلق بن حبيب العنزي، البصري، زاهد كبير من العلماء العاملين، حدث عن ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفيان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس، وعدة، وروى عنه منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، ومصعب بن شيبة، وجماعة، قال ابن الأعرابي: «كان يقال: فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وحلم مسلم بن يسار، وعبادة طلق»، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢٧)، وصفة الصفوة (٣/ ٢٥٨)، وسير أعلام النبلاء(٤/ ٦٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٤)، وهناد في الزهد (١/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٤)، والبيهقي في الزهد الكبير (٢/ ٣٥١).

الْمسْألةُ التّاسِعةُ والسّبْعُون: دعْواهُمْ محبّة اللّهِ، مَعْ ترْكِهِمْ شرْعهُ، فطالبهُمْ اللّهُ بِقوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

الشـــرح:

دعوى محبة الله ﷻ في اليهود والنصارى والمشركين، وكل أهل الملل يدعون أنهم يحبون الله، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨]، ادعوا لأنفسهم أكثر من مجرد أنهم يحبون الله، بل زعموا أنهم أحباء الله زيادة، وهذا يلزم منه أن يكونوا محبين لله، وهذا الزعم لابد له من تحقيق، لابد من إثبات وأدلة، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾. إذًا، كيف يصل الإنسان إلى درجة المحبوبية وأن يكون محبوبًا؟ أن يحب الله ثم أن يتبع الرسول ﷺ، ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾[1]، مع كونهم قد تركوا شرعه، لم يتبعوا رسوله ﷺ، هؤلاء القوم من اليهود ومن النصارى ومن كل أهل الملل، الذين يدعون حب الله ولا يلتزمون بالشرع، دعواهم باطلة، وكذبهم الله ﷻ وأظهر كذبهم حينُ امتُحِنوا فلم يتّبِعوا رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾. إذًا، اتباع الرسول ﷺ شرط في حقيقة

(١) انظر: مدارج السالكين شرح منازل السائرين (٣/ ٢٠-٢٣).

المحبة، لا يكون محبًّا من خالف هدي الرسول ﷺ، أهل البدع لهم نصيب من مشابهة أهل الكتاب في هذه الدعوى، أنهم يفعلون ذلك حبًّا لله، وكم من فاسق وفاجر ومبتدع وضال يزعم أنه يحب الله ﷻ، وفي نفس الوقت يستمر على بدعته ويستمر على فسقه وفجوره، وما أحسن ما قال الإمام عبد الله بن المبارك:

تَعْصِي الْإِلَه وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... لَعَمْرِي هَذَا فِي القِياسِ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

فهذا كلام حسن، هو في الحقيقة كأنه تفسير لقول الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، واتِّباع الرسول ﷺ مع حب الله ينقل الإنسان إلى درجة المحبوبية، يوصله إلى أن يكون محبوبًا عند الله ﷻ، واتِّباع الرسول ﷺ في العقيدة والعمل، في الأخلاق والسلوك في العبادة والمعاملة، في الظاهر والباطن، وليس يقتصر على جانب من جوانب الحياة، أو من جوانب الالتزام بالدين، بل يتبع الرسول ﷺ في كل الشئون، وليس اتباع الرسول ﷺ بمجرد إعلان التبرك بقراءة أحاديثه أو الغلو في شخصه ﷺ، حتى يقال هذا محب للرسول ﷺ، بل اتِّباع الرسول لابد أن يكون في جميع الأمور كما ذكرنا؛ في الإيمان والإسلام والإحسان في الاعتقاد، في العمل، في العبادة، في المعاملة، في الظاهر والباطن، ليس كما يحلو للبعض أن يقول: المهم الباطن ولا يهم الظاهر، أو كما يقع فيه البعض من أن يهتم بالظاهر ويظن أنه سُنِّي بمجرد أنه قد أظهر بعض مظاهر الالتزام بالسنة، ثم هو في سلوكه وخُلُقِهِ وفي باطنه وحال قلبه ليس مُتّبِعًا

للنبي ﷺ، لا يكون هذا اتِّباعًا حتى يحقق الاتباع في جميع الأمور، فهذا هو اللازم لنا؛ حتى لا نقع في مشابهة هؤلاء الذين ادّعُوا محبة الله، مع تركهم شرعه واتِّباع نبيه ﷺ.

❀ ❀ ❀

الْمسألةُ الثّمانُون: تمنِّيهِمْ الْأمانِيّ الْكَاذِبة؛ كَقَوْلِهِمْ: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾.

الشـــرح:

ذكر الله ﷻ تمني اليهود هذا أو الغرور الذي غرُّوا أنفسهم به، مع تكذيبهم للرسول ﷺ في موضعين، فقال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٧٨ - ٨٠].

انظر لما بدّلوا الشرع، وحرّفوا الكتاب، وكتبوا من عند أنفسهم أباطيل نسبوها إلى دين الله ﷻ، وقالوا: هو من عند الله. وادّعوا أن ذلك مما أنزله الله في دينهم، ما الذي غرهم في ذلك؟ استهانتهم في هذا الأمر العظيم.

وذلك أنهم زعموا أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة، وأن ذلك الذنب العظيم الذي هو كفر - والعياذ بالله - إنما هو كما يظن بعض الناس في كثير من الذنوب أنه إنما هو من المعاصي التي يُعاقب عليها مدة ثم يخرج، وورد في تفسيرها أيضًا أنهم قالوا: إننا نبقى في النار أيامًا معدودة ثم تخلفوننا فيها، يعني - يخاطبون المسلمين -: أنهم سوف يخلفهم المسلمون في النار، فكذبهم الله بقول: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ

أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، هذه السيئة هي الكفر والشرك؛ لأن الخطيئة المحيطة هي التي تحبط جميع الأعمال بما فيها أصل التوحيد هي الشرك والكفر، وليس من كسب سيئة أي سيئة مطلقًا، وإنما كما قال ﷻ: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

إذًا، لم ينفعهم هذا التمني الباطل، والذي افتروه بالكذب أنهم لن يبقوا في النار إلا أيامًا معدودة، وانظر إلى جرأتهم أنهم يعلمون أنهم يخالفون الشرع، وأنهم تركوا ما أمرهم الله به، وأنهم يستحقون دخول النار، ولكن يهونون الأمر، كما ترى في كثير من الناس في زماننا يهونون ما يقعون فيه من الكفر، ويقولون: هو فقط معاصي، هذا من باب المعاصي فقط. مع أنه من الكفر، والعياذ بالله، لا ينفعهم عند الله ﷻ أنهم كانوا يظنونه معصية، وأنهم سوف يبقون أيامًا في النار معدودة أو مدة محدودة ثم يخرجون منها، لا ينفعهم ذلك إذ كان هو عند الله ﷻ مخلد في النار، إذا كان كفرًا من السيئات المحبطة للأعمال والخطايا التي تحيط بالإنسان من جميع جوانبه فهذا هو في النار مخلد فيها، وإن زعم أنه يبقى في النار أيامًا معدودة.

أرأيت أن هذه الصفة قد وقع فيها في زماننا من يرتكب أنواع الكفر، وهو يعلم أنها منهي عنها، يظن أن ذلك لا يخلد، يقول: سندخل النار، سندخل النار، ولكن سنخرج بعد ذلك، وهو يرتكب الكفر، والعياذ بالله، ويرتكب

ما هو من جنس ما فعله اليهود من أنهم بدّلوا الدين ونسبوا إلى الله ﷻ ما ليس من دينه ولا من شرعه، وقالوا: هذا من عند الله. ويقولون: هذا هو الدين الصحيح، وهذا هو الذي جاء به الرسول. وهو ليس من عند الله، بل يقولون الأكاذيب الباطلة في العقائد وفي الأعمال، حتى ربما زعموا للناس أن الرسول جاء بأن الملل متساوية، وأن اليهود والنصارى سيدخلون الجنة، وأنه لا فرق بيننا وبينهم، وما أكثر ما يقال من ذلك الكفر - والعياذ بالله - من موالاة هؤلاء، ومن هذا الجنس أيضًا ما يكون من تبديل الشرع، وأن يأبى الإنسان ويعترض على حكم الله؛ كما قال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣ - ٢٤]. والله لو تأملت لوجدت هذا المرض موجودًا في أمة الإسلام فيمن ينتسب إلى الإسلام، يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم يقولون: لا نلتزم بهذا الكتاب، لانلتزم بالحكم بما أنزل الله، لن نلتزم بهذه الشريعة، ويقولون: هذا كفر دون كفر، هي معصية من المعاصي، لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات، أليست حقيقة كفر دون كفر أنها معصية تمسه النار مدة ثم يخرج منها؟ هذا الذي جعلوه في غير موضعه، نحن نقر أن هناك معاص وذنوب يبقى الناس الذين ارتكبوها في النار أيامًا أو سنين أو مدة ثم يخرجون، نحن لا ننكر وجود هذا الأمر، ولكن هل يقع ذلك على كل أمر من الأمور؟ الله قد نفى أن يكون ما فعله هؤلاء الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، من أنهم يُدْعوْن إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون، أن يكون ذلك عقوبته أيام معدودة في النار،

بل جعل سبحانه ذلك من الافتراء، غرهم في دينهم ما كانوا يفترون، نعم والله قد غر أناسًا في دينهم ما كانوا يفترون، حين جعلوا أن من دُعي إلى كتاب الله ليحكم بينه، فقال: لا ألتزم بحكم الكتاب، ولا أتّبع الكتاب، ولا أرضى بحكم الكتاب. ويظل على إعراضه - والعياذ بالله - أن ذلك مجرد عاص لله ﷻ، سوف يعذب أيامًا في النار ثم بعد ذلك يخرج، نعوذ بالله، هذا الذي يقع من كثير ممن ينتسب إلى العلم والدين مشابهًا أهل الجاهلية، مشابهًا اليهود الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، وأعرضوا وأبوا أن يتحاكموا إلى كتاب الله في الموضعين اللذين ذكر فيهما: «لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة» أو «معدودات». تجد الافتراء على الله ﷻ في هذين الموضعين، يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله؛ كما وصف الله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. إلا أماني: يعني إلا قراءة. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقد شرحنا من قبل - في هذه المسألة - أن من ينسب إلى كتاب الله وإلى شرع الله وإلى دين الله ما ليس منه، فهو مشابه لهؤلاء، قال: ﷻ ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، هذه القضية قضية خطيرة، وما أكثر من يدندن حولها في زماننا؛ ليجعلها بدلاً من أن تكون شركًا وكفرًا، وهو نسبة ما ليس من الدين إلى الدين، وهو يعلم، وافتراء الكذب على الله أو رفض التحاكم إلى كتاب الله ﷻ والإعراض عن ذلك يجعلها من باب المعاصي، وقد وصفها الله في كل المواضع في الكتاب بأنها من الشرك والكفر، نعم هناك نوع يسمى كذلك، وهو كفر دون

كفر، ولكن ليس هو الأصل، إنما هو من جنس المعاصي والذنوب، حاول بعض أهل البدع أن يلحقوه بالنوع الأول من أجل مشابهته له، وقد قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: «**كُفْرٌ دُون كُفْرٌ**»(١)، وليس معنى ذلك أن كل من تحاكم إلى غير شرع الله، أو أبى ورفض، أو أعرض عن التحاكم إلى شرع الله، يكون عاصيًا فقط، إنما هذا نوع - كما ذكرنا - فيه من الكفر الأكبر، وهو الأصل، وفيه من الكفر الأصغر، وهو الفرع أو الاستثناء الملحق به.

لذلك نقول: تمنيهم الأماني الكاذبة، الذين يرتكبون الكفريات، ويقولون: سوف نعذب قليلاً في النار. يسبون الله، ويسبون الدين، ويسبون الرسول ﷺ، ويستهزءون بالقرآن، ويقولون: كلنا سوف ندخل النار، لابد أن نعذب قليلاً ثم نخرج منها. والعياذ بالله، هذا والله حاصل، وهناك ممن يفتي الناس بالباطل، ويغرهم بالأماني الكاذبة من يفتيهم بأن من يسب الله صراحة باسمه سبحانه وتعالى إنما هو عاص فقط، ونسأل الله العافية، أهل ضلال وبدع، وأهل جهل ومنكر، بل في حقيقة الأمر من جنس هؤلاء اليهود، الذين يقولون: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة.

يُسب الله سبحانه وتعالى عند بعض المفتين الجهلة، والعياذ بالله، الناس يسبون الله الذي خلق سبحانه وتعالى، ويقول هؤلاء: إنما تجري على ألسنتهم، إنما يقولون ذلك عند الغضب ونحو ذلك، هل كانوا مجانين؟! تجري على ألسنتهم ماذا؟! الإنسان لا يحاسب على ما يتكلم به، حتى إذا قال كفرًا لم يؤاخذ بذلك، والعياذ بالله، إنما كنا نخوض ونلعب، هذا حال عجيب لكنه يقع

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢)، والبيهقي في السنن (٨/ ٢٠).

فعلاً؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لتتّبِعُنَّ سنن منْ قبْلكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وذِراعًا بِذِراعٍ، حتّى لوْ سلكُوا جُحْر ضبٍّ لسلكْتُمُوهُ، قُلْنا يا رسُولَ اللّهِ: اليهُودَ، والنّصارى قَالَ: فمنْ؟**»[1]، غرهم في دينهم ما كانوا يفترون، افتراء الكذب على الله أن يدّعِي أن دين الله أنه ليس فيه أن من سب الله ﷻ كان كافرًا، أو من سب الرسول ﷺ وسب القرآن واستهزأ بالقرآن يكون كافرًا، يقول: لا، ليس بكافر، بل هو عاص، بل هي من عادات الناس، بل هم طالما أنهم لم يقصدوا أن يخرجوا من الملة، فلا يخرجون منها. وهل اليهود كانوا قصدوا أن يخرجوا من الملة؟! بل هم - اليهود - يؤكدون أنهم على الملة؛ لأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة - في ظنهم - على تقدير شفاعة سيدنا موسى عليه السلام، وشفاعة سيدنا عيسى عليه السلام بالنسبة النصارى سوف تدركهم، ولو كانوا كفارًا، والعياذ بالله، هم كفار عند الله ﷻ، كونهم لا يعتقدون أنهم كفار، لا يغني عنهم شيئًا، قد قالها المنافقون الذين أنزل الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، فماذا قالوا؟ قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب، ولم نقصد أن نكفر، والعياذ بالله، فقال الله لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فيُفتح لهم الباب في أنه يمكنهم أن يتوبوا إلى الله حتى يعفو عنهم، وليس أن هذا ليس من الكفر، وأن نقرر الأوضاع الباطلة - والعياذ بالله - من أنواع الكفر والشرك، وأن نحذف الشرك والكفر من كل شيء، وليس معنى

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٩).

ذلك أننا نقول: يبقى كل شيء كفر وشرك، لا، فأهل الباطل والبدع من الخوارج يجعلون الذنوب والمعاصي كفر وشرك مخرج من الملة، ضلال مبين، لكن لابد وأن نعرف كل شيء بدليله من الكتاب والسنة، لا لكي نرد على الخوارج ومن يكفر بالباطل نخرج الذنوب المكفرة والمكفرات والشركيات من حقيقتها، هذا من فعل أهل الكتاب؛ لأنهم غرهم في دينهم ما كانوا يفترون، أنهم تمنوا الأماني الكاذبة، فهؤلاء الذين يسبون الله ويسبون دينه، ويظنون أنهم بذلك إنما هي معصية خفيفة أو أحيانًا في المجاملات، القصة التي ذكرها الشيخ أحمد شاكر عن والده رَحِمَهُ اللَّهُ عندما خطب رجل في حضرة أحد الملوك - أظن الملك فؤاد الأول، أو أظن السلطان حسين على ما أذكر - فجاءه أحد العميان فرحب به واستقبله، فخطب خطبة يمدح الملك فيها، فقال: «جاءه الأعمى فما عبس ولا تولى» والعياذ بالله. فقام الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر، محدث الديار المصرية رَحِمَهُ اللَّهُ، فأمر الناس بأن يصلوا جمعتهم ظهرًا؛ لأن خطيبهم قد كفر؛ لأنه عرّض بالرسول ﷺ وطعن فيه عندما قال: إن هذا الملك أحسن تصرفًا من النبي ﷺ؛ لأن الله قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾، فقال هذا: جاءه الأعمى فما عبس ولا تولى. يعني: تريد أن هذا الملك الذي تجامله أحسن تصرفًا خيرًا من الرسول ﷺ، وحتى أرسل للسلطان أن يعيد صلاة الجماعة، وأعادها السلطان وقبِل ذلك؛ لأنه أخبره أن الخطيب ارتد عن الإسلام، والعياذ بالله، وقد أذل الله هذا الخطيب بعد ذلك ذلاً عظيمًا، وصار بعد ذلك يتكفف الناس، ونسأل الله العافية.

فمثل هذا الظن الكاذب أن الإنسان ممكن فعلاً أن يتكلم بالكلمة من

سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا، وهو يظنها مما لا تمسه النار إلا أيامًا معدودة، وهو مخلد في النار، غرهم في دينهم ما كانوا يفترون، نعوذ بالله.

لذلك كل شيء لابد أن يكون له دليل، وليس الناس تُقسّم على ما تختار، فيقول أحدهم: هذا من الكفر. وآخر يقول: لا ليس من الكفر. كما يريد أن يجعل الزنادقة والمنافقون الكفر شيء لا وجود له في الدنيا، لا اليهود كفار، ولا النصارى كفار، ولا منافقين، ولا أحد أصلاً - كأن الكفر هذه كلمة تكون في الهواء ليس لها وجود -؛ حتى تتمزق عقيدة التوحيد، والعياذ بالله.

والمثال الثاني الذي ذكره: قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾، فاليهود يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا. والنصارى يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا. والمسلمون هم الذين وصف الله ﷻ حقيقة إيمانهم وإسلامهم بما قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾. ممن كان من اليهود، وممن كان من النصارى، وممن كان من المسلمين بعد ذلك، لابد من إسلام الوجه والإحسان في عبادة الله من الإخلاص والاتباع للرسول ﷺ، وإنما نعني من كان مؤمنًا من اليهود أو من أسلم وجهه لله وهو محسن من اليهود والنصارى ممن كان في زمن الأنبياء السابقين، لا نعني أنه يوجد الآن بعد أن يبلغهم خبر

الرسول ﷺ من يمكن أن يكون مؤمنًا أو مسلمًا، بل بلغه خبر الرسول ﷺ وبلغته رسالته أنه يدعو إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فأبى أن يلتزم بذلك، فهو مخلد في النار، كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، ليس بمؤمن ولا بمسلم ولا بناج عند الله بإجماع المسلمين، وإن شك في ذلك من شك.

فعقيدة اليهود أنه لا أحد من أهل الملل ناج إلا من كان يهوديًا، والنصارى مقتضى عقيدتهم أنه لا خلاص إلا بالمسيح؛ ولذلك فهم لا يستطيعون أن يردوا أبدًا على الأجيال من أول آدم عليه السلام حتى المسيح، كيف يخلصون من الخطيئة؟ فهم لم يقبلوا المسيح مصلوبًا، لم يكن هناك صلب أساسًا، ولا الكتب السابقة جاءت بذلك ولا شيء، وهم عندهم لا نجاة إلا بالمخلِّص المصلوب. وماذا عن الأمم السابقة؟ والأمم اللاحقة التي لن تقبل هذه الخرافة، والعياذ بالله؟ فيكون هؤلاء من الهالكين؛ لأنهم لم يقبلوا الخلاص المزعوم.

فهم يصرون أنه مهما عملت من الصالحات، ولو عبدت الله عز وجل، ونفذت الوصايا العشر، ونفذت كل وصايا المسيح، ثم لم تقبل المسيح مُخلِّصًا مصلوبًا من أجلك، لم ينفعك شيء، هذا هو اعتقادهم الفاسد، طيب والأمم والأنبياء الذين جاءوا قبل ذلك ماذا سيفعلون، وهم لم يقولوا للناس هذا الكلام، ولا قالوا لهم: يوجد أقنوم لابد أن تؤمنوا به من أقانيم الرب، يُصلب من أجلكم؛ حتى يطهركم من خطاياكم؟ لا موسى قال ذلك، ولا إبراهيم قال ذلك، ولا داود ولا سليمان ولا أحد من الأنبياء قال ذلك قط، والكتاب موجود، أخرجوا أي شيء من ذلك، قولوا أي شيء في مسألة أنه

لابد من يسوع المسيح المُخلِّص المصلوب من أجلك.

نحن عندنا أن هناك إيمان سابق، اليهود - كما قلنا - حصروا الإيمان في اليهود، والنصارى حصروه في طائفتهم، مع أنهم من تناقضهم يقرون بالأنبياء السابقين، فكيف وهم لم يقبلوا المخلص على ما تزعمون؟! أهل الإسلام يقولون: كان هناك مؤمنون من أول آدم وحتى عهد محمد ﷺ، صحيح كانوا قلة في آخر الزمان، لكن إلى آخر الزمان - بفضل الله ﷻ - يوجد مؤمنون؛ هناك مؤمنون من اليهود، ومؤمنون من النصارى، ومؤمنون من الصابئين، ومؤمنون من الذين آمنوا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]. فهذه حقيقة فعلاً، تجد أنه لا أحد يقول بهذه الحقيقة غير أهل الإسلام، فنحن عندنا نعترف أنه كان هناك مؤمنون مع سيدنا موسى عليه السلام، ومؤمنون مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومؤمنون مع سيدنا عيسى عليه السلام، وبعد ذلك إلى أن بعث النبي ﷺ، فمن صدق منهم النبي ﷺ كان من هذه الأمة، وكان مؤمنًا كواحد من هذه الأمة بفضل الله ﷻ، فالمؤمنون هم الذين يدخلون الجنة، لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، لكن ليس أن أحدًا يبلغه خبر رسول من الرسل فيكذبه فيكون مؤمنًا، من قال ذلك كان مكذِّبًا للقرآن العظيم؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]. فمن فرّق بين بعض الرسل وقال: نؤمن ببعض - موسى أو عيسى - ونكفر ببعض - نكفر

بمحمد -، وبعد ذلك يقول أحد عنهم إنهم مؤمنون، فهذا كافر بالقرآن العظيم، يكون كذب القرآن، هذا إذا كانوا موحدين، فكيف وهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم؟! وقالوا: عزير ابن الله، وقالوا: المسيح ابن الله، قد قالوا أنواع الكفر المتعددة، والعياذ بالله، ومع ذلك يقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى.

كل فرقة من الفرق المنحرفة تقول: لن ينجو إلا نحن. فإن قيل: أنتم أيضًا - أهل السنة - تقولون ذلك، فأهل السنة يقولون: كلها في النار إلا واحدة. فنقول: لسنا نحن الذين نقول ذلك، الرسول ﷺ هو الذي قال: «**لتفْترِقنّ أُمّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وسبْعِين فِرْقةً فواحِدةٌ فِي الْجنّةِ وثِنْتانِ وسبْعُون فِي النّارِ**». قِيل يا رسُول اللّهِ منْ هُمْ قال «**الْجَمَاعةُ**»، وفي الرواية الأخرى قال: «**منْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي**»[1].

فنقول كما قال ربنا ﷻ: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ**﴾. ما أساس أهل السنة والجماعة؟ ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾**﴾، لابد من الإسلام والإحسان، لابد من أن تحقق الإسلام والإيمان والإحسان الذي جاء به النبي ﷺ، ليس بمجرد الانتساب لا أن تقول: أنا سُنِّي أو أنا منتسب لمنهج أهل السنة، فتكون ناجيًا، لا، بل أين عملك؟ لابد أن تُحسن، لابد أن تتقي الله، لابد أن تكون مسلمًا وجهتك لله ﷻ.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٦٠).

الْمسْأَلَةُ الْحَادِيَةُ والثّمانُون: اتِّخاذُ قُبُور أنْبِيائِهِمْ وصالِحِيهِمْ مساجِد.

الـشـــرح:

هذا مما استفاض، أو قل تواتر عن النبي ﷺ التحذير منه، وبيان أن أهل الكتاب من قبلنا كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ونهى هو ﷺ عن ذلك، خطب أصحابه في مرض موته قبل أن يموت بخمس، وقال في خطبته - حديث سمرة رضي الله عنه -: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قبْلكُمْ كانُوا يتّخِذُون قُبُور أنْبِيائِهِمْ مَسَاجِد، ألا فلا تتّخِذُوا الْقُبُور مساجِد، أنّي أنْهاكُمْ عنْ ذلِك**»[1] وفي سياق مرضه ﷺ وفي سياق الموت كان عليه خميصة يغطي بها وجهه فإذا اغتم كشفها، فقال وهو على هذه الحال: «**لعْنةُ اللّهِ عَلَى اليهُودِ والنّصارى، اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مَسَاجِد. يُحذِّرُ ما صنعُوا لَوْلَا ذلِكَ أُبْرِز قبْرُهُ، غيْر أنّهُ خشِي أنّ يُتّخذ مسْجِدًا**»[2].

وكذلك قال ﷺ: «**إنَّ مِنْ شِرَارِ الْخلْقِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السّاعةُ وَهُمْ أحْياءُ، والّذِين اتّخذُوا الْقُبُور مساجِد**»[3].

وقال ﷺ لما ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة رأتاها بأرض الحبشة، وذكرتا ما فيها من الصور، فقال: «**أُولئِكِ إذا مات فِيهِمُ العبْدُ**

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، وابن حبان (٦٨٤٧).

الصّالِحُ، أوِ الرّجُلُ الصّالِحُ، بنوْا على قبْرِهِ مسْجِدًا، وصوّرُوا فِيهِ تِلْك الصُّور، أُولئِكِ شِرَارُ الخلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»(١).

وهذه الأحاديث كلها في الصحيح، ولعْن ﷺ من فعل ذلك يدل على غلظ تحريم هذا الأمر، ولا يُقال: إن هذا فيمن كان يعبد الصالحين، بل إنما ذكر النبي ﷺ من اتخذها مساجد يعبد فيها الله، لكن عند قبورهم؛ وذلك لأن هذا العمل البدعي المحرم ذريعة إلى عبادة غير الله ﷻ، ولقد وقع من هؤلاء الذين اتخذوا القبور مساجد، وصوروا فيها الصور أن عبدت الأوثان والصور من دون الله ﷻ أو مع الله ﷻ، وقال النبي ﷺ: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ قبْرِي وثنًا يُعْبدُ، اشْتدّ غضبُ اللَّهِ عَلَى قوْمٍ اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مَسَاجِد»**(٢).

قوله: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ قبْرِي وثنًا يُعْبدُ**»، يدل على أن هناك من يعبد الأوثان التي على القبور، فإنما يدعو ﷺ من شيء يُخاف منه، وبيّن الذريعة المؤدية إلى صيرورة القبر وما عليه من الآثار (**وثنًا يُعبد**)، بيّن الأسباب المؤدية إلى ذلك، وهو قوله: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ قبْرِي وثنًا يُعْبدُ، اشْتدّ غضبُ اللهِ على قوْمٍ اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مساجِد**».

فعلمنا من ذلك أن اتخاذ القبور مساجد يؤدي إلى صيرورتها أوثانًا تعبد من دون الله، فدل ذلك على أن النهي عام، سواءً قصد التبرك بعبادة الله عندها، أو قصد تعظيم البقعة من أجل دفن الصالحين فيها، أو غير ذلك

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٨٣).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

من الأسباب؛ لأن الأحاديث عامة، ولا أفضل ولا أكثر بركة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فدل ذلك على خطورة اتخاذ القبور مساجد، وأن هذا من الكبائر، وبعض المتقدمين من أهل العلم قد أطلق الكراهة، والمظنون بالعلماء أنهم قصدوا الكراهة الشرعية التي تشمل المحرم والمكروه، فلقد قال ﷻ بعد أن ذكر الشرك والعقوق وقتل النفس بغير حق، وغير ذلك من الأحكام العظيمة الغليظة من أول الشرك فما بعده -: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨]، فهذه الكراهة كراهة بالشرع ولا يلزم منها الكراهة الاصطلاحية التي هي خلاف الأولى، وإنما هي: الشرك مكروه عند الله كرهه الله، وعقوق الوالدين مكروه كرهه الله، وقتل النفس وفعل الزنا وظلم اليتيم وغير ذلك، كل ذلك مكروه تحريمًا، ليس أنه مكروه بمعنى التنزيه؛ فلذلك نقول: من قال من أهل العلم: أكره أن يُتخذ القبر مسجدًا، أخشى عليه الفتنة وعلى من بعده، إنما قصد بذلك الكراهة الشرعية[1]، كما ورد عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما نهى رسول الله ﷺ عن ذلك سدًا لذريعة الشرك، كما فهمه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «**أخشى عليه - يعني على من اتخذ القبر - وعلى من بعده الفتنة**». وليس لأجل نجاسة الآدمي بعد موته، ولا لأن صديد الموتى يختلط بالتربة ونحو ذلك، فإن هذا ليس بصحيح أصلاً، وليس هذا صارفًا يصلح لأن يجعل هو علة النهي، حتى إذا وضع شيء طاهر زالت العلة، العلة باقية على أي الأحوال، والنبي ﷺ حين حذر من اتخاذ قبور الأنبياء

(١) انظر: فتح المجيد (ص٢٣٢).

مساجد، بالقطع واليقين أن أبدان الأنبياء لا تتنجس، فهي طاهرة أحياءً وأمواتًا، وإذا كان المؤمن الذي ليس بنبي طاهر حيًا وميتًا، بل الصحيح أن الإنسان كإنسان لا ينجس بالموت، والله أعلى وأعلم.

فعلى أي الأحوال المؤمن لا ينجس بحال، كما قال النبي ﷺ: «**إِنّ الْمُسْلِم لا ينْجُسُ**»(١).

فإذًا، بدن المؤمن ولو مات لا يزال طاهرًا، كما ذكرنا بالإجماع أن الأنبياء أبدانهم طاهرة في الحياة وبعد الوفاة؛ لذلك لا يجوز التعليل بذلك؛ لأن النص ورد في قبور الأنبياء التي لا يُتصور فيها النجاسة، والأمر عام في حديث أم سلمة وأم حبيبة بين قبر أو قبرين أو ثلاثة، بل ظاهر حديث أم سلمة وأم حبيبة أنه في قبر واحد؛ لأن بعض المتأخرين قال: لا تسمى مقبرة إلا إذا كانت فيها ثلاثة قبور؛ وأما ما هو أقل من ذلك فلا يُعتبر، فلقد قال النبي ﷺ: «**أُولئِكِ إِذا مات فِيهِمُ العبْدُ الصّالِحُ، أوِ الرّجُلُ الصّالِحُ، بنوْا على قبْرِهِ مسْجِدًا، وصوّرُوا فِيهِ تِلْك الصُّور، أُولئِكِ شِرَارُ الخلْقِ عِنْد اللّهِ**»(٢)، فدل ذلك على أنه لا فرق بين أن يكون قبر أو قبرين أو ثلاثة؛ لذلك العلة في هذا هو خوف تعظيم الميت تعظيمًا فوق ما شرع له، وارتباط الناس به، وخصوصًا مع اندثار العلم وانتشار الجهل يكثر في الناس الخلل في باب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١) عَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه، ولفظه: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ**».

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٣).

الاعتقاد، ويكثر عندهم الغلو في الصالحين، ولقد قال النبي ﷺ: «**إِيّاكُمْ والْغُلُوّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قبْلكُمُ الْغُلُوُّ**»[1] إذًا، العلة في منع اتخاذ القبور مساجد هو خوف الغلو في الصالحين من الجهال ومن يجري مجراهم، هم أنفسهم بعد حين بعد اتخاذهم القبور مساجد يغالون فيمن اتخذوهم، وينسبون إليهم أنواع الكرامات، التي تتحول تدريجيًا إلى كون هؤلاء يتصفون بصفات الربوبية والألوهية، بزعم أن هذه كرامات، فيقولون: من كراماته أنه يجيب من دعاه، ومن كراماته: أنه يسمع كل من يناديه ولو في أقاصي البلاد، ولو في الصين. ويثبتون له السمع المحيط، والبصر المحيط، والقدرة التامة، والشفاعة الشركية التي يزعمونها، حتى قال قائلهم ناسبًا ذلك إلى الله ﷻ: الملك مُلكي وصرفتُ فيه البدوي. نعوذ بالله، يفترون على الله الكذب، فيقولون: هذه من كرامات الأولياء، وكل هذا من الضلال المبين سببه بداية الغلو وسببه اتخاذ القبور مساجد؛ لذلك نقول: إنما انتشر هذا الأمر بعد ما سيطرت دول البدع والضلال والانحراف من الدولة العبيدية المسماة في التاريخ بالفاطمية، وهي بريئة من فاطمة رضي الله عنها وفاطمة بريئة منها، انتشرت بدعة اتخاذ القبور مساجد عندهم، وصارت بعد ذلك ذريعة من ذرائع الشرك، والعياذ بالله من ذلك، وهذا أمر ملحوظ في كل مكان انتشرت فيه هذه البدعة، تجد أنواع العبادات تُصرف لغير الله ﷻ عند هذه القبور، فهم ينذورن لها، ويحلفون بها، ويطوفون حولها، ويسجدون حولها، ويتضرعون حولها، ويشتكون أعداءهم إليها، ويتمسحون بحديدها ويتبركون بآثارها، ويحتفلون بالموالد حولها؛ حتى تُضاهى بموسم الحج،

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥٥).

ويُقال عند الغلاة منهم: هذا حج الخاصة، وحج الكعبة حج العامة، والعياذ بالله، وهذا كله من أضل الضلال، والعياذ بالله، بل جعل زيارة الأولياء المزعومين وبعضهم ليس بِوليّ، ومنهم من ليس بموجود أصلاً في القبر، يُسمى باسمه وليس له وجود، فجعْل زيارة هؤلاء في موالدهم أعظم مِن حج بيت الله الحرام هو كفر بالله ﷻ.

وكما ذكرنا: النذر والطواف والذبح والدعاء والتضرع لهم، كل ذلك من الشرك؛ لأنه دعاء غير الله، صرف العبادة لغير الله، ولقد نصت الآيات الأدلة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أن هذا شرك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

والآيات في دعاء الله ﷻ وترك دعاء من دونه، ووصم من دعا غير الله بالشرك من أكثر الآيات بيانًا في القرآن العظيم، وهذا كله مُشاهد في هذه القبور المتخذ عليها المساجد، تبدأ بِنيّةِ عبادة الله، ثم تتحول بوسوسة الشيطان إلى عبادة غير الله من أصحاب هذه القبور، التي تسمى المساجد باسمهم؛ لذلك كان هذا من فعل أهل الجاهلية، ولقد نصت السنة على أن هذا من فعل اليهود والنصارى، والقرآن قد ذكر في قصة أصحاب الكهف أن هذا فعل من ظهروا عليهم، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١]، وبعض الجهلة والمقلدين والمغرضين

من أهل البدع يحتج بهذه الآية على جواز اتخاذ القبور مساجد، تاركًا الأحاديث الصحيحة، بل ضاربًا بها عرض الحائط، لا يعبأ بها ولا يتلفت إليها، بل يزعم أحيانًا ضعفها وأحيانًا نسخها إذا عجز عن الجواب عنها، باحتجاج بأن الله أقر الذين عثروا على أصحاب الكهف على اتخاذ المسجد عليهم بعد أن ماتوا، وهذا من أبطل الباطل، فنقول: شرعنا إنما يثبت بالكتاب والسنة، فمن قال إن الله رضي ذلك وأقره ﷻ؟! وما مدح الذين اتخذوا هذا الأمر، وإنما قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾، والغلبة عند أهل الكتاب في الغالب إنما تكون للأحبار والرهبان الذين ذمهم الله ﷻ - وليس لأهل العلم - وإن كانوا منتسبين إلى الأنبياء، فنقول: لمْ يقل ﷻ: قال الذين آمنوا، قال الذين أوتوا العلم، وإنما قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾. وبيّن الرسول ﷺ أن من فعل ذلك ملعون، فكيف يُقال: إن ذلك أقره القرآن؟![1]

فنقول: قول بعض أهل العلم (مكروه)، إنما قصد به الكراهة الشرعية الاحتجاج بالآية ليس له وجه على الإطلاق؛ لأنه لم يُقرّ؛ لأن الوحي كتاب وسنة، والسنة جاءت بلعن من فعل ذلك، فدل على أنه لا يجوز أن يُقتدى بهؤلاء بعد أن أتى شرعنا بخلافه، بل وشرعهم لم يأت أصلاً بذلك؛ لأنه لو كان شرعهم باتخاذ القبور مساجد، لما لعنوا على ذلك، ولما كانوا شرار الخلق عند الله ﷻ؛ لأن ذلك جائز في شريعتهم، فالشريعة واحدة في هذا الباب وهو النهي عن الغلو، قال النبي ﷺ: «**إِيّاكُمْ والْغُلُوّ فِي الدِّينِ، فإنّما**

(١) انظر: (١/ ١٩٠).

أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»[١].

يعودون فيحتجون بقبر النبي ﷺ من أنه في مسجده، فنقول: مات النبي ﷺ ومسجده ليس به قبر على الإطلاق، ودفن ﷺ بحجرة عائشة رضي الله عنها بيته ﷺ؛ لأن الأنبياء يدفنون حيث قبضوا، فتم التشريع على ذلك، فكيف يكون فعل أناس بعد عهده ﷺ في عصر التابعين ناسخًا لنهيه ﷺ؟! ومن يملك أن يزعم نسخ شيء من الكتاب أو السنة بفعل بعض الأمة، فإن هذا خلل عظيم، فالله عز وجل هو الذي ينسخ، والرسول ﷺ هو الذي يبين النسخ، فكيف يدعي من يدعي أن هناك نسخ في هذه الأمور العظيمة، التي لم يرد قط ما يخالفها، بل إن رسول الله ﷺ أبلغ بها الناس في مرض موته، وقبل أن يموت بخمس، فكيف يمكن أن تكون هذه منسوخة؟! فليست بمنسوخة وأما إدخال القبر في المسجد فتم تحت ضرورة التوسعة، وفي حقيقة الأمر بنوا حول القبر جدارًا خماسيًا يمنع من استقبال القبر للصلاة، وبالتالي اتسع المسجد من حول القبر، ولم يتخذ القبر مسجدًا، لم يدخل الناس إلى القبر في حياة عائشة رضي الله عنها للصلاة في الحجرة، وإنما كانوا يصلون في المسجد، ثم يأتون فيسألون أم المؤمنين رضي الله عنها عما شاءوا، وما استأذن أحد قط على عائشة رضي الله عنها ليدخل ليصلي بجوار قبر النبي ﷺ، ولم ينقل حرف واحد من ذلك؛ ولذلك نقول: إن المسجد اتسع من حول القبر، وبني حول القبر جدار خماسي بشكل خماسي رأس مثلثه عكس اتجاه القبلة؛ حتى لا يتمكن أحد من أن يستقبل القبر مباشرة بالصلاة.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥٥).

فتبين بذلك حرص من فعل ذلك، من وسع المسجد من حول القبر، ألا يستقبل الناس القبر، ولا أن يدخلوا إلى القبر ليصلوا فيه، فلا يقال إذًا: من صلى في مسجد الرسول ﷺ على حاله الذي هو عليه الآن، أنه قد اتخذ القبر مسجدًا، إلا من نوى ذلك، وهذا أمر ليس بظاهر، ولا يُطلع عليه وذنبه على من نواه، أعني: أنه يأتي إلى المسجد يصلي؛ لأجل وجود القبر، كما أن البعض يرى أن فضيلة المسجد لأن الرسول ﷺ قد دفن فيه، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن المسجد له فضيلته في حياة الرسول ﷺ ثابتة، فلا تزداد بعد وفاته ﷺ بتوسعة المسجد من حول القبر؛ لذلك نقول: إن مسجد الرسول ﷺ لا يمكن نقله؛ لأن الفضيلة فيه حيث هو في مكانه، ولا يمكن نبش قبر النبي ﷺ بحال من الأحوال ولا نقل جثمانه منه؛ ولأن الأنبياء يدفنون حيث قبضوا، واتسع المسجد من جميع الجهات، وبقيت هذه الجهة تحتاج إلى التوسعة فوسعوا من حوله، ومن هنا بقي المسجد في الحقيقة ليس به قبر، وإنما هو متسع من حول القبر، كما قد نشبه: في بعض المساجد يوجد مثلاً مدخل لسلم داخلي قد يكون متصلاً بالمنزل، يتسع المسجد من جهات، ويبقى هذا خاصًا بأهل المنزل المجاور ويكون خارجًا عن الوقف، يعني: الناس بنوا مسجدًا، وهذا المسجد كان هناك سلم مثلاً بجواره في بيت أو منزل مجاور، ثم اتسع المسجد في الدور الأول أو الثاني، وبقي هذا السلم لاستعمال أهل العقار، وهو في الحقيقة خارج المسجد، فحكمه أنه خارج عن الوقف؛ ولذلك الجزء الخاص بقبر النبي ﷺ خارج عن وقف المسجد، وإنما هو قبر النبي ﷺ.

لا يُتخذ القبر مسجدًا إلا بأحد هذه الأمور الآتية:

أولاً: أن يُبنى عنده بناء لأجله، فلو أن المسجد قد بُني ابتداءً وكان بينه وبين المقابر فاصل، واحتاج إلى التوسعة، فاتسع حتى اقترب من المقابر، ولكن ينبغي أن يظل هناك فاصل، نقول: هذا المسجد لم يُبنى من أجل القبور، وبالتالي فهذا البناء ليس من اتخاذ القبور مساجد، لكن من قصدوا إلى قبر رجل صالح وبنوا بجواره، سواء في قبلته، أو في عكس اتجاه القبلة، أو حوله، أو فوقه، بأي طريقة كانت، ليس فقط أن اتخاذ القبر مسجدًا أن يأتي عنده قدر أربعة أذرع في ثلاثة أذرع، ويقول: هذا فقط هو المسجد! وهل من عاقل يقول: إن الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما[1] كانت على قدر قبر الرجل الصالح ثلاثة أذرع في أربعة أذرع؟! الكنيسة عظيمة رأتاها بأرض الحبشة، وكانت فيها صور، والنبي ﷺ بيّن أنهم بنوا على قبره مسجدًا، ليس أنه يقصد الثلاثة أذرع في أربعة أذرع، وهذا ليس بمعتاد أن يكون كنيسة ولامعبدًا ولا شيئًا على الإطلاق؛ لأن بعض الذين يريدون إضحاك الناس عليهم أو يقع ذلك، يقولون: إنما ينهى عن هذا الموضع فقط إذا بنى على قدر القبر؛ أما إذا بنى حوله يمينًا وشمالاً فلا بأس، والعجب أن يُظن أن هذا من أهل العلم، مع أن النبي ﷺ نهى عن ذلك، كما ينهاهم عن شيء لا يتسع لقدر رجل أو رجلين يصليان، ويقال: هذا هو المنهي عنه فقط. لا، بل كل ما بني عند القبر؛ أمامه أو خلفه، حوله أو بجواره، عن يمينه أو شماله لأجل معنى القبر، فهو من اتخاذ القبور مساجد.

---

(١) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (١/ ١٨٣).

ثانيًا: القصد بالصلاة إلى القبر من اتخاذ القبور مساجد، نهى الرسول ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وقال: «**لا تُصلُّوا إِلى الْقُبُورِ، ولا تجْلِسُوا عليْها**»[1]، فهذا يشمل من صلى فوقها، ويشمل من صلاها إليها، وبعض المتأخرين أيضًا يحصر الصورة في هذا، يقول: إنما يُنهى عن الصلاة في المسجد الذي به قبر إذا كان في القبلة فقط. وهذا باطل أيضًا، بل حتى ولو كان في مؤخرة المسجد أو حتى بجواره، فإن بناء المكان للصلاة عند القبر لأجل معنى الرجل الصالح فداخل في النهي؛ لأن الحديث عام: اتخذوا القبور مساجد، قال: بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، فتشمل ما بُني في أي جزء من أجزاء المسجد، وليس أنهم بنوا عليه ذلك القدر فقط، والكنيسة طبعًا كبيرة جدًا، فالقبر الذي سيبنى سيكون جزءًا صغيرًا جدًا منها، والباقي عن يمينه أو شماله، والرسول لم يستفسر، ولم يقل: أكان في القبلة؟ أكان في غيرها؟ بل قال: أولئك شرار الخلق عند الله.

فدل ذلك على أن هذه الصورة صورة أغلظ؛ لأنها يجتمع فيها المعنيان، وخوف الفتنة فيها أشد، أعني: أن يكون القبر في القبلة، أو أن يصلي على المقبرة مباشرة، هذا أغلظ، لكن من اتخذ القبر مسجدًا بوجود بناء عنده لأجل القبر، فسواء كان في القبلة، أو لغير القبلة، فهو داخل في النهي.

وصورة ثالثة: وهو قصد الصلاة، أن يقصد أن يصلي عنده، أن يأتي ليصلي بجواره تبركًا وتعظيمًا، مع أن بعض المتأخرين ممن ينتسب إلى أهل

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

العلم نص على مشروعية ذلك، وهو باطل بلا شك، فإنه كل بقعة تقصد بالصلاة فهي قد اتخذت مسجدًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**وجُعِلتْ لِي الْأَرْضُ مسْجِدًا وطهُورًا**»(١). لولا ما ورد من الأدلة من أن من لم يقصد الصلاة إلى القبر، ووقع دون علم منه مثلاً بوجود القبر، أو جعل القبر خلفه تخلصًا من ذلك ولم يقصد الصلاة عنده، لقلنا: قد اتخذه مسجدًا. لكن ثبت أن أنس رضي الله عنه صلى إلى قبر: «**بيْنما أنسٌ يُصلِّي إلى قبْرٍ، ناداهُ عُمرُ الْقبْر الْقبْر، فظنّ أنّهُ يعْنِي الْقمر، فلمّا رأى أنّهُ يعْنِي الْقبْر، جاز الْقبْر وصلّى**»(٢)، فتخطى أنس رضي الله عنه حتى جعل القبر خلفه، فصلى.

فدل ذلك أن من لم يعلم بوجود القبر فصلاته صحيحة؛ لأنه لم يقطع صلاته، وأقره عمر رضي الله عنه على ذلك، وهما صحابيان لا نعلم لهما مخالف في ذلك، وأنه حين لا يكون قاصدًا للصلاة إلى القبر، فلو صلى خلفه فقد زالت عنه العلل كلها في هذه المسألة، وبالتالي لو صلى دون قصد منه، كما يقع في كثير من المساجد التي تكون قريبة من المقابر، والناس إنما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**». واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦١٠)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٤١١)، وبوب له البخاري (١/ ٥٢٤ فتح) (بَابٌ: هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: القَبْرَ القَبْرَ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالإِعَادَةِ».

يقصدونها للصلاة فيها صلاة الفريضة ثم صلاة الجنازة لقربها من المقابر، فهذه المسجد مع وجود فاصل، سواء جدار، أو ممر صغير أو كبير، فكلما زاد كلما كان أبعد عن الشبهة، لكن يوجد ممر ولو صغير، والناس لا يقصدون هذا المسجد من أجل القبر، فهذه لا يُنهى عنها.

وكذلك من كان سائرًا مثلاً قريبًا من المقابر، ليس في وسط المقابر، وصلى في الطريق المجاور، فهو ليس ممن اتخذ القبور مساجد، والله أعلى وأعلم.

فهذه المسألة مما كثر اللغط حوله وكثر الاستدلال الباطل، كما ذكرنا يستدلون بفعل أناس من عصر التابعين، لم يقصدوا ما أراد هؤلاء من اتخاذ القبور مساجد، والصورة التي فعلوها هي توسعة مسجد النبي ﷺ من حول القبر، مع أخذ الاحتياطات ببناء الجدار الخماسي كما ذكرنا، حتى لا يستقبل الناس القبر.

يبقى احتجاج بعض المعاصرين بأن أثرًا ورد عن الزهري أن أبا بصير لما مات اتخذ بعض الصحابة قبره مسجدًا، وهذا حديث ضعيف مرسل، لا تثبت به حجة من جهة الإسناد[1]، ثم لو ثبت لما كان فيه حجة؛ لأنه لابد أن يكون الرسول ﷺ قد اطلع على ذلك فأقره، حتى يقال: قد تعارض هذا مع ما ثبت من نهي رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، فنبحث عن المرجح عند ذلك، نقول: الترجيح سوف يكون بالقطع للأحاديث المستفيضة، التي يعني يبلغ الصحيح منها أكثر من عشرة أحاديث

(١) سبق تخريجه (١/ ١٨٩).

عن نحو ثلاثة عشر صحابيًا، ممن ثبت عنه ما روى عن النبي ﷺ من تحريم اتخاذ القبور مساجد[١].

فلو كان هذا الأثر صحيحًا، وعُلم أن النبي ﷺ أقر من اتخذ على قبر أبي بصير رضي الله عنه مسجدًا، لكان الترجيح بعد ذلك؛ لأنه إذا لم يمكن الجمع لجأنا إلى الترجيح، والترجيح هنا بكثرة الأحاديث الثابتة.

ولو زعموا النسخ، نقول: أي شيء نسخ نهي النبي ﷺ، وهو في مرض موته، قبل أن يموت بخمس، وأبو بصير إنما مات قبل فتح مكة؛ فلذلك نقول: لو لكان حديث اتخاذ المسجد على قبر أبي بصير لكان منسوخًا للنهي عن ذلك.

كيف وهو لم يثبت؟! وكيف وهو لم يطلع النبي ﷺ عليه؟! فأي شيء أعجب من أن يحتج بهذا على مثل هذا الذي ذكروه؟!

كيف تترك الأحاديث الصحيحة إلا للتقليد الأعمى، وإلا للتعصب للرأي والمذهب حول هذه المسألة الخطيرة، أن أسلافهم كانوا يصلون في المساجد التي بها قبور؟!

الشيخ الفلاني كان يصلي في المساجد التي بها قبور، والشيخ الفلاني أوصى عند موته أن يُجعل مسجد عند قبره، وفعل ذلك بالفعل، فأي احتجاج في هذا؟! وأي حجة بعد كلام النبي ﷺ؟!

لذلك القضية قضية خطيرة، وهي ذريعة للشرك - ونسأل الله العافية -،

---

(١) راجع (١/ ١٧٦، ١٨٣).

وأنواع الشرك واقعة بالفعل حول هذه المساجد التي بنيت على القبور.

يبقى أن نتكلم عن حكم الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور، نقول: هذا النهي هل يقتضي الفساد مطلقًا كما هو مذهب الحنابلة، أم هو يقتضي التحريم، ولا يلزم منه الفساد كما هو مذهب من يقول بانفكاك الجهة؟

الذي يظهر - والله أعلى وأعلم - أن هذه الأحاديث هي من باب سد الذريعة، ذريعة الشرك، ولا شك في لزوم سد ذريعة الشرك، وأن الشرع قد حمى حِمى التوحيد؛ ولذلك نقول: إن من لم يقصد تعظيم القبر بالصلاة عنده، فهذا لم يقع في هذا الشرك الذي قد نهي عنه، وإنما صلى صلاة يُنهى عنها تحريمًا؛ لأجل ألا يكون هناك ذريعة بعد ذلك في التعظيم والغلو.

لذلك نقول: الذي يظهر - والله أعلى وأعلم - أن من صلى كذلك أثِم، أن من صلى في المسجد الذي بُني على القبر أو صلى إلى القبر دون نية التعظيم، وإنما حضر لأنه كان مارًا، أو ليحضر مجلس علم يظن أن من عنده علم لا يجده في غير هذا المكان، فهذا لا تبطل صلاته وإن أثم، ومن لم يكن يعلم بوجود القبر، فصلاته صحيحة دون إثم؛ لأن الإثم مرتبط بالتمكن من العلم أو من العلم بوجود النهي أو بوجود النهي في هذا الأمر الواقع، يعني: بوجود النهي شرعًا ووجود المنهي عنه في الواقع؛ وأما إذا كان يقصد تعظيم القبر بالصلاة عنده، فهذا عين المحاداة لله ولرسوله ﷺ، هذا من أجله نهى عنه الرسول ﷺ، وهو واقع في بدايات هذا الشرك، والعياذ بالله، يبدأ بالشرك الأصغر، ثم يتعاظم حتى ربما وصل إلى الأكبر،

فنقول: إن الصحيح في هذه المسألة أن من قصد المسجد لأجل القبر، كمن يسافر ويشد الرحل ليصلي في مسجد الولي الفلاني متبركًا بذلك قاصدًا أن الصلاة هناك أفضل، فهذا صلاته باطلة، والله أعلى وأعلم.

لكن مسألة بطلان الصلاة وصحة الصلاة مسألة اجتهادية، ومن العلماء من يطلق بطلان الصلاة مطلقًا، وهم أكثر الحنابلة، وإن كان بعضهم يشترط أن يكون هناك أمور على الأقل، حتى يقال إنها مقبرة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في المقبرة والحمام[1].

والصحيح أنه لا فرق بين أن يكون هناك قبر واحد أو اثنين أو ثلاثة كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وبيّن الإمام ابن القيم رحمه الله حكم هذه المساجد، ماذا يجب أن يُفعل بها؟ قال رحمه الله: (**وعلى هذا: فيُهْدمُ الْمسْجِدُ إذا بُنِي على قبْرٍ، كما يُنْبشُ الْميِّتُ إذا دُفِن فِي الْمسْجِدِ، نصّ على ذلِك الْإِمامُ أحْمدُ وغيْرُهُ، فلا يجْتمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلامِ مسْجِدٌ وقبْرٌ، بلْ أيُّهُما طرأ على الْآخرِ منع مِنْهُ، وكان الْحُكْمُ لِلسّابِقِ، فلوْ وُضِعا معًا لمْ يجُزْ، ولا يصِحُّ هذا الْوقْفُ، ولا يجُوزُ، ولا تصِحُّ الصّلاةُ فِي هذا الْمسْجِدِ؛ لِنهْيِ رسُولِ اللّهِ ﷺ عنْ ذلِك ولعْنِهِ منِ اتّخذ الْقبْر مسْجِدًا أوْ أوْقد عليْهِ سِراجًا، فهذا دِينُ الْإِسْلامِ الّذِي بعث اللّهُ بِهِ رسُولهُ ونبِيّهُ، وغُرْبتُهُ بيْن النّاسِ كما ترى**)[2] فقال: (**وكان**

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥) والدارمي (١٤٣٠) وأحمد (١٨/ ٣٠٨)، والبيهقي في السنن (١/ ٤٣٤، ٢/ ٤٣٥)، وابن خزيمة (٧٩٢)، وصححه الحاكم (١/ ٢٥١)، ووافقه الذهبي. «**الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**».

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٠١).

الْحُكْمُ لِلسّابِقِ)، فإن كانت المقبرة أو القبر سابقًا وجب إزالة المسجد، وهذا هو الصحيح؛ لأن هذه المقبرة تصير وقفًا على من دُفِن بها، مقبرة له، لايجوز أن تُغيّر عن وصفها، ولا يجوز نبش هذا القبر ولا تحويله عن مكانه إلا لضرورة، ولا ضرورة لوجود هذا المسجد في هذا الموقع، بل يُبنى بعيدًا عنه في أي مكان آخر، وبالتالي فهذا المسجد بني في مكان لا يجوز البناء فيه، فيجب إزالة هذا المسجد؛ وأما إذا كان المسجد هو الذي بني أولاً فيجب إزالة القبر؛ لأن هذا الميت قد دُفن في موضع لا يجوز فيه الدفن، فالمسجد ليس بمقبرة، لا يجوز الدفن في المساجد، ولا يجوز أن يزال جزء من المسجد عن وصفه كمسجد، كوقف لله ﷻ للصلاة فيه، حتى يجعل مقبرة يمنع من الصلاة فيها وعندها، فهذا تعطيل لمنافع المسجد الموقوف لأجل هذه المنافع وهي الصلاة؛ فلذلك يجب إزالة هذا القبر الذي دُفن صاحبه فيه داخل المسجد؛ لأنه دفن في مكان لا يجوز أن يُدفن فيه، فيجب إخراجه ونقله إلى مقابر المسلمين، ونبشه في هذه الحالة للضرورة واجب، حتى يزال الوصف المحرم الذي حصل بسبب وجود هذا القبر داخل المسجد؛ وأما إذا لم يُعلم أيهما أسبق؟ فإما أن يُزال المسجد، وإما أن يزال القبر، والله أعلى وأعلم، فأي ذلك أجزأ، يمكن أن يزال القبر وينقل إلى مقابر المسلمين، أو أن يمنع من الصلاة في المسجد لوجود مساجد أخرى، وعلى أي الأحوال كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فلا يجْتمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلامِ مسْجِدٌ وقبْرٌ)**[1].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٠١).

وإنما حصل ذلك في بلاد العالم الإسلامي لما انتشرت البدع ولما انتشرت الرافضة، ودول الرفض التي قامت بنشر فكرة اتخاذ القبور مساجد، كما ذكرنا الدولة الباطنية.

ومِن أعجب ما عندهم في أمر مسجد الحسين رضي الله عنه أن هناك ثلاثة أضرحة باسم الحسين؛ ضريح في دمشق، وضريح في القاهرة، وضريح في كربلاء حيث دفن الحسين رضي الله عنه حيث قتل[1]، فالعجب أنهم يدعون ويخترعون القصص المكذوبة التي لا دليل عليها، التي لو صحت لكان واجبًا إزالة المقام الذي دفن فيه الرأس، أعني: أن الرأس نُقلت بعد أن قطعت من جسده ونقلت إلى دمشق ثم نقلت بعد ذلك إلى القاهرة، والقاهرة إنما بنيت بعد موت الحسين وقتله رضي الله عنه بأكثر أو بنحو الثلاث مائة سنة، أو بنحو المائتين والخمسين سنة أو زيادة على ذلك، فكيف يُقال: إن هذا المشهد... يعني جاءوا برأس الحسين! من أين لهم أن هذا رأس الحسين؟!

ولذلك نقول: كثير جدًا من هذه المقامات والأضرحة ليس بها شيء أصلاً، وقد أخبرني بعض الإخوة مباشرة أن مسجده الذي كان به قبر واحتاجوا لترميمه أنهم وجدوا به عظام بعض الحيوانات عندما فتحوا القبر، وأصرت وزارة الأوقاف على إعادة الضريح بعد أن أزيل عظم الحيوان هذا ودفن بعيدًا، ومع ذلك أصروا على إقامة الضريح، وهذا لا يمنع من كون هذا المسجد لا يُصلى فيه، حتى لو أزيل القبر في الحقيقة وبقي الضريح؛ لأن هذا الضريح هو الوثن الذي يُعبد، وكما قال النبي ﷺ: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ**

(١) راجع (١/ ١٨٦).

قبْرِي وثنًا يُعْبدُ»[١]، والعلة في النهي عن ذلك خوف التعظيم والغلو والشرك وهو حاصل بوجود الضريح، ولو لم تكن عظام الميت داخل هذا الضريح.

نسأل الله العافية، نسأل الله أن يعافي المسلمين من هذا البلاء الذي انتشر وعم، ونسأل الله ﷻ أن يعلمنا ويفقهنا في ديننا، وأن نلتزم بطاعة ربنا وسنة نبينا ﷺ.

(١) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

الْمسْأَلَةُ الثّانِيةُ والثّمانُون: اتِّخاذُ آثارِ أنْبِيائِهِمْ مَسَاجِد كَمَا ذُكِرَ عَنْ عُمَر.

الشـــرح:

الفرق بين هذه المسألة والتي قبلها أن اتخاذ القبور مساجد مختص بالقبر؛ وأما هنا فالآثار بمعنى الأماكن التي نزل فيها الأنبياء أو سكنوها، وهذا نوع تعظيم للبقعة، وقد يقصد صاحبه الذي اتخذه، أعني: قد يقصد التبرك بذلك وأصل التبرك طلب البركة من ملابسة أو مصاحبة أو ملامسة شيء ورد به الدليل، هذا التبرك الشرعي[1]، أن يُطلب الخير من مصاحبة وملامسة وملابسة مثل هذا الشيء، وإنما ورد الدليل بآثار الأنبياء كما قال ﷻ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ، كما ثبت أنهم كانوا ما تنخم نخامة إلا سقطت في كف أحدهم، فمسح بها وجهه ويديه، وما توضأ وضوءًا إلا كادوا يقتتلون على وضوئه[2]، وثبت أنه فرّق شعره ﷺ بين

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٧)، والمعجم الوسيط (١/ ٥١)، والمصباح المنير (ص٢٩).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري(٢٧٣١، ٤١٧٨، ٤١٨٠) من حديث المسور ابن مخرمة، ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه قالا: «... **ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَيْنِهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا** =

أبي طلحة والنصف بين أصحابه[١]، وثبت أن بعض الصحابة رضي الله عنهم طلب ثياب النبي ﷺ لتكون كفنًا له، فكانت كفنه[٢]، وكل هذا أقره النبي ﷺ، وثبت أن أم سليم رضي الله عنها كانت تجمع عرق النبي ﷺ ويجعلونها للاستشفاء به كدواء[٣]، فكل هذا مما ورد به الدليل، ولم يرد الدليل على التبرك بالأماكن التي نزل فيها الرسول ﷺ، وإنما ورد نزوله ﷺ بأماكن هي فيها فضيلة في

= يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا، خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ﷺ».

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٧١)، ومسلم (١٣٠٥)، واللفظ لمسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْجَمْرَةَ وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ نَاوَلَ الْحَالِقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الْأَيْسَرَ، فَقَالَ: احْلِقْ فَحَلَقَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٢٧٧، ٢٠٩٣، ٥٨١٠) عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَّنَهَا فُلَانٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطَعًا، فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ، قَالَ: فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعَرِهِ، فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الوَفَاةُ، أَوْصَى إِلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ».

حد ذاتها، والأمر مستمر، ليس لمجرد نزوله ﷺ نزولاً عارضًا، وإنما نزولاً مقصودًا، كما نزل بذي الحليفة ميقات أهل المدينة وصلى هناك؛ لأن جبريل عليه السلام أتاه كما قال عمر رضي الله عنه: «**قال: سمِعْتُ رسُول اللّهِ ﷺ يقُولُ: وهُو بِالْعقِيقِ أتانِي آتٍ مِنْ ربِّي، فقال: صلِّ فِي هذا الْوادِي الْمُباركِ، وقُلْ: عُمْرةٌ فِي حجّةٍ**»(١).

واختلف العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في نزوله ﷺ في خيف بني كنانة المعروف بالمُحصّب بعد حجه ﷺ ليلة نفر من منى، فنزل بالمحصب ﷺ، المكان الذي تقاسموا فيه على الكفر، فاختلف الصحابة رضي الله عنهم، منهم من قال: هو سنة؛ لأن الرسول ﷺ قصد هذا المنزل، ومنهم من قال: إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ في طريقه(٢)، فمن قال ذلك لم ير مشروعًا أن ينزل الحاج أو المعتمر بهذا المكان بعد انصرافه من الحج، ومن رأى أنه كان مقصودًا؛ لأجل أن يعلن شعار الإسلام في المكان الذي اجتمعوا فيه على الكفر، ويشكر نعمة الله سبحانه وتعالى بمن منّ عليه من النصر والتمكين، حتى في الأماكن الذي اجتمعوا فيها على حرب رسول الله ﷺ والمسلمين حين اجتمعوا على أمر المقاطعة، مقاطعة بني هاشم وبني المطلب من أجل نصرتهم لرسول الله ﷺ، فهذا يدلك على أن المنازل المعتادة لم يرها الصحابة رضي الله عنهم سنة، الذين قالوا: هذا منزل نزله دون قصد، قالوا: ليس بسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٤، ٢٣٣٧، ٧٣٤٣).

(٢) انظر نيل الأوطار (٥/ ١٠١) قال الشوكاني رحمه الله: (وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ الْخِلَافُ فِي اسْتِحْبَابِ نُزُولِ الْمُحَصَّبِ مَعَ الِاتِّفَاقِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْمَنَاسِكِ).

فدل على أنهم يتفقون على أن الأماكن التي نزل بها ﷺ لا يقصد النزول فيها لا فضيلة لها في حد ذاتها، وإنما نزل منزلاً يستريح فيه ونحو ذلك لا يشرع أن يُتخذ مسجدًا، ولاحتى أن يُنزل فيه، وإن كان ابن عمر رضي الله عنهما يجتهد في بعض هذه الأمور، وكان رضي الله عنه ينزل حيث نزل رسول الله ﷺ، وربما حاد عن بعض الطريق، فسئل عن ذلك، فقال: رأيت رسول الله ﷺ حاد في هذا الموضع، ولربما لم ينقل لنا الراوي أن هذا موضع حاد إليه النبي ﷺ لشيء فيه؛ ولذلك فعله ابن عمر رضي الله عنهما، فربما كان مثل هذا في المحصب مثلاً، فهذا أمر معروف أنه يشرع أن ينزل به على الراجح من أقوال العلماء، وكذلك يستحب أن يقف الرجل في عرفات بالصخرات أو قريبًا منها؛ لأن النبي ﷺ عندما وقف بعرفة بعد خطبته وصلاته الظهر والعصر بنمرة، سار حتى وقف بهذا المكان، وقال: «**وقفْتُ ها هُنا وعرفةُ كُلُّها موْقِفٌ**»(١).

مع أنه مكان بعيد، فدل على أنه مقصود، قصده النبي ﷺ، فلعل هذا المكان الذي حاد إليه ابن عمر رضي الله عنهما من هذا، وربما كان اجتهادًا من ابن عمر رضي الله عنهما خالفه فيه في أصل المسألة من هو أعلم منه، أبوه رضي الله عنه، كما روى الطحاوي وابن وضّاح وغيرهما كما في (الاعتصام) للشاطبي عنْ معْرُورِ بْنِ سُويْدٍ الْأسدِيِّ؛ قال: (**وافيْتُ الْموْسِم مع أمِيرِ الْمُؤْمِنِين عُمر بْنِ الْخطّابِ** رضي الله عنه، **فلمّا انْصرفْنا إِلى الْمدِينةِ؛ انْصرفْتُ معهُ، فلمّا صلّى لنا صلاة الْغداةِ فقرأ فِيها**: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفيل: ١]، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]،

(١) أخرجه البخاري (١٥٦٨)، ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

ثُمّ رأى ناسًا يذْهبُون مذْهبًا، فقال: أيْن يذْهبُ هؤُلاءِ؟ قالُوا: يأْتُون مسْجِدًا هاهُنا صلّى فِيهِ رسُولُ اللّهِ ﷺ، فقال: إِنّما هلك منْ كان قبْلكُمْ بِهذا؛ يتّبِعُون آثار أنْبِيائِهِمْ، فاتّخذُوها كنائِس وبِيعًا، منْ أدْركتْهُ الصّلاةُ فِي شيْءٍ مِنْ هذِهِ الْمساجِدِ الّتِي صلّى فِيها رسُولُ اللّهِ ﷺ؛ فلْيُصلِّ فِيها، وإِلّا؛ فَلَا يتعمّدْها)[1].

وهذا ظاهر جدًا في النهي عن ذلك، إنما جعله سببًا لهلاك من قبلنا أنهم تبركوا بما لم يشرع التبرك به، أنهم قصدوا الصلاة في أماكن لم يقصد رسول الله ﷺ تعظيمها بالصلاة فيها أو تكريمها أو طلب البركة فيها، بخلاف الأماكن التي كان يقصدها قصدًا، فهذا يعرف من سيرته ﷺ وسنته فإنه مثلاً كان يأتي قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا فيصلي هناك، فهذا دليل على فضل مسجد قباء؛ ولذا نقصده بالصلاة، وقال ﷺ: «**منْ خرج حتّى يأْتِي هذا الْمسْجِد - يعْنِي مسْجِد قُباءٍ - فيُصلِّي فِيهِ كان كعدْلِ عُمْرةٍ**»[2] فدل ذلك على فضيلة البقعة.

كما ذكرنا النزول في وادي العقيق، الذي هو ذو الحليفة، ذهابًا وإيابًا، فينبغي أن يقصد بذلك لثبوت الدليل فيه، وكما ذكرنا نحن إذا نزلنا في منزل نزل فيه الرسول ﷺ لا لغرض ولا لقصد أن يؤدي عبادة في هذا المكان ولا أمر بذلك، فهذا مخالفة لسنته ﷺ، إذا قصدنا نحن منزلاً لم يقصده ﷺ

---

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٤٤٨)، والبدع لابن وضاح (ص ٨٧، برقم ١٠٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٥٨)، والترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١، ١٤١٢)، والحاكم (٣/ ١٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٦)، والطبراني في الكبير (٥٥٥٨، ٥٥٥٩، ٥٥٦٠، ٥٥٦١، ٥٥٦٢).

بعبادة، وإنما كان منزلاً نزله، وكذلك ما كان أقل من ذلك، أعني: أن الرسول ﷺ قد صلى في مكان قاصدًا التبرك به، أو أن يُتخذ مسجدًا للناس بعد ذلك، كما في حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه: «**أنّ النّبِيّ ﷺ أتاهُ فِي منْزِلِهِ، فقال: أيْن تُحِبُّ أنْ أُصلِّي لك مِنْ بيْتِك؟ قال: فأشرْتُ لهُ إِلى مكانٍ فكبّر النّبِيُّ ﷺ، وصففْنا خلْفهُ، فصلّى ركْعتيْنِ**»[1] وهذا عندما أراد أن يتخذ مسجدًا في بيته لأجل أنه ضعف بصره، وشق عليه أن يأتي رسول الله ﷺ والسيول تحول بينه وبينه، فقال: أين تحب أن تصلي في بيتك؟ ذلك ليتخذه مسجدًا، فهذا قصده النبي ﷺ بما دل عليه الدليل؛ وأما ما لم يقصده ﷺ فإذا قصدناه نحن نكون قد خالفناه.

نقول: أشد من ذلك في المخالفة أن يكون مثلاً قد نزل ليبول ﷺ أو ليجلس لا ليصلي، فينزل بعض الناس يتبركون بهذا المكان، وربما قصد بعضهم أن ينزل فيبول في نفس المكان، وهذه الأفعال الجبلية التي فعلها النبي ﷺ لحكم الجبلة، لا يظهر فيها قصد التشريع للأمة، وهم معلوم من سيرته وسنته وطريقة أصحابه وفقهائهم رضي الله عنهم في متابعته، فهذه الأفعال الجبلية التي فعها النبي ﷺ بحكم الجبلة، لا يقال إنه يستحب أن يُقتضى به فيها، فلا يقال: إن الإنسان يتبول أو يتغوط اقتداء بالنبي ﷺ الذي كان يفعل ذلك، ولا أنه مثلاً كان يقوم ويقعد؛ لأن الرسول كان يقعد أو يقوم، وإنما جُبِل الإنسان على القعود والقيام والمشي وقضاء الحاجة، وليس لأنه يفعل ذلك اقتداءً بالرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤، ٤٢٥، ٦٦٧، ٦٨٦، ٨٤٠، ١١٨٦، ٥٤٠١)، ومسلم (٣٣)

الأفعال الجبلية بحكم الجبلة تدل على الإباحة، وهي في الأصل كذلك لأنها جبل الله الناس عليها، إلا ما نهى عنه الشرع منها، مثل: قعدة معينة، أو جلسة معينة، أو ضجعة معينة، أو نومة معينة، مثل: أن ينام على بطنه يُنهى عن ذلك، أن يجلس متكئًا على ألية يده اليسر خلف الظهر يُنهى عن ذلك، فإذا ثبت قعودًا معينًا في الصلاة يقعد مثله؛ لأن هذه أفعال ظهر فيها قصد التشريع؛ فلذلك نقول: التبرك بالآثار مطلقًا ليس بصحيح، لا يشرع باتفاق أهل السنة التبرك بمكان - مثلاً - مشى فيه رسول الله ﷺ لأجل أنه مشى، مسه قدمه مثلاً، وانتهى أثر ذلك، فالصحابة رضي الله عنهم ما ورد عنهم قط أنهم كانوا يتمسحون مثلاً بأرض حجرته ﷺ تبركًا بذلك، إنما قصدوا أن يأخذوا ثيابه، أن يأخذوا عرقه، أن يأخذوا شعره، هذا هو الذي قصدوه، فالرسول ﷺ كان يمشي في حجرته بلا شك، ويكاد يكون كل شبر في حجرة عائشة رضي الله عنها أو معظمه قد مشى ﷺ فيه، فهل كان الصحابة رضي الله عنهم، أو حتى عائشة رضي الله عنها وهي في الداخل كانت تتبرك بذلك أو تتمسح بذلك أو أنها تصلي هناك لأجل ذلك؟ إنما كانت تصلي لأجل أن هذه الحجرة بيتها، ولم يكن أحد من الصحابة أو التابعين يأتي إلى الحجرة ليصلي فيها تبركًا بأن الرسول ﷺ دفن هناك، ولا أن الرسول ﷺ عاش هناك وتلامست أجزاء بدنه مع أرض هذه الحجرة، فهذا مما لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم، وأقصى ما ورد في ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم في ذلك التبرك بالمنبر، وهو يمسح مكان جلوسه ﷺ، مع أن عامتهم لم ير ذلك[1]، فأكثر ما يقال في مثل هذه

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٣٧)، وذكر هذا القاضي عياض في الشفا (٢/ ٨٥، ٨٦).

المسألة أن هذا مما يسوغ فيه الاجتهاد، مع أن فاعله ليس على الصحيح في هذه المسألة، حتى لو كان من الصحابة رضي الله عنهم، فإن كبارهم وفقهاءهم كعمر رضي الله عنه نهوا عن ذلك، وعدُّوه من ضمن أسباب هلاك من كان قبلنا، فمثل هذا الذي لم يرد به دليل من التبرك بأماكن نزل بها ﷺ، أو أنه مشى عليها، أو جلس عليها أو نحو ذلك، التبرك بهذا غير مشروع، وهذا يدلنا على أن التبرك عند الصحابة رضي الله عنهم لابد أن يكون له دليل، وأن ما لم يرد به الدليل فالأصل فيه المنع، نعم لأن التبرك طلب البركة، من هذا الأمر المصاحب أو الملامس، وهذا الأمر لا يعرف بالعقل ولا بالقياس، وإنما يعرف بالدليل الشرعي؛ لأنه سبب غيبي لحصول الخير ليس سببًا ظاهرًا، ليس يُعرف بجبلة الناس وعادتهم أنهم يشعرون بالري إذا شربوا الماء، أو يشعرون بالشبع إذا أكلوا الطعام، أو يعافون من مرضهم إذا أخذوا دواءً معلومًا لمرض معلوم، هذا الذي يعرف بالتجربة أو بالسنة الكونية القدرية أو العادة ونحو ذلك، فنقول: إن الأصل عندهم المنع من التبرك إلا بما ورد به الدليل، لماذا؟

عمر رضي الله عنه جعل ذلك من أسباب هلاك من قبلنا، قال: «**إِنّما أهْلك منْ كان قبْلكُمْ بِأشْباهِ هذِهِ يتّبِعُون آثار أنْبِيائِهِمْ، فاتّخذُوها كنائِس وبِيعًا**»[1].

إذًا، لا يشرع أن تجعل أماكن الأنبياء التي نزلوها دون قصد للعبادة فيها، يجعلها الناس آثارًا يتبرك بالتعبد فيها أو بمصاحبتها أو بملامستها وملابستها لذلك قلنا: إن ترك الصحابة رضي الله عنهم للتبرك بآثار الصالحين منهم المقطوع

(١) انظر: البدع لابن وضاح (ص ٨٧، برقم ١٠٠)، وشرح مشكل الآثار (١٢/ ٥٤٤).

بصلاحهم رضي الله عنهم؛ كالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وباقي العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وغيرهم ممن نزل القرآن بصلاحهم وفضلهم، ومع ذلك ما اقتسموا شعورهم، ولا أخذوا عرقهم، ولا تبركوا بوضوئهم، ببقايا الماء الذين توضئوا به، ولا قصدوا لمس ثيابهم أو لُبس ثيابهم تبركًا؛ لذلك نقول: إذا كان الأمر كذلك لم يكن التبرك بآثار الصالحين مشروعًا، وإن قاله بعض أهل العلم، أقصى ما يقال في ذلك: إنه مما يسوغ فيه الاجتهاد، مع أن الصحيح المنع منه، وأنه لا يشرع.

وأما ما لم يرد ولا شيء عن الصحابة ولا التابعين ولا أهل العلم، مثل: التبرك بالأحجار والأشجار، والحديد الذي على القبور، ونحو ذلك، يقصد لأجل التبرك، فهذا أشد وأشد في المنع والابتداع، فهو من البدع التي هي ذرائع الشرك، فينهى عن ذلك نهيًا شديدًا، خاصة أنه من سبيل المشركين الذين عظموا الأشجار والأحجار، حتى عبدوها من دون الله، فاتخاذ آثار الأنبياء مساجد، أي: الأماكن التي نزلوا فيها، هو من فعل أهل الجاهلية، من فعل اليهود والنصارى، اتخذوها كنائس وبيعًا، فكان بدعة ضلالة منكرة، وغلوا في تلك الأماكن ونسبوا لها الفضائل، وأكثر من يعرف عنهم مثل هذه الأفعال في أمتنا الرافضة والصوفية، فتجدهم في كثير مِن الأماكن يقدسونها كما يقولون: العتبات المقدسة في النجف الأشرف. أماكن قتل أهل بيت النبي ﷺ يرونها عتبات مقدسة، ويرون الحج إلى هذه المشاهد، وقصدها بالعبادات ربما فاق الحج إلى بيت الله الحرام، نعوذ بالله من ذلك، ويؤدون عند قبور هؤلاء ما يفعلونه بالكعبة، نسأل الله العافية من الطواف والتمسح بها، بل زادوا، فالكعبة لا يُتمسح إلا بالحجر الأسود

والركن اليماني، لا يمس إلا الحجر الأسود والركن اليماني، وهؤلاء زادوا في ذلك فصاروا يمسون كل هذه الأضرحة ويتبركون بها، ويجعلون أماكن نزول الصالحين مساجد، يرون أن ذلك من الفضائل، وتجد هذا في المتأخرين أيضًا من المنتسبين إلى التصوف عندهم شيء كثير من ذلك، ويعظمون الأماكن التي نزل بها الصالحون ويجعلونها مزارات، وهذا أمر غير مشروع، وفي زماننا قد جعل ناس مزارات كثيرة في مكة والمدينة لأجل نزول النبي ﷺ بها؛ كمكان مولده ﷺ، وغار حراء، من ذهب إلى هناك لينظر هذه الأماكن دون قصد التبرك، ودون قصد الصلاة هناك، ودون قصد التعظيم، فهذا أمر من المباحات لا من المستحبات ولا الواجبات، ليس من دائرة التشريع في عبادة معينة، ولكن - مثلاً - أراد أن ينظر وأن يتأمل، فمثل هذا مثل أن يسير في الأرض لينظر في خلق الله ﷻ دون قصد لأمر معين، فأما إذا قصد هذه كمزارات تجعل سنة، يصلون في مساجد متعددة، يقولون: مسجد القبلتين، مسجد كذا . . . يسمون مساجد معينة، جعلوها مزارات، حتى اشتهر ذلك في المدينة خصوصًا، مساجد معينة يذهبون إلى الصلاة عندها قاصدين، كلهم يزور المدينة، يقولون: إننا نذهب للمزارات؛ أما المشروع منها فزيارة مسجد قباء وزيارة شهداء أحد؛ لأن الرسول ﷺ كان يزورهم وصلى عليهم، فيستحب زيارة القبور، وكذا زيارة البقيع والسلام على من بها من الأموات والدعاء لهم، لا طلب الدعاء منهم ولا عمل النياحة حول قبورهم كما يفعل الرافضة، فإن كل ذلك من المنكرات، نسأل الله العافية.

الْمسْألةُ الثّالِثةُ والثّمانُون: اتِّخاذُ السُّرُجِ على الْقُبُورِ.

الـشـــرح:

كما في الحديث: «**لعن رسُولُ اللّهِ ﷺ زوّاراتِ الْقُبُورِ، والْمُتّخِذِين عليْها الْمساجِد، والسُّرُج**»[(١)]، مع أن بعض أهل العلم ضعّف لفظ (السرج)، الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أن هذا اللفظ ضعيف، وإنما الصحيح: «**والْمُتّخِذِين عليْها الْمساجِد**»، ولكن الذي يظهر أن الحديث قد حسنه جماعة من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من العلماء[(٢)]، وعلى أي الأحوال فاتخاذ المصابيح على القبور تعظيمًا لها، توقد السرج وهو المصباح الذي ينير، وكذا ما يجعل من نيران أو نحو ذلك حول القبور أو حولها تعظيمًا للقبور، وهذا يكثر في قبور الصالحين، ومنهم من ينذر زيتًا لقبر فلان، فإنما كانوا يوقدون المصابيح والسرج في الأزمنة الماضية بالزيت، فينذرون الزيت للمصابيح التي على قبر فلان والسرج التي على مرقد فلان، فهذا كله من البدع والضلالات، حتى ولو لم يثبت الحديث، فإن كل بدعة ضلالة، وتعظيم القبور بإيقاد السرج عليها من فعل أهل الجاهلية كذلك، واليهود والنصارى عندهم من ذلك شيء كثير يعظمون قبور من يظنون بهم الصلاح ويوقدون عليها السرج، فنهى رسول الله ﷺ، بل لعن

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧) وأبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٤/ ٩٤) وابن ماجه (١٥٧٥).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٣٤، ٢/ ١٨٦)، والفتاوى الكبرى (٣/ ٥٢)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٥٢٣، ٢٤/ ٢٤٨).

من فعل ذلك، وعلى أي الأحوال فالبدعة الضلالة لا يجوز لأحد أن يفعلها، فإيقاد سرج على قبر معين داخل في البدعة، فضلاً عن النهي الوارد في هذا الحديث عنه، فهو وارد على أمر ثبت أصله، أعني: أن الحكم الشرعي ثبت أنه لا يجوز وضع السرج وإيقاد السرج على القبور؛ لأنه بدعة ضلالة، فالحديث الوارد في لعن من فعل ذلك يدل على أنه من الكبائر، إن صح هذا اللفظ، والله أعلى وأعلم، وإن لم يصح فالأصل ثابت كحكم شرعي أنه لا يجوز إيقاد السرج على القبور.

وقد حدثت في زماننا مسألة أخرى، وذلك أن بعض أهل الفسق والفجور قد اتخذوا أماكن المقابر أمكنة لفعل الفساد والفجور من حقن المخدرات وفعل الفواحش، والعياذ بالله، وهذا من أفظع ما يمكن، ففي بعض أماكن القبور احتاج الناس إلى إضاءة المكان لمنع هؤلاء الفساق من فعل هذه الأفعال فيما بين القبور، وهذا ليس هو المقصود باتخاذ السرج على القبور وإنما المقصود تعظيم القبور باتخاذ السرج عليها، فهذا هو المحرم؛ ولذلك لا يمنع من وجود إضاءة حول المقابر أو في وسطها أو في الطرق التي فيما بين القبور؛ لأجل ألا تفعل المنكرات في هذه الأماكن استتارًا بالظلام، فلا يمنع من مثل هذا، إنما الذي يُمنع منه ما يفعل عند قبور الصالحين من وضع الأنوار العالية والمصابيح المضيئة بالليل والنهار، سواء كانت بشيء يُشعل بنار، أو شيء من المصابيح الحديثة كالكهرباء وغيرها. فوجود المصابيح حول قبر معين نوع تعظيم له، وهذا التعظيم سبب من أسباب الغلو الذي يؤدي في النهاية إلى أن تعبد هذه القبور من دون الله، وربما أطفئوا أنوار المسجد كلها وأبقوا الأنوار التي على القبر؛

لتكون مهيأة لكل من يأتي للزيارة في أي وقت من ليل أو نهار، ولا تزال قبور من يسميهم الناس بالأولياء، مثل: البدوي والدسوقي وغيرهما، الأنوار والسرج التي عليها مستمرة بالليل والنهار، ترغيبًا في زيارتها والحضور عندها وفعل الضلالات والمنكرات التي تفعل في هذه الأماكن.

الْمسْأَلَةُ الرّابِعةُ والثَّمَانُونَ: اتِّخاذُ الْقُبُورِ أعْيادًا.

الـشـــرح:

العيد اسم لما يُعتاد فعله زمانًا أو مكانًا[١]؛ ولذا جاء في الحديث عنْ ثابِتِ بْنِ الضّحاكِ رضي الله عنه قال: «**نذر رجُلٌ على عهْدِ رسُولِ اللّهِ ﷺ أنْ ينْحر بِبُوانة فسأل النّبِيُّ ﷺ: فهلْ كان فِيها وثنٌ مِنْ أوْثانِ الْجاهِلِيّةِ يُعْبدُ؟ قالُوا: لا. قال: فهلْ كان فِيها عِيدٌ مِنْ أعْيادِهِمْ؟ قالُوا: لا. فقال رسُولُ اللّهِ ﷺ: أوْفِ بِنذْرِك فإِنّهُ لا وفاء لِنذْرٍ في معْصِيةِ اللّهِ ولا فِيما لا يمْلِكُ ابْنُ آدم**»[٢].

فدل على أنه لو كان قصد البقعة للنذر لأجل أنه كان فيها وثن من أوثان الجاهلية، لكان منهي عنه ونذر معصية؛ لأنه إنما نذر تعظيم البقعة التي فيها الوثن؛ لأنه لا وجه لتخصيص البقعة بالنذر مع وجود صنم سابق ووثن سابق إلا أنه يريد أن يعظم هذه البقعة.

وكذلك لو أنه كان فيها عيد من أعياد الجاهلية، عيد من أعياد المشركين وهذا هو المقصود أن أهل الجاهلية اتخذوا أماكن قبور السابقين من الصالحين أعيادًا، اتخاذ القبور أعيادًا؛ أن يعتادوا فعل أشياء معينة في أزمنة معينة عند القبور، وأوضح مثال على ذلك: الموالد، فإنها أعياد زمانية ومكانية، وربما غيروا الأزمنة ولم يغيروا المكان مراعاة لتعظيم البقعة، وعند قبر الرجل الصالح يجتمعون، وربما لم يكن صالحًا، واعتادوا أفعالاً

---

(١) راجع (١/ ١٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣١٣).

معينة غالبها من اللهو واللعب، وكثير منها من الفساد والفجور، وقليل منها من الذكر والعبادة، وكل ذلك بدع وضلالات، وأكثر ما يبتدعون من العبادات والأوراد التي ما أنزل الله بها من سلطان، فهم بين بدعة في العبادة أو فساد في الأخلاق أو منكرات تفعل، وكل ذلك داخل في اتخاذ القبور أعيادًا، ولقد قال النبي ﷺ: «**ولا تجْعلُوا قبْرِي عِيدًا**»[(١)]، وقال: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ قبْرِي وثنًا يُعْبدُ، اشْتدّ غضبُ اللّهِ عَلَى قوْمٍ اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مَسَاجِد**»[(٢)]، فنهى عن اتخاذ قبره عيدًا، بمعنى: شيء يُعتاد عنده، شيء يعتاد فعله عند القبر.

رأى بعض أهل بيت النبي ﷺ رجلاً يدخل رأسه في فرجة في جدار حجرته ﷺ فيدعو، فذكر له هذا الحديث على مقال فيه، وقال: «**ما أنْتُمْ ومنْ بِالأنْدلُسِ إلا سواء**»[(٣)]، فعندما جعل القبر يعتاد أن يُدعى عنده، يدخل

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٨٨).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٤٠) من مراسيل الحسن بن علي، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦).
وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٠) وعزاه إلى سنن سعيد بن منصور، وقال: (فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا؟!).
وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهل قال: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ =

رأسه في فرجة في الجدار ليدعو عند القبر كما يظن، فهذا جعله من اتخاذ القبر عيدًا، وهذا كلام أهل العلم، فإنهم ذكروا أن زائر قبر النبي ﷺ يستقبل القبر بالسلام، فإذا أراد أن يدعو فالأئمة الأربعة على أنه يستقبل القبلة ويستدبر القبر، أو يجعله عن يمينه إن كان في مكان آخر، لكن يجعل القبر خلفه ويستقبل القبلة؛ لأنه إذا سلم على النبي ﷺ من جهة مقدمة المسجد، فإنه إذا أراد أن يدعو فيجعل ظهره للقبر، ويستقبل القبلة إذا أراد ذلك، ولم يقل أحد منهم أنه يستقبل القبر بالدعاء ويستدبر القبلة، فهذا فعل من يتخذ القبر عيدًا، ومن ضمن ذلك ما ذكره أهل العلم من أنه لا يشرع لكل من دخل المسجد في كل مرة أن يقصد القبر للسلام، فإن هذا ليس من هدي السلف رضي الله عنهم لا من الصحابة ولا من بعدهم، حتى ولو كان قادمًا من سفر، ليس كل مرة يقول: أذهب فأسلم على الرسول ﷺ؛ لأن الصحابة هم الذين نأخذ عنهم مثل هذه الأمور، وما ثبت شيء من ذلك عن أحد منهم، إنما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**كان ابْنُ عُمر إذا قدِم مِنْ سفرٍ، أتى قبْر النّبِيِّ ﷺ، فقال: السّلامُ عليْك يا رسُول اللّهِ، السّلامُ عليْك يا أبا بكْرٍ، السّلامُ عليْك يا أبتاهُ**»(١).

= فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد، فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ مقابر، وَصَلُّوا عَلِيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي، لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا، مَا أَنْتُمْ وَمَنْ بِالأَنْدَلُسِ إِلَا سَوَاء**».

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٦)، وأبو يعلى (١/ ١٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٥، ٦/ ٥٢)، وفي الصغرى (٢/ ٢١٠)، وفي الكبرى (٥/ ٤٠٢، ٤٠٣)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٢٤، ٣/ ٢٨).

فهذا الذي أخذنا منه مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وصاحبيه عندما يقدم الإنسان من سفر، عندما يكون مسافرًا إلى المدينة ليصلي في مسجد رسول الله ﷺ، إذا كان قاصدًا المدينة لأجل عبادة فيقصد المسجد لا يقصد القبر؛ ولذا لا يبدأ بالقبر وإنما يبدأ بالمسجد؛ لأن هذا هو المقصود، ثم بعد ذلك يزور القبر تبعًا لزيارة المسجد، ولا ينهى عن زيارة قبر النبي ﷺ في الزيارة الشرعية، كما شنع المبتدعون على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقالوا: يُحرِّم زيارة قبر النبي ﷺ ويجعلها من الشرك. وليس كذلك، وإنما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، أنه لا يشرع أن يجعل القبر عيدًا، ولا يشرع أن يقصد بالسفر قبر الرسول ﷺ؛ لأن قبره غير مسجده، وإنما - كما ذكرنا في المرة السابقة - اتسع المسجد من حول القبر، وظل القبر والبقعة التي حوله ليست مقصودة بالصلاة، فإذا كان يسافر من أجل زيارة القبر، فقد دخل في النهي الذي قال النبي ﷺ فيه: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلّا إلى ثلاثةِ مساجِد: المسْجِدِ الحرامِ، ومسْجِدِ الرّسُولِ ﷺ، ومسْجِدِ الأقْصى**»[1]، فلا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد، لا يقصد بالسفر لأجل العبادة إلا مسجد النبي ﷺ والمسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ وأما زيارة القبور، قبور الصالحين، خصوصًا وليس هناك من سبب للزيارة للصالحين إلا نوع تعظيم؛ لذلك فهي داخلة في النهي؛ لأنه إنما يتبرك بهذه الزيارة، ويقصد تعظيم أصحاب القبور بذلك، وهذا أمر لا ينفك عنه من قصد هذه القبور للزيارة وسافر من أجلها.

فأما من كان قصد المسجد ثم زار القبر تبعًا لذلك، فهذا لم يتخذ القبر

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٨٨).

عيدًا، ولم يفعل ما لم يُنه عنه، وإنما زار القبور زيارة شرعية، ولم يخاطب النبي ﷺ بما لم يشرع، كما يقول بعضهم: إنه يستحب أن يقول: جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، ويتلو قول الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. فهذا ليس بحجة عند أهل العلم، ولو ذكره بعضهم، كقصة العتبي المشهورة، التي تذكر في الكتب، حتى ذكرها ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن ذكرها لا مستدلاً بها على أن ذلك مشروع في زيارة قبر النبي ﷺ، وإنما ذكر هذه القصة المشهورة، وربما لم يسعفه الوقت للتعليق عليها، ولم يذكرها كدليل وليست بدليل؛ لأنها رؤية منامية: أن هذا العتبي رأى رجلاً أعرابيًا جاء إلى القبر، فذكر بعض أبيات الشعر المشهورة[1]:

يا خيْر منْ دُفِنتْ بِالْقاعِ أعْظُمُهُ ... فطاب مِنْ طِيبِهِنّ القاعُ والأكمُ

نفْسِي الْفِداءُ لِقبْرٍ أنْت ساكِنُه ... فِيهِ العفافُ وفِيهِ الْجُودُ والْكرمُ

فقال هذه الأبيات ثم قال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢١)، واقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٩٧)، وكشف القناع (٢/ ٥١٥)، والمجموع (٨/ ٢٠٢)، والمغني لابن قدامة (٣/ ٢٩٨)، وإعانة الطالبين (٢/ ٣١٥). وانظر: هذه الأبيات في ديوان البرعي عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني. شاعر متصوف (ص ٣٢٤). وانظر بطلان قصة العتبي في: تفسير ابن كثير تحقيق السلامة (٢/ ٣٤٨)، والسلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ١٠٣٥)، وهذه مفاهيمنا لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ - حفظه الله- (ص ٧٦).

وقد فند شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القصة في كتبه، وخاصة كتاب التوسل والوسيلة (ص ١٦١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨٩).

جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ الآية، وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، فنام العتبي وغلبته عيناه فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال: اِلْحقْ بالأعرابي فقل له: إن الله قد غفر لك. فالقصة بلا إسناد، والمنامات لا يحتج بها، ولا يُعرف هذا العتبي في أهل العلم، وإن ذكرها من ذكرها من أهل السير والمفسرين، فإن هذا لا يشرع لأن الرسول ﷺ إنما يقصد في حياته ليطلب منه الدعاء؛ وأما بعد وفاته فطلب الدعاء والاستشفاع به في قبره ﷺ ليس بمشروع، لم يفعله الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولا التابعون ولا أهل العلم الكبار، وإنما ذكر هذه الصيغة فيما يستحب عند زيارة قبر النبي ﷺ المتأخرون من أتباع المذاهب الذين لم يحققوا المذاهب، وإن كانوا مشهورين في العلم، ولكن هذا أمر لابد فيه من دليل، وإذا عدم فالمشروعية معدومة، إذا عدم الدليل لم يكن هذا مشروعًا ولامستحبًا، وطلب الدعاء والاستشفاع بالرسول ﷺ بعد وفاته في الحقيقة من ذرائع الغلو فيه ﷺ، وهو من التوسل البدعي عند أهل العلم، ولم يقل بذلك أحد من المتقدمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، والآثار التي وردت في مثل ذلك كلها ضعيفة أو باطلة، لا يصح منها شيء، ومن هنا نقول: هذا النوع من اتخاذ القبر عيدًا الذي ثبت عنه النهي؛ ولذا نقول: المشروع أن يزور الزيارة الشرعية، إذا أتى من السفر سلم على النبي ﷺ وصاحبيه، وصلى عليه ﷺ وانصرف.

ولا يشرع شيء أكثر من ذلك، ولا يشرع دعاء معين أكثر من الصلاة والسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه بالنسبة للسلام، كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما لا نزيد على ذلك، ولا نبتدع في ديننا ما لم يرد به شيء من الدليل، فاتخاذ

القبور عيدًا زمانًا أو مكانًا؛ زمانًا بتعظيم زمن معين يُجعل للقبر كالموالد، أو مكانًا وهي كذلك تشمل أفعالاً معينة تُعتاد عندها، ومن ذلك المسألة الخامسة والثمانين وهي الذبح عند القبور.

الْمسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ وَالثّمانُون: الذّبْحُ عِنْدَ الْقُبُورِ.

الـشـــرح:

أيضًا، من عادات الجاهلية وآثارها الشركية في أن الذبح عندها تعظيم لها، وقد قال النبي ﷺ لمن نذر أن ينحر إبلاً بـ«بوانة»: «**فهلْ كان فِيها وثنٌ مِنْ أوْثانِ الْجاهِلِيّةِ يُعْبدُ؟**»[(١)]، فدل ذلك على أن النحر عند الأوثان كان من عادات أهل الجاهلية، وقد قال ﷺ: «**اللّهُمّ لا تجْعلْ قبْرِي وثنًا يُعْبدُ، اشْتدّ غضبُ اللهِ على قوْمٍ اتّخذُوا قُبُور أنْبِيائِهِمْ مساجِد**»[(٢)]، فدل ذلك على أن اتخاذ القبور مساجد يصيرها بعد حين أوثانًا تعبد من دون الله، والذبح عندها تعظيم لها وذريعة إلى عبادتها من دون الله، وإن كان يقصد بالذبح التقرب إلى الولي وتعظيمه بالذبح له، فهذا ملعون فاعله، قال النبي ﷺ: «**لعن اللّهُ منْ ذبح لِغيْرِ اللّهِ**»[(٣)]، وهذا من الشرك الأكبر؛ لأنه صرف عبادة لغير الله، أن يذبح للولي تعظيمًا له، متقربًا له بالذبح، يرى أنه يرضيه بأن يذبح له، فإن كان عند قبره زاد في ذلك، وكان مثل الذبح على النصب، فهذا الذبح عند الأوثان، الحديد الذي على القبر يصير وثنًا يعبد، القبر

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣) عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَاكِ رضي الله عنه قَالَ: «**نَذَرَ رَجُلٌ على عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ بِبُوَانَةَ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ: فَهَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لاَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**».

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٧٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي رضي الله عنه.

يمكن أن يصير وثنًا بنص حديث النبي ﷺ، إذا كانت تصرف له العبادات، الذبح عندها لله ﷻ نذر، لو نذر ذلك فهو نذر في معصية الله؛ ولذا من نذر أن يذبح عند البدوي، ويقول: أنا أريد أن أطعم زوار البدوي، أو عزم أن يذبح عند أبي العباس، يقول: أطعم الفقراء الذين هناك. تعظيم البقعة بالذبح عندها هو نوع من أفعال الجاهلية، وهو معصية لله ﷻ وذريعة إلى الشرك؛ لأنه غلو، وقد قال النبي ﷺ: «**إِيّاكُمْ والْغُلُوّ فِي الدِّينِ، فإنّما أهْلك منْ كان قبْلكُمُ الْغُلُوُّ**»[1] ذرائع الشرك الأكبر هي من الشرك الأصغر؛ لأنها تؤدي إليه؛ لذلك خطر عظيم أن يذبح عند القبر، ولو كان لله؛ فأما إذا ذبح لغير الله فهو شرك أكبر، والعياذ بالله، وصرف للعبادة لغير الله طالما قصد تعظيم صاحب القبر بإراقة الدم له والذبح له؛ ليرضيه بذلك ويتقرب إليه بذلك، ولا يتصور الذبح لميت بمعنى الإكرام له، إنما يُذبح للحي إكرامًا له، نعم لا يُقصد إراقة الدم، إنما يذبح للضيف مثلاً؛ لأنه يريد أن يطعمه، ويرى أن الذبح أعظم في الإكرام؛ لأن اللحم يكون أطيب ونحو هذا، هذا هو المقصود، وليس أنه يعظم الإنسان بأن يذبح أو يريق الدم من أجله، إنما هو يريد أن يكرمه بالطعام الذي يُعد ناضجًا في وقته ونحو هذا، كما ذبح إبراهيم عليه السلام لأضيافه، والذبح مشهور عند العرب، عندما ينزل بهم ضيف، حتى يعد الطعام للضيوف، وكذا ما يذبح للكبار والسلاطين قد يقصد به التعظيم بإراقة الدم، فهذا - والعياذ بالله - من الشرك؛ وأما ما كان تكريمًا من أجل أن يأكل الطعام ناضجًا كما ذكرنا، قد ذبح اليوم فيكون أطيب، فهذا لا يُنهى عنه، ولا يدخل في هذا الباب.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٧٣).

لا يُتصور هذا في حق الميت، في حق المقبور، بل لا يُتصور في الذبح للميت إلا التعظيم، ونعوذ بالله من ذلك؛ ولذا نص العلماء على أنه إذا ذبح للميت معظمًا له كان ذلك من الشرك، إن كان فاعله مسلمًا صار بهذا الفعل مرتدًا كما ذكر النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه ذبيحة لا تحل[١].

أما إذا ذبح عند القبر فقط - فكما ذكرنا - كان هذا من عادات الجاهلية يذبحون عند الأوثان وفي مكان الأعياد، فكل ذلك من معصية الله، كما دل عليه حديث الرجل الذي نذر أن ينحر إبلاً بـ «بوانة»[٢].

---

(١) انظر: شرح النووى على مسلم (١٣/ ١٤١) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا الذبح لِغَيْرِ اللَّهِ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ أَوِ الصليب أو لموسى أولعيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فكل هذا حرام ولاتحل هَذِهِ الذَّبِيحَةُ سَوَاءٌ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا فَإِنْ قَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِبَادَةَ لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا فَإِنْ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا).

(٢) سبق تخريجه (ص ٩٠).

الْمسْألةُ السّادِسةُ والثّمانُون: التّبرُكُ بِآثارِ الْمُعظّمِين، كدارِ النّدوةِ، وافْتِخارِ منْ كانتْ تحْت يدهُ بِذلِك، كما قِيل لِحكِيمِ بْنِ حِزامٍ: بِعْت مكْرُمة قُرِيْشٍ؟! فقال: ذهبتْ الْمكارِمُ إلّا التّقْوى[1]

الشـــرح:

التبرك بآثار المعظمين، بآثار من كان عظيمًا في الجاهلية عند قومه، فالتبرك طلب البركة، كما سبق بيانه، وإنما يشرع التبرك أي طلب البركة، وهي الخير الكثير مما جعل الله ﷻ فيه هذه البركة، مثل: التبرك بشرب ماء زمزم، كما قال النبي ﷺ: «**إنّها مُباركةٌ، إنّها طعامُ طُعْمٍ**»[2].

والتبرك بآثار الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه عليهم أجمعين، ومما قد يُلحق بهذا الباب أن النبي ﷺ كان يكشف ذراعيه عند أول نزول المطر حتى يتساقط عليه المطر، ويقول: «**إنّهُ حدِيثُ عهْدٍ بِربِّهِ**»[3]، فمثل هذا الذي ورد به الدليل، أن تطلب البركة، أو يطلب الخير من مصاحبة أو ملابسة أمر معين دل عليه الشرع؛ وأما طلب البركة بما لم يرد فيه دليل شرعي - والبركة الخير الكثير - أمر غيبي، والتبرك عبادة من العبادات، فلا يجوز لمسلم أن يخترع من ذلك ويبتدع شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، فاعتقاد أن شيئًا معينًا

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١١٦)، والروض الأنف (٢/ ٣٦)، والسيرة الحلبية (١/ ٢٥)

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه: «**أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى**».

فيه بركة دون خبر صحيح ودون دليل صحيح سالم عن معارض، لا يجوز لأحد أن يعمل به، ثم هو بعد ذلك هذا التبرك غير المشروع على مراتب:

المرتبة الأولى: ما هو شرك أكبر، والعياذ بالله، مثل: أن يعتقد أن هذا الشيء مصدر الخير بعينه، وأنه ينفع وأنه يضر من ترك التبرك به بذاته أو مع الله ﷻ، فهذا الاعتقاد يجعل صاحبه مشركًا بالله ﷻ في ربوبيته، ثم تبركه يقع عبادة لهذا الشيء، فهو يعتقد فيه النفع والضر؛ نفع من تلبس به، وضر من تخاذل عن ذلك أو أعرض عنه، سيصرف هذه العبادة لغير الله - سبحانه - مع اعتقاده ذلك فيكون شركًا في الربوبية والإلهية، مثل: تبرك المشركين باللات والعزى، على أحد الوجهين في تفسير[1]، لماذا عظم المشركون اللات؟ ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن الصخرة التي كانوا يعظمونها أصل تعظيمها قال: «**كان اللّاتُ رجُلًا يلُتُّ سوِيق الحاجِّ**»[2]، فسمي: اللاتّ، بتشديد التاء على قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[3]، يصنع لهم الطعام للحجاج، فلما مات عظموا تلك الصخرة، حتى صارت تعبد من دون الله ﷻ، والمشهور أن اللات بتخفيف التاء مؤنث من اسم الله ﷻ، والسياق سياق الآيات في سورة النجم يدل على ذلك: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾. اشتقوا أسماء مؤنثة من أسماء الله ﷻ، «**اشْتقُوا اللّات مِن الإِلهِ،**

---

(١) انظر: ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٥٨، ٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٧/ ٥٨)، والحجة في القراءات العشر (ص٣٦٦).

والعُزّى مِن العزِيزِ»[١]، وزعموا أنها ترمز للملائكة، فعظموا هذه الصخور والأشجار؛ لأنها عندهم ترمز للملائكة التي هي بنات الله، واشتقوا لها أسماء مؤنثة من أسماء الله.

والعزى كانت شجرة عليها أستار، الظاهر أنهم كانوا يتبركون بها، وعمومًا عقائد أهل الجاهلية وأهل الملل الوثنية والملل المحرفة تتداخل فيها الأمور، ولا يدرى على وجه الجزم بداية الأمر تخترع الأساطير والروايات حول هذه الآلهة والأصنام والأوثان وغيرها مما يعظمونها ويتبركون به، فلامانع من أن تعتقد طائفة ذلك وطائفة اعتقادًا آخر، فكل منهم على ضلال وشرك، وقضية التبرك بآثار المعظمين السابقين قضية تكاد تكون مشتركة بين كل أهل الوثنية مما لم يرد به دليل كما ذكرنا.

نقول: إن التبرك غير المشروع أحد أنواعه أو مراتبه الثلاث مرتبة الشرك الأكبر، وهو أن يعتقد في الحجر والشجر والآثار أنها تنفع بذاتها مع الله أو من دونه، وأنه يطلب منها بتبركه الخير، فهذا شرك في الربوبية وشرك في الإلهية.

والنوع الثاني: هو أن يعتقد أن الخير من الله ﷻ، وحده لا شريك له، ولكنه يصرف التبرك لهذه الأشياء بزعم أنها سبب، أن الله قد جعلها سببًا لنيل البركة والخير الكثير، فهذا كذب على الله ﷻ وعلى شرعه، ثم هو كذب على قدره؛ لأنه ليس هذا الأمر من جهة تجربة أو من جهة أمر ظاهر كسائر الأسباب أو سائر ما يطلب به الخير من الأسباب الظاهر، كمن

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٨).

يتناول دواء للشفاء من مرض معين، وهو معتقد أنه سبب، وأن الشفاء من الله ﷻ، نقول: هذا الأمر لا يعرف بالتجربة، والمقصود بالتجربة أو الأمر القدري الكوني أو السنة الكونية أن يكون أمرًا ظاهرًا لكل أحد يدركه المسلم والكافر؛ وأما الحكايات المصنوعة المختلقة حول بركة القبر الفلاني، والخيرات حول الولي الفلاني، وأن من نال شيئًا من آثار فلان حصل له من الخير كذا وكذا . . . وأن من أهمله حصل له من المصائب كذا وكذا، كما يتناقل الناس حكايات من هذا الباب في أوارق يتناولونها، وأن من كتبها حصل له المكاسب العظيمة، ومن أهملها وضيعها أصيب في بدنه وماله وفقد أولاده وثروته، كل هذه من الخزعبلات، قصص مخترعة لا يبحث أحد عن أسانيدها، وإنما تنتشر في الجهال انتشار النار في الهشيم.

لذا نقول: إن هذا النوع من التبرك رغم أنه لا يعتقد أن الله ﷻ له شريك في الضر والنفع، ولا أنه يطلب من هذه الأشياء مباشرة أو معتقدًا فيها، فهذا ذريعة إلى الشرك، هذا النوع وهو أن يعتقد أن هذه الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان سبب للبركة كذب على الشرع، وكذب على القدر، وذريعة إلى الشرك، وكل ما كان كذبًا على الله في شرعه، وكذبًا عليه في سنته القدرية الكونية، وتتابع الناس على اعتقاد أمر معين فيه، يترتب عليه دائمًا مِن الفساد والفتن ما لا يعلمه إلا الله، فكان ذريعة إلى الشرك الأكبر، فهو معدود ضمن الشرك الأصغر، ولقد قال النبي ﷺ لمن قال له من الصحابة حدثاء العهد بالشرك لما رأوا المشركين، وهم يعلقون أسلحتهم بسدرة يتبركون بها، شجرة سدر يقال لها ذات أنواط، كما في حديث أبِي واقِدٍ اللّيْثِيِّ رضي الله عنه قال: «**خرجْنا مع رسُولِ اللّهِ ﷺ إِلى حُنيْنٍ ونحْنُ حُدثاءُ عهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِين**

سِدْرةٌ يعْكُفُون عِنْدها وينُوطُون بها أسْلِحتهُمْ يُقالُ لها : ذاتُ أنْواطٍ. قال : فمررْنا بِالسِّدْرةِ فقُلْنا : يا رسُول اللّهِ اجْعلْ لنا ذات أنْواطٍ كما لهم ذاتُ أنْواطٍ فقال رسول اللّهِ ﷺ : اللّهُ أكْبرُ إنّها السُّننُ قُلْتُمْ والّذِي نفْسِي بِيدِهِ كما قالتْ بنُو إِسْرائِيل : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لترْكبُنّ سنن منْ كان قبْلكُمْ»[1]. على أحد الوجهين في تفسير هذا الحديث؛ لأن من العلماء من يجعل ما طلبوه من الشرك الأكبر، وإنما منع من تكفيرهم أنهم كانوا حدثاء عهد بشرك فعذروا بجهلهم، ومن أهل العلم من يجعله من الشرك الأصغر؛ لأن الصحابة ما كانوا ليطلبوا أو ليعتقدوا أن غير الله ينفع ويضر، مع أن ظاهر الحديث أنهم وقعوا فيما هو شرك أكبر، منع من تكفيرهم أنهم كانوا حدثاء عهد بشرك، لم يعرفوا تحريم ذلك؛ لأن الرسول ﷺ سوى بين قولهم وبين من قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، ولا شك في أن هذه الكلمة كفر صريح.

نقول: التبرك بأشياء لا دليل عليها - مما أجمع العلماء على أنه لا يشرع التبرك به - كذب على الشرع، وكذب على القدر، فهو ذريعة إلى الشرك، فهو شرك أصغر، حتى ولو لم يعتقد أنها تنفع وتضر، هذا الذي اعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله أو مع الله شرك أكبر، وهذا الذي اعتقد أنها سبب شرك أصغر.

يبقى النوع الثالث: وهو المختلف فيه، الذي قال بعض أهل العلم بمشروعيته وجوازه، وهو التبرك بآثار الصالحين غير الأنبياء، فهذا الذي

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠).

وقع فيه الاختلاف بين أهل السنة، وإن كان الصحيح أو قل الصواب أن التبرك بغير آثار الأنبياء غير مشروع، وأنه لا يصح التبرك بآثار الصالحين؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم تركوا ذلك مع من قطع بصلاحهم؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وباقي العشرة، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، ولم يتبركوا بآثارهم، وهو كالإجماع منهم، لا يعرف عنهم النقل المخالف وهذا مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع يدل على أن تركهم مقصود، فلقد كانت آثار النبي ﷺ فيهم يتبركون بها، فلم يكونوا ليغفلوا عن هذا الفضل العظيم في التبرك بآثار خلفائه الراشدين، لو كان هناك فضل، كما زعمتم أيها المجوزون أن التبرك بآثار الصالحين مشروع[1].

فلذلك نقول: الصحيح أن ذلك كالإجماع منهم، مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع يدل على مشروعية الترك، على لزوم ترك هذا التبرك بآثار الصالحين، وأن فعله بدعة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وإن كان من أهل العلم من يقول: إن هذا التبرك دل عليه التبرك بآثار النبي ﷺ والأصل عدم الخصوصية، ونحن إنما نحتج على الخصوصية بالرسول ﷺ بأن الصحابة لم يفعلوا ذلك كإجماع منهم بغير النبي ﷺ، ولو فعلوا لنقل، فإذ لم يُنقل حرف واحد منهم عن التبرك بآثار بعضهم بعضًا، كان ذلك دليلاً على أن خوف الغلو في الصالحين، وأن خطر التبرك بما لم يرد به الدليل أو قياس مع الفارق، أن يقيس غير النبي على النبي، يؤدي إلى خطر وغلو وتجاوز في الحدود؛ لذلك نقول: هذا يدل على أنهم خصوا ذلك بآثار النبي ﷺ، فتركهم لهذا الأمر كالإجماع مع وجود المقتضي، وهو الرغبة

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٢٩٣).

في الخير والبركة، وانتفاء الموانع حيث كان الصالحون قائمين وسطهم، يعيشون ويروحون ويجيئون، فتركوا ذلك قاصدين للترك غير غافلين عن معنى التبرك، فدل ذلك على أن الترك هو السنة، وأن الفعل بدعة، لكن نثبت الخلاف في هذا.

أما التبرك بآثار أهل الجاهلية كما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الأثر الذي كان في افتخار الناس بدار الندوة، التي كان المشركون يقولون: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا، فهو مجتمعهم الذي كانوا يجلسون فيه ويتفاخرون به، كانت دار الندوة لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أحد كبار قريش في الجاهلية، وهو - كما ذكروا - عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، فذكر ابن عبد البر عن مصعب قال: جاء الإسلام ودار الندوة بدار حكيم بن حزام، فباعها بعد ما مات معاوية بمائة ألف درهم، فقال له ابن هبيرة: «**بِعْت مكْرُمة قُرَيْشٍ؟! فقال: ذهبتْ الْمكارِمُ إلّا التّقْوى**»[1]، فكانوا يرون الفخر في ذلك، وترك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الافتخار بمثل ذلك.

وفي زماننا مِن هذا الأمر التبرك بآثار المعظمين من الكفار من الفراعنة وأشباههم، فهم يفتخرون بأن مصر أم الدنيا بها الأهرامات وبها أبو الهول وبها المقابر العظيمة للفراعنة، نعوذ بالله، هذا افتخار بباطل وبشرك وكفر وضلال، لا يجوز لمسلم أن يفتخر به، أن يفتخر بأن آثار أجدادنا الفراعنة - كما يقولون - بقيت سبعة آلاف سنة، فديار ثمود أشد بقاء منهم ومن آثارهم، لا شك أن ثمود قبل الفراعنة، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ

(١) سبق عزوه (ص ٩٣).

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ * مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ . فكان بين ثمود وبين الفراعنة قرون، فالافتخار بآثار هؤلاء الكفار الذين سجلوا شركهم على جدران معابدهم وبيوتهم، وملَوُّوها بالتماثيل المنحوتة والمرسومة والمحفورة، وكلها تدل على أنواع الكفر والشرك الذي كانوا عليه، فهذا إله السماء، وذاك إله النبات، وذاك إله المطر، والعجب أن أناسًا منهم جعلوا إله السماء عندهم حارس السماء (حورس) شعارًا لهم على طائرتهم في كل مكان تُحلق فيه، والعياذ بالله، فصار هذا الشعار الذي يدل على فساد الاعتقاد لمن اتخذه، كما أنه صار شعار شبابهم في الجامعات، فكل الأسر تسمى أسرة حورس، والعياذ بالله، وللأسف يخرج كثير من الشباب تحت هذا الشعار الشركي الكفري افتخارًا بأجدادهم الفراعنة، الذين هم أهون على الله من الجعلان، وآثار تدميرهم ظاهرة وملكهم الزائل يدل على فما فعله الله ﷻ بهم، مع أن الآثار تدل على أن ملكهم كان ملكًا شديدًا، كان ذا أوتاد ثابتة في الأرض، فأمر الله بإزالته ونزل بهم الدمار، وذلوا وهانوا بعد عزهم الذي كانوا به ظاهرين في الأرض، وهكذا - أيضًا - كل من يتفاخر بمآثر الجاهلية، ويطلب الخير من ذلك، ويتعظم بذلك، داخل في مشابهة أهل الجاهلية فيما كانوا فيه.

فلذلك لا يجوز للمسلم أن يتبرك بآثار المعظمين، ولا أن يفتخر بأن تحت يده شيء من ذلك، ولا أن يعين على شيء من ذلك، فالغرب مولع اليوم بتتبع الآثار، آثار الفراعنة، ويشتري تماثيل آلهتهم بأغلى الأثمان، حتى صارت تماثيل الفراعنة أغلى عندهم من تماثيل اليونان والرومان، التي هي كثيرة عندهم على نفس النمط من الكفر والشرك، فيوجد من يتعاون

معهم على ذلك بالحفر والتنقيب وبيع هذه التماثيل المحرمة التي تدل على الشرك، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «**إِنّ اللّه ورسُولهُ حرّم بيْع الْخمْرِ، والْميْتةِ، والْخِنْزِيرِ، والْأصْنامِ**»[1]، وهي أصنام بلا شك، تركها مدفونة هو الأولى، هو الواجب، كما أن الشيطان إنما توصل إلى الشرك في العرب بأن أوحى إلى عمرو بن لحي أن ائتي إلى جدة، فاحفر في أماكن تجد أصنامًا مُعدة، فحفر فاستخرج ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، استخرج تماثيل آلهة قوم نوح وبثها في قبائل العرب، فصارت تعبد من دون الله[2]، فسبحان الله! منذ أن جاءت الحملة الفرنسية واستخرجت تماثيل الفراعنة وحفرت ونقبت، وقد كانت قبل ذلك مدفونة؛ لذلك يتعجب كثير من الناس نتيجة ظنهم أن هذه الآثار كانت من أيام الصحابة رضي الله عنهم كذلك، فهذا غير صحيح، وإنما الحملة الفرنسية هي التي استخرجت معظم هذه الآثار، وحفرت ونقبت، فلم يكن الصحابة ليتركوا هذه الأوثان منصوبة قائمة، لكن وقع ذلك بعد ما حدث هذا الغزو الغربي العسكري والفكري، ثم وجد في زماننا من يعبد هذه الأصنام بالفعل منهم، وهناك طوائف تأتي من الغرب من أوروبا وأمريكا إلى الهرم الأكبر؛ لتمارس طقوس العبادة لهذه الأوثان، ويعظمون الفراعنة جدًا لأجل أنهم يرون أن هناك قوى خفية كانوا يتعاملون معها، ومسألة «لعنة الفراعنة» عند الكثيرين من العوام والخواص ثابتة، أن من حاول فتح هذه الأماكن أصابته لعنتهم، والعياذ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (١٥٨١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٧٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٦٢)، والرحيق المختوم (ص٢٧).

بالله، وهي كلمة كفرية شركية كذلك تدل على تعظيم هؤلاء الأسلاف الكفار، نعوذ بالله من حالهم؛ لذلك لا يجوز أن يفتخر إنسان بأن عنده شيء من ذلك، وإنما غلت أسعار تماثيل الآثار لأجل الافتخار بأن عندهم شيء من ذلك، يشترون تمثالاً حجريًا لا يساوي قروشًا قليلة في منفعته؛ لأن منفعته الوحيدة شرعًا هي أن يُكسر، ويستعمل كردم في الأماكن التي يحتاج فيها إلى حجارة مكسورة، هذا هو قيمته شرعًا؛ وأما هم فيجعلون لهذا التمثال الحجري - ولو لم يكن من الذهب ولا من الفضة ولا من المعادن - ملايين الجنيهات، ومن وقع على ذلك كانت له ثروة، لأجل ماذا؟! لأجل أن يفتخر أحدهم أن عندي من تماثيل الفراعنة كذا وكذا؛ ولأجل أن تفتخر متاحفهم بأن عندنا من التماثيل كذا وكذا، وتاريخ هذا التمثال كذان ونسأل الله العافية، وهي في الحقيقة تماثيل آلهة أو ملوك طواغيت عبدوا الناس لغير الله، فكيف يفتخر مسلم أو يعين مسلم على افتخار كافر بمثل ذلك؟! فهذا كله من صنع أهل الجاهلية، فإذا كان حكيم بن حزام قد أنكر على من أنكر عليه أنه باع مكرمة قريش على أنه افتخر بدار الندوة مجرد مكان كانوا يجتمعون فيه، لكن لما كانت هذه الدار مما افتخرت به قريش في الجاهلية، ويقولون: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا، كان ذلك من مسائل الجاهلية التي ينبغي ويجب أن يفارقها المسلم؛ ولذا قال: «**ذهبتْ الْمكارِمُ إِلّا التّقْوى**»، وما أحسن ما قال وأفقه ما كان فيه الصحابة رضي الله عنهم! ما أفقه الصحابة رضي الله عنهم! حيث علموا حقيقة ما بعث به النبي ﷺ، حين قال ﷺ: «**ياأيها النّاسُ، ألا إِنّ ربّكُمْ واحِدٌ، وإِنّ أباكُمْ واحِدٌ، ألا لا فضْل لِعربِيٍّ على عجمِيٍّ، ولا لِعجمِيٍّ على عربِيٍّ، ولا أحْمر**

على أسْود، ولا أسْود على أحْمر، إلّا بِالتّقْوى»[١].

لذلك نقول: هذه التجارة الخاسرة التي يحاول البعض إحيائها أو التكسب منها، ولو أتت بملايين فهي خاسرة؛ لأنها بيع محرم يعين على الافتخار بمآثر الجاهلية وآثار المعظمين الكفار، نعوذ بالله من حالهم.

ومن هذه المسألة أيضًا: الغلو والتبرك بآثار من يظنهم أتباعهم وأذنابهم صالحين، فالصوفية عندهم من التبرك بآثار من يصفونهم بالصلاح وهم من شر أهل البدع أو عندهم من البدع والضلالات، ولو سلمنا لما كانت آثارهم فيها بركة على الصحيح، لو سلمنا صلاحهم، فضلاً عن التبرك بما ليس من الآثار، أعني: بما وضع على قبورهم، إذا كان لا يشرع التبرك بالحديد الذي على قبر النبي ﷺ، ولا يشرع التبرك بالأرض التي مشى عليه النبي ﷺ، ولا يشرع التبرك بما جلس عليه النبي ﷺ إلا شيئًا كان يلبسه، شيئًا من آثار جسده ﷺ هذا الذي فيه البركة؛ وأما غير ذلك فلا يشرع التبرك، فكيف بمن دونه ﷺ؟!

وما يفعلونه عند قبور أوليائهم ومساكنهم وملابسهم يدل على غلوهم في ذلك غلوًا شديدًا، فتبركهم داخل في النوعين الأولين، لا في النوع الثالث المختلف فيه والراجح أنه بدعة، تبركهم داخل في النوع الشركي، شرك أكبر أو شرك أصغر؛ لذلك نقول: التبرك بآثار المعظمين من المشركين ولو من المسلمين لا يصح ولا يجوز، بل هذا من فعل أهل الجاهلية.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٠).

الْمسْأَلَةُ السَّابِعَةُ والثّمانُون حَتَّى التِّسْعِين: الْفخْرُ بِالْأحْسابِ، الطّعْنُ فِي الْأنْسابِ، الاسْتِسْقاءُ بِالْأنْواءِ، النِّياحةُ عَلَى الْميِّتِ.

الشـــرح:

وهذا نص حديث النبي ﷺ: «**أرْبعٌ فِي أُمّتِي مِنْ أمْرِ الْجاهِلِيّةِ لا يتْرُكُونهُنّ: الْفخْرُ فِي الأحْسابِ، والطّعْنُ فِي الأنْسابِ، والاِسْتِسْقاءُ بِالنُّجُومِ، والنِّياحةُ**»، وقال: «**النّائِحةُ إِذا لمْ تتُبْ قبْل موْتِها، تُقامُ يوْم الْقِيامةِ وعليْها سِرْبالٌ مِنْ قطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جربٍ**»[(١)]، تلبس ثوبًا من الجرب، تحك جسمها بسبب نياحتها، الفخر بالأحساب: مآثر الآباء والأجداد، حسب فلان، يعني: مآثر أجداده، يفتخر بأن أجداده كانوا يطعمون الطعام، أو كانوا سدنة البيت، أو كانوا سدنة الأوثان، وكما ذكرنا الفخر بالأحساب في زماننا من يفتخر بالفراعنة، فهذا خبل وخطر على عقيدة فاعله؛ أما من يقول: لو تعارضت الفرعونية مع الإسلامية قدمنا الفرعونية، كزنادقة ومنافقي العلمانيين المصرحين بهذه الزندقة، فهذا نفاق بيِّن وردة عما منّ الله به علينا من هذا الدين، يقول: نقدم الفرعونية. وهذا النسب الخبيث الذي قال النبي ﷺ: «**منْ تعزّى بِعزاءِ الْجاهِلِيّةِ، فأعِضُّوهُ بِهنِ أبِيهِ، ولا تكْنُوا**»[(٢)]، أي قولوا له: اعضض هنِّ أبيك، والهن اسم للذكر، من

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٥/ ١٥٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٧٥، ٩٧٦)، وفي الكبرى (٨٨٦٥)، والطحاوي في شرح مشكل =

الأسماء الصريحة عند العرب، فيقال له: اعضض ذكر أبيك، سب وشتم؛ لأجل إهانته وتحقيره، لما تفاخر بآبائه وأجداده، وقال: «**إنّ اللّه تعالى أذْهب عنْكُمْ عُبِّيّة الْجاهِلِيّةِ وفخْرها بِالْآباءِ، النّاسُ رجُلانِ: مُؤْمِنٌ تقِيٌّ، وفاجِرٌ شقِيٌّ، أنْتُمْ بنُو آدم وآدمُ مِنْ تُرابٍ، ليدعنّ رِجالٌ فخْرهُمْ بِأقْوامٍ، إِنّما هُمْ فحْمٌ مِنْ فحْمِ جهنّم، أوْ ليكُونُنّ أهْون على اللّهِ مِن الْجِعْلانِ الّتِي تدْفعُ بِأنْفِها النّتِن**»[1]، يجعلهم الله أهون عليه من الخنافس والحشرات، التي لا يعبأ الناس في قتلها وإزالتها، فالنبي ﷺ أشار إلى إهانة من فعل ذلك، والمعتاد في مثل هذا الأمر أن يكون صاحبه إنما يفتخر بأفعال الآباء والأجداد دون أن يصوِّب ملتهم، فأما من صوب ملتهم - كما ذكرنا - من يقول يقدم الفرعونية على الإسلام، ويرى أن هذه الحضارة كانت أعظم من حضارة الإسلام ومما جاء به الإسلام، فهذا كفر، نعوذ بالله من ذلك، وكما وردت بعض أشعار عن زنادقة يفتخرون بما فعل آباؤهم مثلاً بالمسلمين في غزوة أحد، عندما قتل بعض أهل بيت النبي ﷺ قيلت أشعار في ذلك، الله أعلم بمن نسبت إليهن أن ذلك ثأر ما فعل المسلمون، ما فعل بنو هاشم، يعني: الرسول ﷺ، ومن معه من الصحابة بآبائهم يوم بدر، فأخذ بثأرهم بمن قتل من أهل بيته ﷺ. قال عبد اللهِ بْنُ الزّبعْرى

= الآثار (٣٢٠٤، ٣٢٠٧)، والطبراني في الكبير (٥٣٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٥٦)، والبغوي (٣٥٤١)، والضياء في المختارة (١٢٤٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٣٣).

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي يوْمِ أُحُدٍ[١]:

لـيْـت أشْـيـاخِـي بِـبـدْرٍ شـهِـدُوا ... جـذع الْخزْرجِ مِـنْ وقْـعِ الأسـلْ
حِـين حـكّـتْ بِـقُـبـاءٍ بـرْكـهـا ... واسْـتحرّ الْقتْلُ فِي عبد الأشْلْ
ثـمّ خـفّـوا عِـنْـد ذاكُـمْ رُقّـصًـا ... رقـص الْحُقّـانِ يـعْـلُـو فِي الْجبـلْ
فقتلْنا الضِّعْف مِنْ أشْرافِهِمْ ... وعـدلْـنـا مـيْـل بـدْرٍ فـاعْـتـدلْ

فمثل هذا يكون فخرًا بالأحساب كفرًا، والعياذ بالله، لكن المعتاد أن هذا في الأمة، فيكون شركًا أصغر على ظاهر الحديث؛ لأنه قال: «**أرْبعٌ فِي أُمّتِي مِنْ أمْرِ الْجاهِلِيّةِ لا يتْرُكُونهُنّ..**»[٢]. فدل ذلك على أنه موجود مع بقاء انتسابه إلى الأمة، فما كان من ذلك شركًا أكبر فيكون دليلاً على أنه كان من الأمة قبل أن يفعل شيئًا من ذلك، أو أنه من الأمة انتسابًا نفاقًا ورياءً وليس منها في الحقيقة؛ وأما المعتاد فهو أن هذا من الشرك الأصغر والجاهلية التي لا تنافي أصل الدين، لكن تنافي كماله الواجب، فإن لفظ الجاهلية - كما سبق بيانه - يشمل ما كان كفرًا وما كان معصية، فهذا النوع من المعاصي والذنوب، والظاهر أنه من الكبائر - والعياذ بالله - الفخر بالأحساب.

والثاني: الطعن في الأنساب، وهذا منتشر انتشارًا خطيرًا، كان في الجاهلية الشعراء إذا أرادوا أن يهينوا أحدًا طعنوا في نسبه، وشببوا به وبأمه،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٧)، وعيون الأثر (٢/ ٤٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١١٠)، والروض الأنف (٦/ ١٠٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٠٤).

واتهموه بأنه ابن فاحشة وزنا، وفي زماننا هذا صار هذا الأمر معلومًا معهودًا عند الفساق، فأيسر شيء عندهم أن يقولوا: فلان ابن حرام. وربما قصدوا بذلك أنه ماهر جدًا، نعوذ بالله، وهذا من أمر الجاهلية، وربما قصدوا بذلك ما يصرحون به في شتائمهم من فلان ابن زنا وأن أمه زانية، فالسباب عندهم عادته يتضمن الطعن في النسب، وهذا السباب الصريح الذي قد يحيِّ به بعض الفسقة والفجرة والعصاة بعضهم بعضًا في أول النهار، يا ابن فلانة الزانية، بالألفاظ القبيحة المنكرة ونحو هذا، ويتضاحكون بذلك مما يوجب حد القذف، إلا أن يأتي بأربعة من الشهود العدول يشهدون بأنها قد زنت أمام أعينهم، وأنّى له بذلك، وربما كانت أمه قد ماتت، وربما أبوه قد مات؟!

ويجعلون هذا الأمر - والعياذ بالله - عادة لهم يتضاحكون بها ويتسامرون بها، نعوذ بالله من ذلك، وهذا من عظائم الذنوب، وقد قال ﷻ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. فما يفعله الفساق في ذلك هو من أمر الجاهلية، الطعن في الأنساب، ومن ذلك ما قد يفعله بعض الآباء من نفي نسب أبنائهم لمجرد الشك، ويقول: إن هذا لا أدري هو ابني أو ليس ابني، لمجرد وجود شبه مخالف، لمجرد وجود شكل مخالف، كما كان أهل الجاهلية يطعنون في نسب أسامة بن زيد من أبيه رضي الله عنهما؛ لأن أسامة رضي الله عنه كان شديد السواد وأباه زيد بن حارثة رضي الله عنه كان أبيض، والحقيقة أن هذا بيّنه النبي ﷺ، فقال لرجل لما عرض بنفي ولده لاختلاف لونه، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه: «**أنّ رجُلًا أتى النّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسُولَ اللَّهِ، وُلِد لِي غُلامٌ أسْودُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إبِلٍ؟ قَالَ: نَعمْ، قَالَ: ما ألْوانُها؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيها مِنْ أوْرق؟ قَالَ: نعمْ، قَالَ: فأنّى ذلِك؟ قَالَ: لعلّهُ نزعهُ عِرْقٌ،**

قال: فلعلّ ابْنك هذا نزعهُ عِرْقٌ»[١]، يعني: كان هناك أحد آباء هذا الجمل أو أجداده بهذا اللون، فأتى به بشيء من هذا، فقال ﷺ: فكذلك يعني قل عن ابنك لعله نزعه عرق. فهذا يمكن أن يقع، وهو ثابت علميًا؛ فلذلك الطعن في النسب لمجرد الشك دون اليقين أمر عظيم الخطر.

وأما الاستسقاء بالأنواء، وهي النجوم، فقد كان من اعتقادات أهل الجاهلية أن النجوم هي التي تنزل المطر، وما زال أناس في زماننا يعتقدون ذلك، وأكثر من يعتقد في ذلك في شرق آسيا، فملل البوذيين والكونفشيوس والمشركين الوثنيون يقولون: هذا عام النجم الفلاني، وهذا متميز بكذا، وهذا تنزل به الأمطار بكذا، والصينيون خصوصًا عندهم من العقائد الفاسدة في ذلك، والهندوس كذلك، يعني: من الخزعبلات والأساطير ما الله أعلم به، يعتقدون أن النجوم هي التي تنزل المطر، واليونان القدماء والرومان والفراعنة كانوا أيضًا يعتقدون في ذلك، والمشركون من قريش أخذوا وضاهئوا هؤلاء، فكان الاستسقاء بالأنواء والنجوم على ذلك.

من اعتقد أن النجم ينزل المطر وينشئه مع الله أو من دون الله، فهو شرك أكبر، فمن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا. معتقدًا ذلك الاعتقاد، فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب؛ كما في الصحيح: «**صلّى لنا رسُولُ اللّهِ ﷺ صلاة الصُّبْحِ بِالْحُديْبِيةِ على إِثْرِ سماءٍ كانتْ مِن اللّيْلةِ، فلمّا انْصرف أقْبل على النّاسِ فقال: «أتدْرُون ماذا قال ربُّكُمْ؟. قالُوا: اللّهُ ورسُولُهُ أعْلمُ. قال: «أصْبح مِنْ عِبادِي مُؤْمِنٌ بِى وكافِرٌ، فأمّا منْ قال: مُطِرْنا بِفضْلِ اللّهِ ورحْمتِهِ،**

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٥، ٦٨٤٧، ٧٣١٤)، ومسلم (١٥٠٠).

فذلِك مُؤْمِنٌ بِي وكافِرٌ بِالْكوْكبِ، وأمّا منْ قال: مُطِرْنا بِنوْءِ كذا وكذا، فذلِك كافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكوْكبِ»(١).

إن اعتقد أنه ينزل المطر وينشئه فهذا كفر أكبر - كما ذكرنا - إن كان مع الله أو من دونه، على سبيل الشركة أو الاستقلال بنزول المطر.

وأما إن اعتقد أن الله جعل النجم سببًا لنزول المطر، فهو يؤثر بإذن الله، أن الله ينزل المطر، ولكن جعل النجم سببًا، فهذا شرك أصغر؛ لأنه كذب على الشرع وعلى القدر كما أوضحنا.

وكل مسائل الأسباب تكون كذلك، لابد أن يكون السبب إما شرعيًا بدليل من الشرع، أو كونيًا دلت عليه السنة الكونية بالتجربة؛ فأما إذا لم يعرف ذلك فادعاء أن شيئًا ما سبب لشيء آخر دون دليل كذب على الشرع وعلى القدر، وهو ذريعة إلى الشرك، ومشابهة لأهل الشرك في ألفاظهم فيكون شركًا أصغر؛ وأما من اعتقد أن الله ينزل المطر، ولكن النوء علامة - وهي درجة أقل - ليست سببًا، ليس أن النوء يؤثر بإذن الله أو أنه سبب لنزول المطر بتقدير الله، لا، يقول: مجرد علامة، أنه جرت العادة بأن الوقت الفلاني ينزل المطر عند ظهور النجم الفلاني، فهذا قد قال بعض أهل العلم بأنه مكروه فقط، والصحيح أن ظاهر الحديث بأنه: «**وأمّا منْ قال: مُطِرْنا بِنوْءِ كذا وكذا، فذلِك كافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكوْكبِ**»، فهذا صريح في أن هذا الكفر لا يجوز، ولو كان شركًا لفظيًا، ولو كان شركًا أصغر، فلا يجوز مشابهة

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١) عَنْ زَيْد بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه.

المشركين في ذلك بحال من الأحوال؛ ولذلك من قال: إنه علامة، فالصحيح أن ذلك كراهة تحريم، وليس مجرد كراهة تنزيه كما قال البعض، ولفظ النوة التي يستعملها الناس اليوم أظن أن أصلها من النوء، وإن كان الناس لا يرون ذلك ابتداءً، فينبغي تغيير اللفظ، ولكن إن قصدوا بالنوة الريح فاسمها عندهم مجرد اسم بالريح التي تأتي في تاريخ معين، مع اعتقاد المسلم الجازم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، لم يكن ذلك داخلاً في هذا الباب، لكن لا ينبغي مشابهة لفظ المشركين، الناس عندهم اليوم لا يعرفون أن النوة أصلها من النوء، وإنما يقصدون بالنوة الريح الشديدة المطيرة أو غير المطيرة، يسمونها نوة كذا، نوة عيد الميلاد، نوة الحسوم، لأوقات معينة جرت العادة بأنها قريبة من هذه الأوقات، لو اعتقد المسلم أن الله الذي ينزل المطر، وأنه لا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله، ولا أن تصريف الرياح يعلمه أحد قبل وقوعه إلا أن الأسباب الظاهرة، إلا أن التجربة أدت إلى أننا نتوقع هبوب الرياح في موعد معين، فمثل هذا إن تكلم بلفظ نوة ويقصد بها الريح لا النجم، لم يكن ذلك داخلاً في الاستسقاء بالأنواء.

وأما إذا قصد النوء النجم، فهذا مشابهة لأهل الجاهلية، والتشبه بالقوم يجعل الإنسان منهم، وقد قال النبي ﷺ: «**منْ تشبّه بِقوْمٍ فهُو مِنْهُمْ**»[1]؛ لذا نقول: إن الصحيح أنه مكروه كراهة تحريم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٩/ ١٢٦)، والبزار (٧/ ٣٦٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٧٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٧) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢١٣).

إذًا، الاستسقاء بالأنواء على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الشرك الأكبر، وهو أن يعتقد أنها تنشئ المطر وتنزله من دون الله أو مع الله، من قبل نفسها.

المرتبة الثانية: أن يعتقد أنها سبب، جعلها الله سببًا، فهذا شرك أصغر.

المرتبة الثالثة: المختلف فيه في الاستسقاء بالأنواء، أنه إذا قال: مطرنا بنوء كذا وكذا. على سبيل العلامة والتوقيت، فهذا مختلف في أنه مكروه تحريمًا أو تنزيهًا، والصحيح التحريم.

وأما النياحة فهو الصياح على الميت، بتعديد مناقبه وآثاره، والدعاء بالويل والثبور، يا ويلي! يا خرابي! يا لهفي! يا أسدي! يا كسبي! ونحو ذلك ... من لنا بعد! الصياح والبكاء ورفع الصوت والتكلم بالكلام المنكر عند الموت، كل هذا من النياحة على الميت المحرم، بل كبيرة من الكبائر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**النّائِحةُ إذا لمْ تتُبْ قبْل موْتِها، تُقامُ يوْم الْقِيامةِ وعليْها سِرْبالٌ مِنْ قطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جربٍ**»[1]، القطران يزداد اشتعالاً في النار، والجرب يحك جسمها، كما لطمت خدها وشقت جيبها، وهذا من الجاهلية قال النبي ﷺ: «**ليْس مِنّا منْ ضرب الخُدُود، وشقّ الجُيُوب، ودعا بِدعْوى الجاهِلِيّةِ**»[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

دعوى الجاهلية كما ذكرنا: يا خرابي! يا ويلي! يا هلاكي! يا كسبي! يا حافظي! يقولون ذلك للميت، فرفع الصوت بالبكاء عمومًا لا يجوز، الذي يجوز الدمع، دمع العين، كما قال النبي ﷺ: «**إنّ العيْن تدْمعُ، والقلْب يحْزنُ، ولا نقُولُ إلّا ما يرْضى ربُّنا، وإنّا بِفِراقِك يا إبْراهِيمُ لمحْزُونُون**»[1]، إبراهيم ابن النبي ﷺ لما مات.

فالنياحة - والعياذ بالله - من عظائم الذنوب التي يجب التوبة منها، سواء كانت مجاملة، أو تألمًا بالميت، (مجاملة) التي تسمى الإسعاد، أن فلانة أسعدتني في الجاهلية، يعني: خدمتني عند وجود ميت لي فصاحت معي فناحت، فتريد أن تسعدهم، عندهم الميت اليوم، فتذهب تنوح وتصوت معهم، وهذه كانت مهنة منذ حوالي خمسين سنة، كانت مهنة اسمها النّدّابة، كانت مهنة تأخذ عليها أجرة، تذهب تُبكي من لا يبكي، تظل تنوح وتجعل المنديل هكذا، وتشده يمينًا وشمالاً، والعياذ بالله، لكن الحمد لله قلّ ذلك كمهنة، ولكن بقي كمجاملة، وبقي كتألم، يعني: أصحاب الميت يتألمون، والنساء غالبًا ما يفعلون مثل هذا الأمر، ونسأل الله العافية، ومِن النساء من تجامل في هذا الباب كما ذكرنا، وكله من كبائر الذنوب، نسأل الله العافية.

إذا تكلموا بالكفر أثناء النياحة مما فيه سب للقدر واعتراض عليه، فذلك - والعياذ بالله - من الكفر، قد يتكلمون بكفر اختيارًا، يسبون الله ﷻ الذي فعل بهم ذلك، ويسبون قدره، ويتهمونه بالظلم، وربما صرحوا بذلك تلفُّظًا، فهذا كفر، والعياذ بالله، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

الْمسْألةُ الْواحِدةُ والتِّسْعُون: إنّ أجلّ فضائِلهُمْ الْبغْيُ، وقدْ ذكر اللهُ فِيهِ ما ذكر.

الـشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وذكر الله ﷻ عن آل فرعون، قال: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ﴾ [يونس: ٩٠]، عدوانًا وتجاوزًا، وذكر الله ﷻ عن أهل الكتاب، قال: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الجاثية: ١٧].

فالبغي من أعظم أمراض الأمم خصوصًا بعد تمكنها، ذكره الله ﷻ عن المشركين، وذكره ﷻ عن المنحرفين الملحدين الكافرين من أهل الكتاب، فهذا البغي، أن يبغي بعض الناس على بعض، وأن يعتدوا عليهم، وأن يتجاوزوا الحدود، فالبغي هو تجاوز الحدود، والله ﷻ شرع شرائع وحد حدودًا وبيّن حقوق العباد بعضهم على بعض، فالحسد والرغبة في العلو هي من أعظم الأمراض التي تؤدي إلى البغي والعدوان، وهذا الذي حرمه الله ﷻ فيما حرم من كبائر الإثم ونهى عنه ﷻ، وهذا البغي سبب تفرق الأمة وسبب اختلافها وتباغض أفرادها، وكل طرف يريد أن يأخذ حق أخيه،

فالمؤمن الصادق لايبغي على أخيه المؤمن، كما قال ﷺ: «**وإنّ الله أوْحى إليّ أنْ تواضعُوا حتّى لا يفْخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبْغِي أحدٌ على أحدٍ**»(١)، فهذا الأمر وهو تجاوز الحدود، أن يتمنى الإنسان أن يأخذ ما في يد أخيه، وأن يحسده على نعمة الله ﷻ، وأن يجاوز في البطش والتنكيل بمن خالفه، فهذا ليس من صفات أهل الإيمان، ولم تزل هذه الأمراض موجودة في الأمم، والعجب أنهم يفتخرون بتسلطهم على الآخرين وبغيهم، وأنهم إذا بطشوا بمن خالفهم بطشوا جبارين، وإلى يومنا هذا لا يزال الطغاة يفتخرون ويعدون من فضائلهم أنهم يبطشون بمن خالفهم، وأنهم يبغون على من يخالفهم فيما هم فيه أو ينازعهم فيما هم فيه، ولو نظرت إلى الأمم الغربية، وكيف أنها بغت على الشعوب المستضعفة، وأخذت بلادها وثرواتها وأذلت أهلها، وهم يعدون ذلك من مفاخرهم، ويسمون ما يفعلونه استعمارًا، وصارت هذه الكلمة بعد رفض الناس لها من كراهيتهم علامة على الاحتلال، وإن كان أصلها من التعمير، لكن في حقيقة الأمر هم بغوا واعتدوا، ويفتخرون ببغيهم وعدوانهم ويسمونه تعميرًا وإرشادًا للأمم، والعجب أن أناسًا من المنافقين يرون ما يفعله الأعداء فعلاً من البغي والعدوان من المفاخر، يرون ذك من الفضائل.

فتجد من يقول: من الذي علّم الأمم الديمقراطية؟ ومن علّمهم الحرية؟ ومن منع الإرهاب والتطرف من أن يسيطر على المجتمعات؟ ويضرب أمثلة في ذلك بالبلاد التي احتلها الغرب؛ في فلسطين، وفي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار أخي بني المجاشعي رضي الله عنه.

العراق، وفي أفغانستان، وهذا ممن ينتسب إلى الإسلام، فلو تصور أن الأعداء يرون هذا من فضائلهم، فهذا من أجل جهلهم وضلالهم، فكيف يتصور أن يوجد في الأمم المغلوبة المهزومة المستضعفة المستذلة من يجعل البغي والعدوان واحتلال البلاد من فضائل الغرب، ومن فضائل الأعداء أنهم أخرجونا واستنقذونا؟!

وتجد دعاة التنوير الكاذب، وهم دعاة الظلام في الحقيقة الذين يريدون التخلص من دين الإسلام بالكلية، ويطعنون فيه بالليل والنهار في أصوله وفروعه، في كلياته وجزئياته، يرون هذه الأمور، يرون أن الحملات الغربية على بلادنا كانت تنويرًا، ولا يزال يوجد في بلادنا من يرى الحملة الفرنسية سببًا للتنوير، وأن الأمة إنما خرجت من الظلام إلى عهود الإصلاح عندما أتى الغرب واحتل هذه البلاد، وكذا الاحتلال الإنجليزي عند أقوام هو الذي أخرج هذه الأمة إلى التعليم النافع وإلى التقدم والحضارة والمدنية، وأن اتباع هؤلاء البغاة المعتدين هو في الحقيقة من الفضائل المستحسنة، سبحان الله! الله ﷻ ذم هؤلاء المتكبرين الذين كانوا يفتخرون بالطغيان على من خالفهم، وبيّن ﷻ عاقبة البغي، وأنه سبحانه يدمر أهله وأصحابه، ويفرق كلمتهم، وينزل بهم بأسه على ما صنعوا، وهؤلاء في زماننا يرون العدوان والبغي مأثرة ومفخرة من المفاخر التي يرونها سببًا لإصلاح الأمة وتنويرها، وذلك بالتخلص من مبادئ دينها وأصوله وفروعه في حقيقة الأمر عندهم، هذا الذي ابتلي به المسلمون في زماننا هو من أمور الجاهلية، ونسأل الله العافية.

فالبغي وتجاوز الحدود التي شرعها الله ﷻ هذا هو الذي حرمه الله

وأنزل فيه ما أنزل وجعله من أغلظ المحرمات، فالمسلمون في جهادهم في سبيل الله لا يبغون في الأرض بغير الحق ولا يتكبرون فيها، وإنما ينشرون العدل والعلم النافع في الأمم، ويستخرجونهم من الظلمات إلى النور، كما قال ربعي رضي الله عنه لرستم ملك الفرس، لما سأله عن سبب قدومهم: «**فقال: ما جاء بِكُمْ؟قال: اللّهُ ابْتعثنا، واللّهُ جاء بِنا لِنُخْرِج منْ شاء مِنْ عِبادةِ الْعِبادِ إِلى عِبادةِ اللّهِ، ومِنْ ضِيقِ الدُّنْيا إِلى سِعتِها، ومِنْ جوْرِ الأدْيانِ إِلى عدْلِ الإِسْلامِ، فأرْسلنا بِدِينِهِ إِلى خلْقِهِ لِندْعُوهُمْ إِليْهِ، فمنْ قبِل مِنّا ذلِك قبِلْنا ذلِك مِنْهُ ورجعْنا عنْهُ، وتركْناهُ وأرْضهُ يلِيها دُوننا، ومنْ أبى قاتلْناهُ أبدًا، حتّى نُفْضِي إِلى موْعُودِ اللّهِ**»(١).

هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يخرجون الناس - كما بين الله سبحانه وتعالى - من الظلمات إلى النور، وهم يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ناشرين لما بعث به نبيهم صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي أوحى الله فيه إليه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وما رضوا أبدًا بالبغي والعدوان، حتى على الأمم المغلوبة المهزومة، وما رضوا بأن يظلم هؤلاء المغلوبين، بل كلٌّ يأخذ حقه، ولا يستعبد الناس بغير حق، وحتى من كان استرق أو أسر أو قهر، فإنه يُعامل معاملة حسنة، حتى أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بملك اليمين مرات عديدة، حتى كان آخر ما قال من وصاياه وهو في مرض موته: «**الصّلاة الصّلاة، وما ملكتْ أيْمانُكُمْ**»(٢).

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٥٣٠)، والبداية والنهاية (٧/ ٤٦)، وحياة الصحابة (١/ ٢٥٨)

(٢) أخرجه أحمد (٤٤/ ٨٤)، والنسائي في الكبرى (٧٠٩٨)، وأبو يعلى (٦٩٣٦)، =

فالبغي هو من مفاخر أهل الجاهلية، يرون أن قوة بطشهم وشدة بغيهم يعدون ذلك إرهابًا، ويعدون ذلك من فضائلهم، وكانت العرب في أشعارها تفتخر بظلم قبيلتها مثلاً لغيرها، ويرون ذلك مما يتمدحون به، ويذكرون بطشهم لمن خالفهم، ولو تأملت في زماننا الكفار والمنافقين والعتاة المجرمين من الملأ المتكبرين، يذكرون أيضًا من فضائلهم أنهم يعتدون على الناس، ولو نظرت مثلاً إلى اليهود كيف أن من كان يعتدي على المسلمين في مذابح تأسيس الدولة اليهودية المجرمة فعندهم مِن المقدمين، فعامة رؤساء بلادهم ورؤساء وزرائهم وعامة حكامهم هم الذين اشتركوا في البغي والعدوان، وقادوا عصابات القتل والظلم والعدوان التي مارسوها ضد المستضعفين من المسلمين قبل وبعد تأسيس دولتهم، وهم يفتخرون بذلك ويجعلونه سببًا للتقدم عندهم؛ لكي يكون رئيسًا أو كبيرًا أنه بالفعل يسفك الدماء أكثر، وما زالت استطلاعات الرأي في بلادهم أن من شارك في قتل المسلمين أكثر ومن توعدهم أكثر ينتخبونه، تظهر استطلاعات الرأي أنه مقدم عندهم وينتخبونه في الانتخابات؛ لأنهم يودون من يظلم الناس، وعند الأمريكان شخصية راعي البقر الذي يقتل الهنود ويقتل الشعوب المستضعفة الأخرى، هو الشخصية المفضلة عندهم، ولا يزالون يفتخرون بهذا البغي والعدوان.

= والبيهقي في الدلائل(٧/ ٢٠٥)، والنسائي في الكبرى (٧٠٩٧، ٧٠٩٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٢٠٣) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ**».

وكما ذكرنا المسلمون في جهادهم وإعلائهم لكلمة الله، حتى مع الأمم المغلوبة المستضعفة، لم يكن ذلك إلا لمصلحتهم؛ ولذلك ما نشروا القتل وسفك الدماء وانتهاك الأعراض والحرمات؛ وإنما نشروا العلم والعدل ودخلت الأمم في دين الله أفواجًا مختارة لهذا الدين، خرجوا من نير واستعباد أمثالهم ممن ينتسب إلى ملتهم إلى سعة الإسلام وعدله ورحمته، ومن يتأمل تاريخ المسلمين في فتحهم مصر مثلاً، وكيف أن النصارى من أهل البلاد سارع أكثرهم في الدخول في الإسلام بعد أن رأى عدل المسلمين وكذا ما كانوا يعانونه على أيدي من ينتسبون إلى ملتهم ممن خالفهم في المذهب، فقد كان مذهب الأقباط في مصر يختلف عن مذهب الملكانية أو الكاثوليك الرومان، الذين يحتلون البلاد في ذلك الوقت، وأذاقوهم سوء العذاب، ولما جاء المسلمون خلصوهم بالفعل، وهم الذين سجلوا ذلك في كتب تاريخهم، فكان البغي والعدوان هو السمة المميزة لأهل الكتاب وللمشركين، والعجب أن يفتخرون بذلك ويعدونه من فضائلهم، وأعجب منه أن يوجد فيمن ينتسب إلى الإسلام من يرى فعلاً أن بغيهم وعدوانهم مصلحة وخير للمسلمين، وأنه كان الذي ينبغي أن يقع ويحدث، ويودون استمرار هذا الاحتلال والبغي والظلم والعدوان، ويبرئونه، وما أعجب من هذا الأمر هو ما شهد الأعداء به في آخر ظلم تعرض له المسلمون في غزة، القاضي الذي يحقق عندهم يهودي الديانة، وعضو في مجلس أمناء جامعتهم في عاصمة إسرائيل، ولكن عندما كلف بالتحقيق في مذابح غزة، وأصدر تقريرًا يؤكد على أن اليهود ارتكبوا مجازر فظيعة في غزة، كان الذي

يمنع من ظهور هذا التقرير أناس ينتسبون إلى أهل فلسطين، بل وإلى أهل الإسلام!

ويقرر ذلك، ويزعم أنه إنما يفعل ذلك من أجل السلام، فسبحان الله! البغي عندهم أمر مطلوب محثوث عليه مأمور به، وكانوا يأمرونهم بذلك، ويرشدونهم إلى كيفية قتل من أرادوا قتلهم من المسلمين، ويوصونهم بأنهم لابد أن يبطشوا، ولابد أن يدخلوا البلاد ولابد أن يدمروها، ونسأل الله العافية.

وهذا البغي - والعياذ بالله - عاقبته أسوأ العواقب، ووالله إن البغي هو أمر ليس مختصًا بالكفار، كما ذكرنا في عامة مسائل الجاهلية أنه يوجد فيمن ينتسب إلى الإسلام وإلى المسلمين من يقع في شيء من هذه الجاهلية ليست كل الجاهلية تكون كفرًا، لكنها منها ما يكون كفرًا، ومنها ما يكون دون ذلك؛ ولذلك نقول: إن من بغى على غيره، هناك من إذا تمكن، ولو كان هو مستضعفًا بالنسبة إلى غيره، لكن يوجد من يكون كذلك إذا كان فوق غيره، ولو كان هو ضعيف القوة بالنسبة إلى غيره، لكن إذا كان يتعامل مع من هو أضعف منه، فإنه يبغي عليه، فيسلط الله ﷻ عليه من يظلمه ويذله ويهينه جزاءً بما بغى على إخوانه وبغى على أهل دينه ووطنه كذلك، نسأل الله العافية.

لذلك حرم الله البغي، وذكر سوء عاقبته في كتابه، وأنه سبب اختلاف الكلمة وذهاب القوة، وأنه سبب لزوال الملك؛ لأن الله ﷻ ينتصر للمظلوم المبغي عليه، ويجيب دعوته، وهو ﷻ أقسم بعزته وجلاله أن ينصر المظلوم ولو بعد حين.

الْمسْألةُ الثّانِيةُ والتِّسْعُون: إنّ أجلّ فضائِلهُمُ الفخْرُ ولوْ بِحقٍّ، فنُهِي عنْهُ.

الـشـــرح:

لا تفاخروا . . النهي عن التكبر والتفاخر، قال الله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠]، فلما ذكر الله ﷻ تحقير الحياة الدنيا، وذكر من صفاتها أنها فيها التفاخر: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾، وذكر أنها متاع الغرور، المتاع الذي يُغر به من غُر، متاع زائل سريع الزوال يغر به من خدع، أمر الله ﷻ بعد أن بين هذا الذي لا ينبغي أن يُتفاخر ويتسابق فيه، بيّن لزوم المسابقة إلى الجنة وإلى المغفرة من الله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١]. من عادة أهل الجاهلية ذكر الفخر، وكان هذا من أشعارهم التي يذكرونها في المجامع؛ ولذا أمر الله المؤمنين أن يذكروا الله أكثر من ذكر المشركين لآبائهم، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. فكانوا من شدة فخرهم بالآباء وبالأجداد وبالقبيلة وبالقوم كانوا يذكرون ذكرًا كثيرًا، فأمر الله ﷻ المؤمنين أن يتركوا ذلك، وأن لا يفتخر بعضهم على بعض، ولا يبغي بعضهم على بعض، بل يتسابقوا إلى ذكر الله

ويقضوا أوقاتهم في ذكر الله: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال النبي ﷺ: «**يا أيها النّاسُ، أَلَا إِنَّ ربّكُمْ وَاحِدٌ، وإِنّ أباكُمْ واحِدٌ، أَلَا لا فضْل لِعربِيٍّ عَلَى عجمِيٍّ، وَلَا لِعجمِيٍّ عَلَى عربِيٍّ، وَلَا أحْمر عَلَى أسْود، وَلَا أسْود عَلَى أحْمر، إِلَّا بِالتّقْوى**»[1]، فالافتخار وعدّ المناقب للنفس وللقوم وللآباء والأجداد هو من عادات أهل الجاهلية، التي نهى الله ﷻ في كتابه ونهى رسوله ﷺ في سنته عنها، فالذي يفتخر بنفسه والذي يفتخر بآبائه هو يزكيها ويمدحها، وقد قال ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدم يوْم الْقِيامةِ ولا فخْر**»، وقال: «**وَأَنَا أوّلُ مَنْ تنْشقُّ عنْهُ الأرْضُ وَلَا فخْر**»[2]، فإنه لا يفتخر ﷺ بذلك، وإنما يقول ذلك من أجل أن يعلم الناس العقيدة الواجب اعتقادها فيه ﷺ ضمن الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وليس أنه يفتخر بهذه الأمور؛ ولذلك كان الافتخار ولو بأشياء من الحق مذمومًا؛ لأنه تزكية للنفس، وعادات أهل الجاهلية أن يتفاخروا ويتباهوا كعادات المشركين، وفي زماننا لا يزال هذا

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه «**وَلَا فَخْرَ**»، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣١٤٨)، وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وجاء من حديث ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وواثلة بن الأسقع، وأنس، وعائشة، وعبد الله بن سلام، رضي الله عنهم أجمعين.

الأمر، وهو الافتخار وعد المناقب، ولو كانت بالباطل، من سمات كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ومن المسلمين، فإذا كان الافتخار بحق منهي عنه، فكيف بمن يفتخر بالباطل؟!

كمن يفتخر بالفراعنة ومجدهم وتاريخهم، وهم عُبّاد أوثان، عبدوا غير الله ﷻ؛ من الآلهة المنحوتة، ومن الملوك، والكبراء، والسادة، الذين عبدوه من دون الله وسموهم آلهة، فكيف يغفل المؤمن عن هذه القبائح ويفتخر بأمثال هؤلاء؟!

من كان كذلك كان عند الله أهون من الجعلان، وذلك أن الله ﷻ جعل الناس لا يتفاخرون ولا يتفاضلون إلا بتقواه، ومن تقوى الله ﷻ أن لا تزكي نفسك، وألا تفتخر بأعمالك، وألا تفتخر بآبائك وأجدادك؛ وإنما تعمل لوجه الله ﷻ، لا تريد علوًا في الأرض ولا فسادًا.

الْمسْأَلَةُ الثّالِثَةُ والتِّسْعُون: أَنَّ تعصُّب الْإِنْسانِ لِطَائِفتِهِ عَلَى الْحقِّ والْباطِلِ أمْرٌ لابُدّ مِنْهُ عنْدهُمْ، فَذَكَرَ اللَّهُ فِيهِ مَا ذَكَرَ.

الشـــرح:

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، كان عندهم هذه النعرة الجاهلية، وحذر منها النبي ﷺ حين قال: «**ما بالُ دعْوى الْجاهِلِيّةِ؟! . . . دعُوها فإِنّها مُنْتِنةٌ**»(١)، تعصب الإنسان لطائفته على الحق أو الباطل، لمجرد أنه انتسب إلى طائفة ما، ولو كانت طائفة شريفة، لكن أن يغضب لها وينتصر لها، ويقاتل من أجلها، فذلك من الجاهلية، لما كسع غلام من المهاجرين غلامًا من الأنصار، أو غلام من الأنصار غلامًا من المهاجرين، فنادى المهاجري: يا للمهاجرين! ونادى الأنصاري: يا للأنصار! فاجتمع المهاجرون والأنصار بينهما، حتى وقع بينهما قتال بالجريد والنعال ونحو ذلك، فأدركهم النبي ﷺ: «**ما بالُ دعْوى الْجاهِلِيّةِ؟! . . . دعُوها فإِنّها مُنْتِنةٌ**»، دعوا دعوى الجاهلية فإنها منتنة، كان ذلك من الأسس التي يقاتلون عليها وتناصرون عليها، قال النبي ﷺ: «**منْ قُتِل تحْت رايةٍ عِمِّيّةٍ، يدْعُو عصبِيّةً، أوْ ينْصُرُ عصبِيّةً، فقِتْلةٌ جاهِلِيّةٌ**»(٢).

فكان تعصبهم لطوائفهم وقبائلهم وعائلتهم أمر مقرر، يرون ذلك أمرًا

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(١٨٥٠) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

حسنًا جميلاً، يرون الولاء على القومية والوطنية هي من الفضائل عندهم والأمور المحمودة التي لابد منها، وفي زماننا ظهرت هذه النعرات أيضًا من أناس تشربوا روح الغرب في التعصب للأوطان، وجعلوا هذه أعظم الروابط التي يُبنى عليها المجتمع، أن الرابطة القومية ثم بعدها أقل وأصغر وأدنى منها هي رابطة الوطنية، بعد أن كانت قومية لكل من يسكن أو كل من ينتسب لجنسية أو قومية معينة، كما ذكروا القومية التركية، والقومية الفارسية، والقومية العربية، فهذا الذي تشربه هؤلاء، ثم بعد ذلك انقسم هؤلاء أجزاء، فالعربية انقسمت إلى مصرية، ومغاربية، وحجازية، وسعودية، وعراقية، وشامية، ويمنية، وكلٌّ مستعد للقتال على ذلك، ويرون أن التمدح بذلك والتعصب له أمر محمود، لو أن الإنسان لم يكن عنده هذه الحمية الوطنية، فإنه مذموم عندهم، وليس عنده وطنية، وليس عنده قومية، ويرون ذلك مذمة، ولو كان قومه على الباطل، بل لو كانوا على الشرك، فهم يرون أنه لا فرق بين مصري ومصري، ولو كان أحدهما مسلمًا والآخر كافرًا، ليس عندهم تفاضل بناءً على الدين، وينصون على ذلك، وأن المواطنين سواء، طالما أنهم أهل وطن واحد، ضاربين بكتاب الله ﷻ الذي قال الله فيه: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

فأول من نادى بالقومية العربية - كما يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله - كان

أبو جهل، الذي جمع الناس من أجل أن محمدًا أتاهم بما لا يعرفون، وأنه سب آباءهم، وسفه أحلامهم، وطعن في دينهم، وعاب آلهتهم، وضلّل وكفّر آباءهم، فكان التعصب للآباء التعصب للطائفة هو المعيار الذي يبنون عليه ميزان الولاء والبراء، يتبرءون ممن خالف طائفتهم، وكذلك يتعصبون لطائفتهم ويتناصرون عليها ويقاتلون من أجلها، وحرم الله ﷻ ذلك، وسماها النبي ﷺ دعوى الجاهلية، وقال «**منْ تعزّى بِعزاءِ الْجاهِلِيّةِ، فأعِضُّوهُ بِهنِ أبِيهِ، ولا تكْنُوا**»[1]، فهذا الذي أمر به النبي ﷺ من إهانة من دعا إلى الجاهلية ومن التعصب للطائفة على الحق والباطل، لابد وأن يكون معيار النصرة والحب والطاعة والمتابعة، وهي معاني الولاء، والصداقة والقيام بالأمر طاعة لله ﷻ؛ أما من كان وقع في معصية فلابد أن نبغضه على معصيته، وأن نخالفه فيها، وأن ننهاه عنها، ولا يكون الميزان عندنا أنه ينتمي إلى طائفتنا، فنسكت عن مثالبه أو أنه خارج طائفتنا، فنفضحه ونذكر مثالبه وأخطاءه، ودب التعصب إلى أهل الإسلام بهذه الطريقة أيضًا فيما يتعلق بالمذاهب والفرق، فحصل ما حصل وفي زماننا في الجماعات المختلفة، حتى ولو كان أصل الاجتماع أمرًا حسنًا، كما ذكرنا في المهاجرين والأنصار، كان أصل ما اجتمع عليه هؤلاء ووصفوا به معان حسنة جميلة، هؤلاء بالهجرة وهؤلاء بالنصرة، لكن لما صار التناصر على مجرد الاسم دون أن يكون هناك بحث عمن المحق ممن المبطل، كانت دعوى جاهلية.

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٤).

لذلك نقول: كان تعلم التلامذة من العلماء أمرًا مشروعًا مطلوبًا، وكان التعصب أمرًا مذمومًا، فاتباع الناس لعلمائهم كان ضمن طاعة أولي الأمر، لكن تحول هذا الأمر بعد حين إلى تعصب للمذهب، وانتصار له على أي حال، وتقديم لآراء الرجال على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حتى قال قائل هؤلاء وأحد مقدميهم: «**كل حديث ليس عليه أئمتنا فهو؛ إما ضعيف، أو مؤول، أو منسوخ**»، مبدئيًا دون أن نبحث، لا يمكن أن نفارق ما عليه الأئمة وما عليه المذهب، ولابد أن نرجح ما هو مرجح عند المتقدمين، ومهما كان من بحث، مهما كان من أدلة، مهما كان من نظر، فهو تابع لهذه القاعدة، وهو اتباع الطائفة.

لذلك نقول: كان التعصب للمذاهب من هذه الجاهلية التي تسربت إلينا، نقول: نحن في أمر انتساب الإنسان إلى طائفة إلى مذهب كأن يتعلم، هل كان محرمًا أن يتعلم الناس من الإمام مالك أو من الإمام أبي حنيفة، أو أن يكون لهم تلامذة، أو أن يكون هناك من يتتبعون أقوال الشافعي يتعلمون منها، وكذا الإمام أحمد؟

نقول: هذا ليس بمذموم، وإنما المذموم ما حصل بعد ذلك، هذا الذي حذر منه الأئمة من أن يتعصب الناس لأقوالهم؛ ولذا سألهم أتباعهم: إذا صح الحديث بخلاف قولك، فقال أبو حنيفة: «**دعوا قولي لقول رسول الله ﷺ**»، وقال: «**دعوا قولي لقول أصحاب رسول الله ﷺ**». وقال: الشافعي رحمه الله: «**إِذا صحّ الْحدِيثُ فهُو مذْهبِي**»؛ ولذلك قال كثير من أئمة الشافعية بأقوال نص الشافعي على خلافها، لما علموا صحة أحاديث ثبتت وقالوا: هذا مذهب الشافعي، جزموا بأن هذا مذهب الشافعي خلاف

قوله؛ لأنه قال: «**إِذا صحّ الْحدِيثُ فهُو مذْهبِي**»؛ لذلك أفتوا بأن الحديث هو مذهبه، وعلموا صحة الحديث فأفتوا بذلك.

وقال الإمام أحمد: «**لا تُقلِّدْنِي ولا تُقلِّدْ مالِكًا، ولا الشّافِعِيّ، ولا الثّوْرِيّ، وتعلّمْ كما تعلّمْنا فكان يقُولُ لِمنْ قلّدهُ: حرامٌ على الرّجُلِ أنْ يُقلِّد فِي دِينِهِ الرِّجال، وقال: لا تُقلِّدْ فِي دِينِك الرِّجال، فإِنّهُمْ لنْ يسْلمُوا مِنْ أنْ يغْلطُوا**»[1]، فهذا الذي هو أمر به العلماء، وهكذا كان الصحابة يربون التابعين، عندما قال ابن عباس رضي الله عنه لعروة في أمر التمتع: «**يُوشِكُ أنْ تنْزِل علَيْكُمْ حِجارةً مِنَ السّماءِ، أقُولُ قَالَ رسُولُ اللَّهِ، وتقُولُونَ قَالَ أبُو بكْرٍ وعُمر؟**»[2].

وأما أمر الفرق والمذاهب الاعتقادية فالتعصب لها أقبح، فهؤلاء معتزلة وهؤلاء خوارج وهؤلاء أشاعرة، والواجب أن يكون الإنسان من أهل السنة والجماعة، والتعصب للحق ليس تعصبًا مذمومًا، لكن لا يعني ذلك أن يكون الإنسان في مسائل ليس عنده دليل عليها في بعض مسائل الفروع في الاعتقاد، قد يكون هذا أمرًا معلومًا، قد يختلف العلماء في بعض مسائل فرعية، في مسائل الاعتقاد، الشيخ فلان قد أفتى بكذا، أو الإمام الفلاني قد قال بكذا، فيجعله البعض حجة، كأنه نص كتاب أو سنة أو إجماعًا.

فالتعصب بهذه الطريقة أمر مذموم أيضًا، ولو كان ذلك لإمام عالم جليل، وهذا فيما يتعلق بالمسائل الاعتقادية، والتعصب للمذاهب في المسائل

---

(١) انظر هذه الآثار في: (١/ ١١٧، ١٢٧).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٢١).

الفقهية، وكلا الأمرين لا يصح، وإن كان أكثر المسائل الكبرى في مسائل العقيدة والعمل مجمع عليها بين أهل السنة، وكما ذكرنا الانتصار لمذهب أهل السنة المجمع هو احتجاج بدليل، وهو دليل الإجماع، ثم إن الأمة وأهل السنة ما أجمعوا على أمر من عند أنفسهم، بل كل مسألة قالوا فيها بقول وأجمعوا على صحته، كان عندهم الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك؛ لأن الأمة - بفضل الله ﷻ - لا يوجد فيها من ينسب إلى نفسه أن كلامه تشريع، أو أن الترجيح يكون بكلامه، أو أن من حقه أو من حق غيره أن يقول كلامًا بلا دليل يصبح دينًا، إنما أجمعوا على أنه ليس لأحد أن يقول بغير حجة، بل لابد وأن يحتج على كلامه ويُحتج بكلامه ولا يُحتج به، وإنما هو الذي يحتج بالكلام، هو الذي يذكر حجته على الكلام، والحجة: قال الله وقال الرسول ﷺ.

والجماعات الإسلامية المعاصرة أيضًا كان لها نصيب من ذلك، ولا نعني بذلك أن كل ما كان من اجتماع على إقامة شيء من الحق أو الدعوة أو العلم أو الجهاد أو الحسبة، أن ذلك كله مستنكر بسبب وجود التعصب، لكن نقول كما لابد أن نعرف حقيقة الأمر، وهو أن هناك من تعصب بالفعل، وكلما قل العلم زاد التعصب، وكلما كثر العلم قل التعصب، وإنما التعصب المذموم، العصبية الجاهلية أن يكون منتصرًا بالحق أو بالباطل للطائفة التي ينتمي إليها للجماعة التي ينتمي إليها، يغض الطرف عن كل المثالب التي تذكر، ويذكر الفضائل فيفتخر، وهذا الذي يؤدي إلى البغي، فهذه المسائل الثلاثة: البغي، والفخر، والتعصب، كلها في الغالب متلازمة طائفة أو جماعة معينة يتناصر أفرادها، ابتدءوا الأمر بحق ثم تدسس الجهل

إليهم، فافتخر بعضهم على بعض، بما يؤدونه من الطاعات أو ما اجتمعوا عليه من الخيرات، فكان هذا أمرًا مذمومًا؛ لأن الافتخار ولو بحق لا يجوز، فأدّى ذلك إلى أن يبغوا على غيرهم ممن خالف طريقتهم، وربما أدّى ذلك إلى أن يقتتلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

كما ذكرنا سبب نزول هذه الآيات كما وقع بين المهاجرين والأنصار، والله أعلى وأعلم، فكان التعصب والافتخار بما عليه طائفته، التعصب للطائفة ثم الافتخار بذلك سببًا للبغي، وهذا الذي أوجب الله أن يُرد الباغي عن بغيه ولو بقتاله: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

بعض الناس ذكر في علاج التعصب، علاج التعصب المذموم، أنه لابد من إلقاء هذه التجمعات كلها جانبًا والتخلص منها، فبعضهم في أمر المذهبية اقترح أن تقترح كتب المذاهب، وأن تلغى الاستفادة منها بالكلية، ورأى أنها سبب ضرر على الأمة، والبعض عمم الأمر في أمر الفرق، حتى قال: إن أهل السنة فرقة من الفرق، فلماذا تأخذون كلامهم، وتجعلون عقيدتهم هي الملزمة؟! والشيعة هم مثل أهل السنة والخوارج والإباضية والزيدية، كلها فرق محترمة، ومن شاء أن يأخذ أي فرقة منها يتبعها ويقلدها دينه، فلا بأس. فجعلوا هذا مثل المذاهب وأجازوا التعصب لهذا الأمر.

فنقول: هذا كلام باطل، لا يجوز أبدًا، كما أن إلغاء المذهبية بالكلية

وإحراق كتب المذاهب يحرمنا تراثًا هائلاً من علم العلماء النافع الذي يبين علوم الكتاب والسنة، ويعين طلاب العلم على تفريع المسائل واستخراجها من أدلتها وكيفية الاستدلال والترجيح والجمع بين النصوص واستعمال الأقيسة الصحيحة ورد غير الصحيحة، كل ذلك تراث هائل وعظيم أساء وأخطأ واختل كلامه وفهمه من أمر بهدم المذاهب لأجل التعصب المذهبي وكذلك من سوّى بين أهل السنة وأهل البدعة وقال: كلها فرق لا ننتسب إلى أحد منها، وكذلك من طالب الجماعات الإسلامية بأن تلغي فكرة الاجتماع أصلاً وأن لا تجتمع على شيء، ولو كان حتى تعاونًا على البر والتقوى، وجعل كل اجتماع من الناس في زمن الغربة الشديدة اجتماعًا محرمًا وعصبية جاهلية وسماها حزبية وجعلها مذمومة، كما ذكرنا التحزب لما كان عليه رسول الله ﷺ أمر لازم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

لذلك نقول: الالتزام بمنهج أهل السنة ليس تعصبًا مذمومًا، والتعاون على البر والتقوى ليس من الحزبية المذمومة، كما يقول البعض وينادي في زماننا بأن كل تجمع من التجمعات الإسلامية مذموم، ويفتخر بأنه لا ينتمي إلى جماعة أصلاً وأنه لا يتسمى بغير اسم الإسلام! كلام ظاهره حسن، ولكن في الحقيقة ليست حقيقته حسنة؛ لأن التسمي باسم الإسلام من يرى لنفسه بديلاً عنه فإنه على خطر عظيم، ولكن هل كل تسمية بغير اسم الإسلام تعني أنها بديل عن اسم الإسلام، حتى يُقال هذا الكلام؟! هل

مجرد التسمي باسم حسن يدل على معنى واجب في الشرع يعني أن يكون الإنسان متعصبًا؟!

الرسول ﷺ لم يلغ اسم المهاجرين ولا اسم الأنصار، ولكن أمر بأن نترك دعوى الجاهلية، وحذرنا وحرم دعوى الجاهلية من التناصر بالباطل، هذه الجاهلية المذمومة أن تنتصر لطائفتك بالحق أو بالباطل، وكذا تجد مثل هذا الأمر، حتى عند من يسمون أنفسهم أنهم ليسوا أتباع جماعة معينة ربما تعصبوا لشيخهم فصاروا جماعة في حقيقة الأمر متعصبين لآرائه وأقواله، وهذا واقع وحاصل فعلاً، هناك من يرى أقوال شيخه لا تحتمل حتى الخلاف السائغ.

وهذا فيمن يطلب الحديث وينتسب إلى بعض الأفاضل المعاصرين تجد تعصبًا عجيبًا، حتى في الآراء الشاذة التي ذهب إليها شيخه، ومن تتلمذ على يديه شر ممن تعصب للأئمة الكبار؛ كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد مثلاً رحمهم الله، فيوجد في زماننا من يستبدل التعصب للجماعات بالتعصب للأشخاص، ونحن لا نرضى تعصبًا للجماعات ولا للأشخاص

ولكن نقول: إن هذا الأمر علاجه بتعميق الولاء على الكتاب والسنة، وليس بهدم التجمع على البر والتقوى والاجتماع على طاعة الله، خصوصًا في زمن ضاعت فروض الكفايات وضاعت فيه فروض الأعيان، والمسلمون بلا خلافة منذ أكثر من ثمانين سنة، بل أكثر من تسعين سنة، اقترب المسلمون الآن على نحو القرن من الزمان بلا خلافة تجمعهم، ولا أحد يبحث عن مستضعفيهم، ولا أحد يدفع عن حوزتهم، ولا يسعى

إلى تحرير بلادهم إلا آحاد من الناس، فمن فعل ذلك كان عند هؤلاء القوم مذمومًا، من جاهدوا الأعداء بعد سقوط دولة الخلافة واحتلال بلاد المسلمين، ووُجِدت جماعات خارج عن سلطان الأعداء تحاول أن تدفع عن بلاد المسلمين، وهناك جماعات تحاول أن تعلم المسلمين، وهناك جماعات تحارب البدع، والبعض يجعل ذلك كله تعصبًا مذمومًا، عجبًا لهؤلاء!.

نقول: ليس التعاون على البر والتقوى والاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وإقامة ما أمر الله به من فروض الكفايات تعصبًا في الجملة، وهنا مقامان: مقام التسمية، ومقام العمل والاجتماع والتعاون، هناك من يُحرِّم التسمية، فنقول: لم يُحرِّم النبي ﷺ التسمية بالمهاجرين والأنصار، ولم يزل أهل العلم يذكرون انتساب الناس إلى بلادهم ومذاهبهم وشيوخهم دون أن يكون في ذلك تعصبًا، وليس أن فلانًا المصري أو البغدادي أو المكي أو المدني... لم يروا في ذلك حرمة، ولا رأوا في ذلك بديلاً عن اسم الإسلام، ولا قالوا لمن تسمى بهذا الاسم: نحن لا نرضى بغير اسم الإسلام بديلاً.

ومن قال: إن هذا بديل عن اسم الإسلام، حتى تقول هذا الكلام السخيف الجاهل، أنك تجعل من تسمى بدون تعصب لبلده أن ذلك يكون بديلاً عن اسم الإسلام أو بعد ذلك عندما قالوا مثلاً: إن فلانًا شافعي، وفلانًا مالكيًا.. ألم نزل نقول هذا عن أهل العلم؟ ونقول: فلان الحنبلي، ابن رجب الحنبلي مثلاً، والنووي الشافعي، وابن عبد البر المالكي، ونحو هذا من الأسماء، وابن أبي العز الحنفي صاحب شرح العقيدة الطحاوية،

هذا الكلام أكان تعصبًا؟ أكان مجرد التسمي بهذه المذاهب والمشايخ الأفاضل والأئمة مع لزوم اتباع الدليل ومع ترجيح ما ثبت في الكتاب والسنة، أكان هذا تعصبًا مذمومًا في مقام التسمية؟ كما ذكرنا لم يلغ النبي ﷺ اسم المهاجرين والأنصار، ولم يلغ اسم البلاد لأجل أن اسم الإسلام كاف، نقول: وما التعارض بين هذا وذاك؟ هل هناك تعارض بين أن يُسمى الإنسان أنه من أهل السنة، أو أنه من أتباع السلف أو أنه ممن يتبع أهل العلم يكون ذلك بديلاً عن اسم الإسلام؟ كلام فاسد في أمر التسمية، هذا الذي يجعل هذه الأسماء بديلاً عن اسم الإسلام، هذا هو التعصب، هذا هو المذموم، هو الذي يتناصر على اسم الإسلام هو القائم بالحق، والذي يتناصر على اسم الطائفة دون بحث في الحق والباطل هو التعصب المذموم.

أما المقام الثاني: فهو في مقام العمل والتعاون الحقيقي، فهناك من يُحرِّم الاجتماع ويرى أن الاجتماع بدعة، وبعضهم اخترع أمرًا جديدًا وقال: لابد أن يكون اجتماعًا رسميًا بإذن من تغلبوا على البلاد، وإلا كان اجتماعًا مُحرّمًا، حتى ولو كان من تغلب على بلاد من بلاد المسلمين في حقيقة الأمر مواليًا لأعداء الإسلام بكل معنى الكلمة من الموالاة والنصرة والطاعة والمتابعة التامة، والحرص على مصلحة الكفار وأذية المسلمين، وغير ذلك من المعاني، معاني التحريف والتبديل للشرع والموالاة لأعداء الإسلام، يشترطون موافقة هؤلاء على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فصاروا فراعنة في المذهب ممن يشترط الإذن للإمام، نسأل الله العافية، وهذا من أبطل الباطل، أفكلما احتل الكفار بلاد المسلمين، وأقاموا في

بلادهم ممن يواليهم رأسًا عليهم، صار هذا أمرًا لازمًا للمسلمين أن يرجعوا إلى هذا، وهذا - ولا حول ولا قوة إلا بالله - يقول به البعض بالفعل، حتى في البلاد التي احتلت، ويصرحون بأنها محتلة، حتى قالوا بأن المسلمين - مثل العراق وأفغانستان - يجب عليهم أن يتبعوا الحكومات التي أقامها الاحتلال الغربي، حتى في أي مكان في بلاد لم يزل الشيوعيون هم الذين يحكمونها، وما زالت أسماؤهم أسماء الإسلام، ولا يقيمون إسلامًا ولا إيمانًا ولا إحسانًا، ولا أخلاقًا ولا شريعة ولا جهادًا ولا حسبة ولا تعليمًا للناس، ولا يقيمون إلا الانحراف والعلمانية القبيحة والشيوعية القذرة، ومع ذلك يوجد من يقول: بل لابد أن يستأذن ولاة الأمور في ذلك، سبحان الله! أغفلوا أن الله ﷻ إنما أمر بطاعة من تولوا الأمور إذا كانت من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾، فجعلها تابعة وليست مطلقة، وقال النبي ﷺ: «**إِنْ أُمِّر عليْكُمْ عبْدٌ مُجدّعٌ - حسِبْتُها قالتْ - أسْودُ، يقُودُكُمْ بِكِتابِ اللَّهِ تَعَالَى، فاسْمعُوا لَهُ وأَطِيعُوا..**»[1]، فتجدهم يكرهون هذا القيد ولا يتحدثون عنه ولا يذكرونه في أحاديثهم ولا في كلامهم؛ وإنما يريدون تعبيد الناس وجعلهم سامعين مطيعين، ولو كان هؤلاء من الدعاة على أبواب جهنم، ولا يذكرون: «يقودكم بكتاب الله»، وهذا أمر عجيب!.

ولقد قال النبي ﷺ أرسل عليهم أميرًا - كما في سنن أبي داود بإسناد حسن - فلم يقم ببعض ما أمر به النبي ﷺ، كما في الحديث: «**بعث رسُولُ**

(١) سبق تخريجه (١/ ٩٦).

اللهِ ﷺ سرِيّةً، فسلّحْتُ رجُلًا سيْفًا. قال: فلمّا رجع، قال: ما رأيْتُ مِثْل ما لامنا رسُولُ اللهِ ﷺ قال: أعجزْتُمْ إِذْ بعثْتُ رجُلًا، فلمْ يمْضِ لِأمْرِي أنْ تجْعلُوا مكانهُ منْ يمْضِي لِأمْرِي؟»[1]، فالنبي ﷺ أمرنا أن نقوم بأمره حيث كان هناك قدرة على القيام بأمره ﷺ، وليس العبرة بأن فلانًا أمّره الرسول فهو من حقه أن يفعل ما يريد ويترك ما يريد، كما يظن البعض، عندما يتكلم العلماء في أن إقامة الحدود والقصاص ونحو ذلك من خصائص ولي الأمر، نعم فالبعض يقول: أنت مالك، ليس لك دخل بذلك، فنقول: هذا أمر خطير جدًا، نعم لا يجوز أن تجعل فوضى، ولا أن يقوم الناس بأن يقتصوا بأنفسهم، وأن يقيموا الحدود بأنفسهم، ولكن هل يعني ذلك أن هذا حق له، من حقه أن يفعله ومن حقه أن يتركه، دون أن يؤمر بإقامة حدود الله وإقامة القصاص وإقامة الحقوق والحدود التي شرعها الله، فهو يوجه الكلام دائمًا إلى الناس: لا تفعلوا بأنفسكم. ولا يوجه الكلام إلى من ضيع الأمر الواجب، ومن ترك إقامة الشرع، ومن بدل الشرع في الحقيقة وأتى بشرع آخر، ولا ينصحه بإقامة ما وجب عليه، ويقول للناس فقط: لا، ليس عليكم أن تفعلوا هذا، إنما هو وظيفة ولي الأمر. وظيفته إذا كان قادرًا عليها، يجب أن نعينه عليها، وإلا فالأمر بعد ذلك لكل من استطاع أن يقيم شرع الله بمراعاة المصلحة وترك المفسدة، فإنه لا يؤمر بدفع فساد بفساد أكبر منه، ولا تحصل مصالح بتفويت مصالح أعظم منها، بل لابد من

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٢١٩)، وأبو داود (٢٦٢٧)، والحاكم (٢/ ١٢٥)، وابن خزيمة (٣/ ٣٢٢)، وابن حبان (١١/ ٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٧٠)، وفي الكبرى (٤/ ٥١٥).

مراعاة المصالح والمفاسد في ذلك، لكن ليس لأجل أن الأمر مرجعه إلى رغبة ولي الأمر في أن يقيم أو أن يترك أو أن يفعل أو أن يذر، بل إنما الأمر واجب عليه أن يفعل وواجب عليه أن يقيم.

لذلك نقول: إن أمر التعاون على البر والتقوى أمر لازم للمسلمين، ولا يجوز أن يجعل أمر التعاون مطلوب فيه إذن من يحاربون الدين في حقيقة الأمر في كثير من بلاد المسلمين، وأن يظن أن غير ذلك هو مخالفة للكتاب والسنة، ولقد قال العلماء بأن من تغلب على أمر المسلمين فيكون خليفة وتثبت الإمامة له بذلك، شرطه - كما ذكروا - أن يكون صالحًا للإمامة، أن يكون مقيمًا للدين، كما ذكروا، فأمر الإمامة والولاية إنما يثبت بإقامة الدين وسياسية الدنيا بالدين، شرعًا لابد أن يكون شورى بين المسلمين أو بولاية عهد لمن يصلح، ولكن قد يقع نوع من المخالفة لهذه السنة بأن يتغلب ويقهر رجل من المسلمين بسيفه على غيره، فيتسلط ويتمكن من ذلك، فإذا كان صالحًا للإمامة كما يقول العلماء: وإذا تغلب صالح للإمامة وثبتت طاعته، ثبتت له الولاية بذلك. لابد أن يكون منفذًا لمقاصد الإمامة والولاية، وهو إقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين، وليس مجرد أنه تغلب، لماذا ألغيتم كلمة صالح، وجعلتم أن كل من تسلط كذلك؟ والعلماء يضربون مثالاً على ذلك: فعبد الملك بن مروان عندما قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكان أمير المؤمنين رضي الله عنه، وهو لا شك أفضل من كل من خالفه، لا وجه للمقارنة بينه وبين عبد الملك وبين الحجاج ولا غيره، ونحو ذلك ممن تسلط عليه فقتله وقتل أصحابه ونزع منه الملك، لكن لما استقرت الكلمة لعبد الملك بن مروان، وكان مقيمًا للجهاد وللحدود وناشرًا للسنة والعلم، مع أنه كان فيه

نوع دخن - نوع بغي - وعدوان بتمكينه الحجاج من الظلم والفساد، واتفق العلماء - رغم أن الحجاج كان متوليًا - على أنه المذموم المطعون فيه بكلام النبي ﷺ، وكان متوليًا مِن قِبل الخليفة، واتفق العلماء على أن قول النبي ﷺ: «**أنّ فِي ثقِيفٍ كذّابًا ومُبِيرًا**»(١) أن المبير هو الحجاج المهلك، ولم يزل مذمومًا؛ ولذلك من يغالون في يزيد والحجاج وأمثاله ممن تولوا الأمر بالقهر عند أهل السنة مذمومون؛ ولذلك اتفقوا على ذم من قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، رغم أن الحسين رضي الله عنه قد خرج وقاتل بالفعل، ورغب في أن يبايع بالملك، وكان ما فعله خطأ، ومع ذلك فهذا لا يبرر قتله ولا يبرر العدوان عليه وعلى أهل البيت، وكذلك يرون أن عبد الله بن الزبير قتل مظلومًا رضي الله عنه، بل كان هو أمير المؤمنين، لكن لما كان من قام مقامه في الجملة قائمًا بأمر الدين - رغم دخن - ثبتت له الإمامة.

لذلك نقول: لابد من إقامة الدين وسياسة الدنيا بالدين، فأما من يمنع الاجتماع لأجل علاج التعصب، نقول: هذا عجب، هذا يقتل المريض. وأما من يمنع التسمية من أجل منع التعصب فكذلك يسلك سبيلاً غير سبيل الرسول ﷺ، الواجب تعريف معنى التعصب، وهو - كما ذكر الشيخ - أن يتعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل، هذا الذي سماه الرسول أمرًا منتنًا يجب الحذر منه، تعظيم الولاء على الكتاب والسنة، وتعظيم الحب والنصرة على مبادئ الدين وعلى نصوص الشرع وعلى محبة كل المسلمين

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩) (٢٥٤٥)، قالت أسماء رضي الله عنها: «**أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا، أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا**».

والنصح لهم، والسعي لإعلاء شأنهم في كل مكان، هذا الذي إذا عظمناه في نفوس الناس كان علاجًا لأمر التعصب، وليس أننا نلغي كل طائفة أو نلغي كل تسمِّي أو نلغي كل اجتماع، ونعتبر أن كل هذا حزبية مذمومة، كلام باطل وفاسد لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، ونسأل الله العفو والعافية.

❀ ❀ ❀

الْمسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ والتِّسْعُون: أَنَّ مِنْ دِينِهِمْ أخْذ الرّجُلِ بِجرِيمةِ غيْرِهِ، فأنْزلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

الـشـــرح:

هذا الأمر من أمور الجاهلية موجود عند أهل الكتاب، بل هو في صلب عقيدتهم، والعياذ بالله، خصوصًا النصارى، وموجود عند أهل الشرك وتوارثه أهل الظلم والعدوان من المنتسبين إلى هذه الأمة؛ فأما ما كان عند أهل الشرك فإن الثأر عندهم كان يتضمن أن يقتلوا الرجل بالمرأة والحر بالعبد، لا يلتزمون في ذلك بالقصاص الذي شرعه الله، يقتلون الكبير عند القوم الآخرين الذين اعتدوا عليهم، ويزيدون في الاعتداء، ويجهلون فوق جهل الجاهلين، وعند أهل الكتاب كان من صلب عقيدة النصارى أن الخطيئة موروثة، وأن كل بني البشر قد ورثوا خطيئة أبيهم آدم، وأنهم لا خلاص لهم إلا بذبيحة إلهية كما زعموا، وأصل عقيدة الصلب والفداء التي بُنِي عليها اعتقادهم، ومن أجلها تصوروا مسألة تجسد الإله في صورة إنسانية لكي يصلب لفداء خطايا البشر، أصل ذلك قضية وراثة الخطيئة، وأن الخطيئة في الإنسان قد ورثت له، وأن الله ﷻ سخط على جميع جنس البشر من أجل خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، مع أن القاعدة القرآنية العظيمة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في هذه الآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، مع الإيمان بأن الله ﷻ هو الغفور الرحيم، وأنه هو التواب الرحيم، وهذا يوجد عندهم في الكتب المتقدمة في التوراة والإنجيل وفي الزبور في وصف الله سبحانه وتعالى بقبول التوبة وبالمغفرة، ومع ذلك فهم يمنعون هذا الأمر في أمر وراثة الخطيئة

كما ذكرنا، فهذا من عقائدهم الفاسدة التي بُنِي عليها الاعتقاد بأسره، نعوذ بالله من ذلك؛ وأما اليهود فزعموا أن الرب قد شرع لهم أن من خالفهم، من خالف بني إسرائيل، اجتاحوا قريته ودمروها بمن فيها، لا يتركون فيها صغيرًا ولا كبيرًا إذا خالفهم بعض أهلها، بل ولا يراعون في ذلك حرمة شيخ فانٍ ولا صغير ولا امرأة، بل يبيدون من انتسب إلى من خالفهم في أمر من الأمور، وهم يطبقون ذلك في واقع أنهم يبيدون من خالفهم من الأمم، ومن حاربهم لا يراعون صغيرًا ولا كبيرًا ولا أحدًا، نسأل الله العافية.

بل يتلذذون بقتل الأطفال، ويفتخرون ببقر بطون النساء، نعوذ بالله من ذلك، تاريخهم شاهد بهذا الأمر، فاليهود والنصارى والمشركون عندهم من ظلم العباد ومن أخذ الرجل بجريمة غيره ما كان عند أهل الشرك في الجاهلية، وللأسف ورث كثير من المسلمين هذا الأمر عن سلفهم من أهل الجاهلية، فوقعوا في أمور محرمة عظيمة الخطر في أمر الأخذ بالثأر ومعاقبة المجموع، حتى صار من أمثلة الظالمين: (أن السيئة تعم والحسنة تخص)، صار مثلاً مضروبًا يستدلون به في كثير من المواطن على العقوبة الجماعية كما يسمونها، لمجرد أن البعض قد ارتكب شيئًا، وهو لا يعرف الوصول إليه بعينه، فيعمم العقوبة ليصل العقاب إلى الجاني، ولو ظلم في ذلك عشرات النفوس أو مئات النفوس، وهذا أمر أيضًا يطبقونه في المعاملة مع طوائف مختلفة، إذا كانت الطائفة قد ارتكب بعض أفرادها جرمًا، يعممون العقوبة على الجميع، وينزلون بالطائفة كلها بأسهم، نعوذ بالله من ذلك.

وفي بعض بلادنا من عادات الأخذ بالثأر أنهم لا يعبئون بمن ارتكب

الجريمة، ولكن يبحثون عن أكبر رأس في العائلة لإغاظة أفرادها، فيقتلونه ولو كان بريئًا تام البراءة، لا يعبئون بهذا ولو كان رجلاً صالحًا عابدًا، ولو كان ينكر على من يرتكب الجرائم، فينزلون به بأسهم وعقوبتهم التي لا يستحقها، ولا يعتمدون في الثأر على ثبوت البينات وعلى ثبوت حكم القصاص ومراعاة أحكامه، بل عندهم التعيير لمن لم يأخذ بالثأر على طريقتهم، فلو ثبت مثلاً أن بعض من ليس له وضع اجتماعي قتل أو ارتكب جريمة من الجرائم في حق البعض، فهم لا يعدون في عرف مجتمعهم الجاهل أنه قد أخذ بالثأر إذا قتل هذا القاتل، وإنما لابد أن يقتص قصاصًا غير عادل، أو ليس بالقصاص في الحقيقة، بل يبحث عن كبير القوم ومشهورهم وغنيهم وصاحب أمرهم فيقتله، ولو لم يكن أمر، ولو لم يكن حث، ولو لم يكن رضي، ولو لم يكن ارتكب شيئًا من الجريمة، فيعيرون من لم يفعل ذلك، ولا تبرد نار ثأرهم بمثل هذا الأمر، وهذا الذي يؤدي إلى سفك المزيد من الدماء المحرمة بين عائلات وقبائل، ولا يزال هذا الأمر منتشرًا في الصعيد وفي الأعراب وفي كثير من البلاد، يرون الثأر أن يكون إنما بالقدر الذي يوجع الآخرين، ولو لم يكن الإنسان قد ارتكب الجريمة؛ وأما في شرع الله ﷻ فلا يعاقب إلا من جنى، لا يجني والد على ولده، ولا يجني ولد على والد، من ارتكب جريمة من الجرائم قتل أو قطع الطريق أو غير ذلك، لا يؤخذ غيره بجريرته، ولا يجوز تعميم العقوبة؛ ولذا كان من قواعد أهل الإسلام في محاربة أهل البغي، أنه لا يجوز أن يستعمل معهم في القتال ما يعم إتلافه مما يؤدي إلى قتل النساء والصبيان، وإذا أسر أحد من هؤلاء فلا يعاقب بشيء من العقوبة، وإنما أجاز بعضهم حبسهم

نكاية في أهل الحرب، والجمهور يمنعون من أسر نساء أهل البغي أو من أسر أبناءهم الصغار، وإنما يأخذون من قاتل فقط؛ وأما من ترك القتال فيمتنع من قتله فلا يزفف على جريح ولا يقتل أسير، هذا عند جمهور أهل العلم، وهذا كله مراعاة لأنه ترك فعل المحرم، فلابد أن يترك ولا يعاقب باستمراره على ذلك.

وأما إذا كانت الطائفة متعاونة فهم قد اشتركوا في جرم، فعند ذلك - كقطاع الطرق مثلاً - يعاقبون جميعهم الردء والمباشر سواء في ارتكاب الجريمة، وهذا من العدل والإنصاف، وبعض أهل العلم يفرق بين الردء والمباشر، حتى في قطاع الطرق، وإن كان عند أكثرهم أن المعاون والمباشر سواء، طالما أنهم اشتركوا في الجريمة، وهذا من محاسن هذه الشريعة العظيمة، وفي أمر القتل والقصاص لابد فيه من البينات أو من القسامة، لا يثبت الأمر هكذا بمجرد الشبهة، ولا يجوز القتل بمجرد السماع، ولا يجوز إلا أن يشهد العدول أو يكون الاعتراف بحصول الجريمة، والشرع قد أكد في إثبات الجرائم على إثبات البينات، لابد من البينة، لا يمكن أن يؤخذ إنسان بجريرة غيره، فضلاً أنه يؤخذ بغير ثبوت التهمة عليه؛ كما قال النبي ﷺ: «**الْبيِّنةُ على منِ ادّعى، والْيمِينُ على منْ أنْكر**»[1]. ولا يعطى الرجال

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالعَمَلُ على هذا عِنْدَ أَهْلِ العِلمِ من أَصْحَابِ النبي ﷺ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ البَيِّنَةَ على المُدَّعِي وَاليَمِينَ على المُدَّعَى عليه. كما أخرجه البيهقي (٨/ ١٢٣)، وابن عساكر (٧/ ٢٦)، والدارقطني (٣/ ١١١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، بلفظ: «**البَيِّنَةُ عَلى مَنِ ادَّعَى وَاليَمِينُ عَلى مَنْ أَنْكَرَ إِلاَّ فِي القَسَامَةِ**».

بدعواهم، ولا بد من إثبات الأدلة التي تثبت وقوع الجريمة في حق الشخص نفسه، فأتى الإسلام - بفضل الله ﷻ - بما يُعرِّف كل عاقلة أنه العدل الذي شرعه الله ﷻ.

فما ينتشر - في زماننا من أمور الجاهلية في هذا الباب - من عقوبة جماعية لبعض الناس على جريمة ارتكبها البعض أو من عقوبة لغير الجاني، لا بد وأن يهجر، وأن يحارب، وأن ينهى عنه في بلاد المسلمين.

وقد يظن البعض أن أمر أسر النساء والصبيان أخذ لهم بجريرة غيرهم، فيقول: وما ذنب الأطفال أن يسبوا إذا كان الآباء هم الذين قد ارتكبوا الكفر، وما ذنب النساء وهن تابعات؟ نقول: أما البالغون فلا شك أن هذا من محاسن الإسلام، أعني: أن أسر هؤلاء النساء وسبيهن هو في حقيقة الأمر من أجل الكفر الذي كانوا عليه، ولو ثبت إسلام إنسان قبل أن يقع في الأسر لم يجر عليه رق قط؛ لأنه ثبتت حريته مسلمًا، فلا يجري عليه الرق قط.

وأما الأطفال فسبيهم في حقيقة الأمر إنقاذًا لهم من براثن الكفر، الذي يُراد لهم أن يُنشئوا عليه، فهذا من رحمة الله بهم، مع حصول التنكيل بالكبار لأنه يحصل لهم من أنواع الخير من الوجود تحت سلطان المسلمين، ولو كانوا رقيقًا مملوكين ما لا يمكن أن يحصل لهم ولو بقوا أحرارًا في سلطان آبائهم ومجتمعاتهم الجاهلية الظالمة، التي تفرض عليهم أنواع الكفر والشبهات والضلالات، وتمنعهم من رؤية نور الحق، وكما رأينا في حسن معاملة الإسلام في الرقيق وفيما أمر الله به من الاقتداء برسول الله ﷺ فيما

كان يعامل به مماليكه، حتى لربما استهان بعض هؤلاء المماليك ببعض الأوامر من أجل الأمن من العقوبة، فإذا كان هذا النبي ﷺ يختاره زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهو قبل أن يبعث ﷺ، ويظل كابن له لما عرف أبوه، زيد بن حارثة كان قد أسر في الجاهلية صغيرًا فاشترته خديجة رضي الله عنها ووهبته للنبي ﷺ فكان مملوكًا للنبي ﷺ، «**ولمّا بلغ زيْدًا قوْلُ أبيهِ بكيْت على زيْدٍ ولمْ أدْرِ ما فعلْ. الْأبْيات. قال بِحيْثُ يسْمعُهُ الرّكْبانُ: فبلغ أباهُ قوْلُهُ فجاء هُو وعمّهُ كعْبٌ حتّى وقفا على رسُولِ اللهِ ﷺ بِمكّة وذلِك قبْل الْإِسْلامِ فقالا لهُ يا بْن عبد الْمُطّلِبِ، يا بْن سيّدِ قوْمِهِ أنْتُمْ جِيرانُ اللهِ وتفُكّون الْعانِي وتُطْعِمُون الْجائِع وقدْ جِئْناكُمْ فِي ابْنِنا عبْدِك، لِتُحْسِن إلْينا فِي فِدائِهِ فقال أوغيْرُ ذلِك؟ فقالا: وما هُو؟ فقال أُدْعُوهُ وأُخيِّرُهُ فإنْ اخْتارُكُما فذاك وإنْ اخْتارنِي فواللهِ ما أنا بِالّذِي أخْتارُ على منْ اخْتارنِي أحدًا، فقالا لهُ قدْ زِدْت على النّصْفِ فدعاهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فلمّا جاء قال مِنْ هذانِ؟ فقال هذا أبِي حارِثةُ بْنُ شراحِيل وهذا عمّي: كعْبُ بْنُ شراحِيل، فقال: قدْ خيّرْتُك إنْ شِئْت ذهبْت معهُما، وإنْ شِئْت أقمْت معِي، فقال بلْ أُقِيمُ معك، فقال لهُ أبُوهُ يا زيْدُ أتخْتارُ الْعُبُودِيّة على الْحُرّيّةِ وعلى أبِيك وأُمّك وبلدِك وقوْمِك؟ فقال إنّي قدْ رأيْت مِنْ هذا الرّجُلِ شيْئًا، وما أنا بِالّذِي أُفارِقُهُ أبدًا فعِنْد ذلِك أخذ رسُولُ اللهِ ﷺ بِيدِهِ وقام بِهِ إلى الْملإِ مِنْ قُرِيْشٍ، فقال: اشْهدُوا أنّ هذا ابْنِي، وارِثًا وموْرُوثًا، فطابتْ نفْسُ أبِيهِ عِنْد ذلِك وكان يُدْعى: زيْد بْنِ مُحمّدٍ حتّى أنْزل اللهُ تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الْأحْزابُ: ٥]**»[(١)].

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٤٨١)، وزاد المعاد (٣/ ١٨).

كان هذا قبل بعثته ﷺ، كان يسمى زيد بن محمد وكان كذلك في أول الإسلام، حتى أنزل الله ﷻ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، فسمي باسمه الذي كان عليه زيد بن حارثة، وعلمنا كيف أن كثيرًا جدًا من أهل العلم الكبار المقدمين كانوا رقيقًا مملوكين، يعني: لو كانوا بقوا في تربية آبائهم وأمهاتهم الكفار، لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، فهذا سعيد بن جبير مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما، عن هؤلاء أُخِذ العلم، وأمثالهم كثير وأضعاف هؤلاء ممن كانت له المنزلة والذكر الحسن في الأمة الإسلامية، وكانوا موالي، لو كان هؤلاء بقوا في تربية آبائهم وأمهاتهم، هل كانوا يصلون إلى ما وصلوا إليه من المنزلة العالية الرفيعة التي وصلوا إليها؟!

عامة من نسمع ومن نأخذ عنهم العلم والحديث كانوا في وقت من الأوقات، بل كثير جدًا منهم كانوا مماليك، وهذا من فضل الله عليهم؛ لذلك نقول: إن أسر النساء والذرية ليس أخذًا بجريرة الآخرين، بل مع الإحسان التام الذي يحصل للرقيق أن الرسول ﷺ أوصى بهم، قال: «**الصّلاة الصّلاة، وما ملكتْ أيْمانُكُمْ**»[1]، وأداء حقوقهم - كما هو معلوم - أن الوصية بذلك متأكدة في الشرع ما جعل الرق في ظل النظام الإسلامي أنفع لهؤلاء بكثير من أن يكونوا أحرارًا في مجتمعاتهم الجاهلية، وهذا والله أمر ملحوظ، فإن الشعوب الجاهلة الواقعة تحت سلطان طواغيتها تظلم ظلمًا فظيعًا، وهي تظن أنها في طريقة مثلى، نسأل الله العافية، وهذا ليس إلا إصلاحًا مطلوبًا ومقصودًا في الأمم، وليس أخذًا لهؤلاء بجريرة

(١) سبق تخريجه (ص ١١٦).

الآخرين، مع ما فيه من النكاية بقلوب الكفار إذا رأوا ذلك، فيحصل الخير من جميع الجهات، والله أعلى وأعلم.

فشرع الله كله عدل ومصلحة، ولا يؤخذ إنسان فيه بجريرة غيره، ولا تزر وازرة وزر أخرى، لا تحمل حاملة أثقالاً حمل نفس أخرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، والآية عامة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، والوازرة هي التي تحمل ثقلاً، النفس التي تحمل ثقلاً، فلا يحمل أحد عن أحد في الدنيا والآخرة جريرته، والبعض قد يرى أيضًا أن دفع الدية على العاقلة هو من هذا الباب، إلزام العاقلة بدفع الدية أخذ بجريمة الآخرين، وليس كذلك، فهذا باب الخطأ ليس فيه جريمة، وإنما الأمر فيه مواساة؛ لأنه وقع خطأ، القتل الخطأ وقع بغير قصد، وتحميله للجاني وأنه ليس بمجرم، ولكن وقعت منه جناية على غيره بدون قصد، فتحميله يذهب بماله، ويعجزه عن أن يكون فردًا صالحًا في المجتمع لو أخذ كل ماله أو ألزم بأداء الحق الذي عليه طيلة عمره، ولو أهدر حق القتيل أو حق الذي حصلت عليه الجناية خطأ، لضاعت الحقوق، فكان من أعدل الأمور أن تكلف عاقلة الجاني؛ لتحمل الدية معه مشاركة معه ومواساة في أمر لم يقصد فيه أن يرتكب جريمة أو أن يخالف شرع الله ﷻ.

من هنا قلنا: إنه ليس في الإسلام تحمل أحد جريمة أحد، ولا أن يؤخذ أحد بجناية أحد، والله ﷻ أعلى وأعلم.

الْمسْأَلَةُ الْخامِسَةُ والتِّسْعُون: تعْيِيرُ الرّجُلِ بِمَا فِي غيْرِهِ، فَقَالَ: أعيّرْتهُ بِأُمِّهِ؟! إِنّك امْرُؤٌ فِيكَ جاهِلِيّةٌ»[1].

الـشـــرح:

القصة معلومة عندما وقعت خصومة بين أبي ذر رضي الله عنه وبين أحد المسلمين كانت أمه سوداء، فقال له أبو ذر رضي الله عنه: يا ابن السوداء، فقال له النبي ﷺ: «**إنّك امْرُؤٌ فِيك جاهِلِيّةٌ**» فقال يا رسُول اللّهِ أعلى كِبرِ سِنِّي؟! قال: «**نعمْ**».

فهذا الذي ذكره النبي ﷺ هو التعيير بالألوان وبالآباء والأمهات، نسأل الله العافية، وهذا موجود في أهل الجاهلية من أهل الكتاب ومن المشركين وانتقل إلى كثير من المسلمين، فتجد السب بالآباء والأمهات والتعيير ببعض العيوب التي ليست في الإنسان، ولكن في عائلته أو في بعض أقاربه، هذا من ميراث الجاهلية التي لابد من التحذير منها، وإن كانت هذه الجاهلية تجامع الإسلام كما سبقت مسائل كثيرة، كثير منها تكون مع وجود الإسلام ولا يلزم منها الكفر، وقد شرحنا هذه المسألة في أول الكتاب عندما ذكرنا أن من الجاهلية ما يكون كفرًا ومن الجاهلية ما يكون معصية، فالتعيير بالصفات الخلقية عند الآباء والأمهات أو عند القوم، كما قد يحدث من أهل الجاهلية في زماننا عندما يعممون مثلاً الحكم على أهل بلد، فيقولون مثلاً: أنتم المصريون فيكم كذا وكذا... فيرد الآخرون: وأنتم الجزائريون فيكم كذا وكذا. كما هو حاصل ومعلوم من المعارك التي تعد - نسأل الله العافية - في

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

المباريات القادمة التي يعدون لها أنواعًا من الأسلحة والمعدات للانتقام، ويحرقون الأعلام كأنهم في معركة، ويتهمون الشعوب بأسرها بأن عندهم كذا وكذ، يعيرون الرجل بما ليس فيه، بما في غيره، ويقولون: أنتم تفعلون. ويرد الآخرون: أنتم تفعلون. نسأل الله العافية. وهكذا تجد في كثير من الناس في داخل المجتمع الواحد، تجد من يسميهم الناس: الفلاحين والصعايدة، فتجد هؤلاء يسبون هؤلاء، يقولون: عندكم أنتم من الصفات كذا وكذا... كثير جدًا من النكات الخبيثة التي تجعل على طائفة بعينها؛ ليسخر الناس منها، ويغتاظ من ينتسب إلى الطائفة أو إلى أهل بلد معين، حتى يُتهم هؤلاء بأنهم عندهم جهل، أو عندهم غباوة، أو عندهم دياثة، أو عندهم أنواعٌ من التهم ليست في هذا الشخص الذي يتهمونه بذلك، يقول: من أين أنت؟ يقول: من البلد الفلاني. فيقول: آه فيكم كذا وكذا وكذا... نسأل الله العافية.

هذا كله من الجاهلية الموروثة عن أهل الجاهلية، التي لابد من محاربتها وإذا كان تعيير الرجل بما فيه مذموم إذا لم يرد الشرع بالإذن في ذلك، كما قال النبي ﷺ: «**إذا زنتْ أمةُ أحدِكُمْ، فتبيّن زِناها، فلْيجْلِدْها الحدّ، ولا يُثرِّبْ عليْها، ثُمّ إنْ زنتْ فلْيجْلِدْها الحدّ، ولا يُثرِّبْ، ثُمّ إنْ زنتِ الثّالِثة فتبيّن زِناها فلْيبِعْها ولوْ بِحبْلٍ مِنْ شعرٍ**»[1]، لا يثرب عليها، يعني: لا يلومها ولا يعيب عليها ولا يعاتبها، الحد هو المشروع فقط، لا يجوز أن يسبها ولا أن يشتمها بما قد فعلت، مع أنها قد زنت، فكيف بالسب واللعن

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٤)، ومسلم (١٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والطعن بما ليس في الإنسان، بل إنما هو في غيره؟! فإذا كان منهيًا عنه فيما أتاه الإنسان، وهو من صفاته، وكذلك ما كان من صفاته مما لا يملكه؛ كطول، أو قصر، أو لون جسم، أو لون بشرة، فإذا كان الإنسان منهيًا عن أن يعير أحًدا بشيء هو فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾، فالهماز: هو الذي يعيب الناس، فكيف إذا كان يعيب أحدًا بما ليس فيه، ولكن يعيبه بما فعله غيره أو بما هو من صفات غيره؟! كل ذلك بعضه أقبح من بعض، والعياذ بالله من ذلك.

فلا يجوز للمسلم أن يعمم حكمًا معينًا على طائفة أو على أهل بلد، ويعامل الناس جميعًا بذلك، الذين ينتسبون إلى هذه البلدة أو إلى هذه الطائفة أو إلى هذا الشعب أو إلى هذا اللون، ويعتبر أن كلهم قد فعلوا هذا الأمر، أو أن عندهم هذه المثالب، أو عندهم هذه العيوب، نسأل الله العافية.

الْمسْألةُ السّادِسةُ والتِّسْعُون: الافْتِخارُ بِولايةِ البيْتِ، فذمّهُمْ اللّهُ بِقوْلِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

الـشـــرح:

كان المشركون يقولون: نحن سدنة بيت الله، ويرون أن لهم فضلاً على سائر العرب بكونهم هم الذين يتولون أمر الكعبة المشرفة، وقد أخذوها بالوارثة عن أبيهم إبراهيم وإسماعيل - عليهم الصلاة والسلام - في قريش لكن لم يقوموا بالحق الذي أوجبه الله ﷻ من تعظيم البيت الحرام، وأعظم ما بني له هذا البيت عبادة الله وحده لا شريك له، بل هو إنما طهر لأجل ذلك: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، شرع الله ﷻ أن لا يشرك به ﷻ، خصوصًا حول هذا البيت، فكانوا مستكبرين بالحرم، كانوا مستكبرين به وفيه، يرون أنفسهم أهلاً له، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فكانوا يفعلون في البيت الحرام وحوله ما لا يليق بهذا البيت العظيم، وكان صلاتهم عنده التصفيق والصفير، وكانوا يهجرون عبادة الله ﷻ عنده، وينشغلون بالتصفيق والصفير - بالمكاء والتصدية - حول البيت الحرام، فضلاً عن عبادة الأوثان، فهم مستكبرون بالحرم وفيه، مستكبرون به على العرب مع أنهم لا يؤدون حقه، هجروا ما جعله الله ﷻ له من عبادته وحده لا شريك له، أشركوا بالله وتركوا ما أوجبه الله من العبادة؛ من الصلاة وأنواع العبادات، والتوحيد الذي هو المقصود الأعظم، والعبادات كلها مقصودها التوحيد،

فهجروا ذلك واشتغلوا بالمكاء والتصدية حال سمرهم، جعلوا هذا لهوًا ولعبًا، والعياذ بالله، فكان هذا حالهم الذي ذمهم الله عليه، وهذا أمر حاصل لكثير من الناس ممن يقوم على البيت أو غيره من الولايات، يفتخر بها على الناس دون أن يقوم بحقها، فكثير ممن يعيش حول الحرمين الشريفين، وربما انتسب إلى القيام بخدمتها أو القيام بخدمة الحجاج والعمار ونحو ذلك، ممن لا يؤدي حق الله سبحانه، وإنما يستكبر بكونه من سكان الحرم أو ممن يعيش فيه، وفي نفس الوقت يقضي عمره ووقته في أنواع اللهو اللعب، ولا يؤدي ما أوجبه الله ﷻ عليه، بل يهجر عبادة الله التي افترضها على عباده، وهذا من ميراث أهل الجاهلية، نسأل الله العافية، فالولايات المختلفة كذلك، إذا شرفك الله ﷻ بأن جعلك تتولى أمرًا من أمور المسلمين فيما يتعلق بعبادتهم التي شرعها الله ﷻ لهم، لا تتكبر بذلك، بل أنت خادم من خدامهم، بل معين لهم على ما فرض الله وشرع لهم ﷻ، فلا يجوز لك أن تتكبر بهذا الذي كلفت به، ولا أن يكون هذا سببًا لافتخارك عليهم بغير الحق، فالافتخار بأمر الولايات الشرعية وبالقيام بما أمر الله به يؤدي بالإنسان إلى أن يهجر إلى ما جعل فيه من طاعة الله، وإنما يشغله الفخر والكبر عن أن يكون مؤديًا لوظيفته التي جعله الله ﷻ فيها، فينشغل عنها ويهجر طاعة الله فيها، ويجعل وظيفته نوعًا من اللهو واللعب، يتلذذ بكونه فوق الناس أو أنه في محل ولاية عليهم، أو غير ذلك مما يفتخر به ويتكبر به على الخلق، فلا يجوز للمسلم أن يفتخر بما جعله الله فيه من الولايات ومن الطاعات، بل يكون أوجب عليه أن يؤدي حق الله ﷻ في هذا المكان أو في هذه الوظيفة أو في هذه الولاية، لا يعتدي على الخلق بالكبر والفخر،

ولا يتعالى عليهم، ولا يكون همه اللهو واللعب، الذي يريده الكفار، وكانوا يفعلونه حول بيت الله الحرام من المكاء والتصدية، والله أعلى وأعلم.

الْمسْألةُ السّابِعةُ والتِّسْعُون: الافْتِخارُ بِكوْنِهِمْ ذُرِّية الأنْبِياءِ، فأتى اللّهُ بِقوْلِهِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

الشـــرح:

هذا واقع في أهل الكتاب من بني إسرائيل، يرون أنفسهم أبناء يعقوب عليه السلام وأنهم المختارون، شعب الله المختار، وواقع أيضًا في قريش، التي كانت تفتخر على العرب في الجاهلية أنها من نسل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والافتخار حاصل بين هؤلاء وهؤلاء، وبين كل طائفة وغيرهم، فاليهود يفتخرون على العرب بأنهم من نسل إبراهيم من ابنه إسحاق، الذي هو ابن الحرة، وإسماعيل ابن أم الولد، ابن المملوكة، ويرون هذا الأمر سببًا للافتخار، ويرون أنفسهم قد اختارهم الله دون غيرهم من الأمم، ليس لأجل العبادة والقيام بالدين، بل لأجل أنهم ذرية الأنبياء فقط، مع أن الخلق جميعًا ذرية آدم عليه السلام، وهو نبي مكلم[1]، ثم هم بعد ذلك - أعني خلق البشر - ثم هم بعد نوح عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام، فهم ذرية الأنبياء، ووجد

(١) كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «. . . **قُلْتُ: فَأَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: آدَمُ " قُلْتُ: أَوَنَبِيٌّ كَانَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ " قُلْتُ: فَكَمِ الْمُرْسَلُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا**». أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٤٣٢)، والبخاري في تاريخه (١/ ٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦)، والبزار في مسنده (٩/ ٤٢٦، ٤٢٧)، والطيالسي في مسنده (ص٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٤٨).

منهم الكفار، ووجد منهم المنافقون، ووجد منهم الظلمة والفسقة؛ كما قال الله ﷻ: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾، نعم سيكون من ذرية إبراهيم أئمة، ولكن لم يدخل في هذا العهد الظالمون؛ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، عهد الله لم ينل ولم يشمل الظالمين، الظالمون خارجون عن الإمامة في الدين، لا يجوز توليتهم الولايات، ولا يجوز قبول شهادتهم، ولا يجوز أن تقبل روايتهم؛ لأنهم ظلمة، فلا ينفعهم انتسابهم للأنبياء ولا أنهم من ذرية الأنبياء؛ كما قال النبي ﷺ: «**إنّ آل أبِي فُلانٍ ليْسُوا لِي بِأوْلِياء، إنّما أوْلِيّائِي الْمُتقون**»[1]، فلم يتول من كان من أهله وقرابته ليس على طاعة الله ﷻ، فهذه ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، يعني: من مضى، فهذا يشمل الكلام على بني إسرائيل، وسياق الآيات فيهم؛ لأنهم إنما كانوا يفتخرون بأنبيائهم؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والعرب يشاركونهم في إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك فليس هذا بسبب مجرد للتفضيل وللترجيح، بل لابد من العمل؛ كما قال النبي ﷺ «**ومنْ أبطأ بِهِ عملُهُ، لمْ يُسْرِعْ بِهِ نسبُهُ**»[2]، وقال: «**يا فاطِمةُ بِنْت مُحمّدٍ لا أُغْنِي عنْكِ مِن اللهِ شيْئًا**»[3]، النبي ﷺ يقول ذلك للقريب والبعيد.

وهذا يدل على أن كون الإنسان من ذرية الأنبياء، كما يفعل البعض في زماننا يقول: أنا من أهل البيت، وكأن هذا علامة على أنه لابد وأن يكون من الصالحين! وعامة أهل البدع والضلال في محاولتهم لترويج بدعهم

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).
(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).
(٣) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

وضلالهم ومنكراتهم على عامة الناس انتسبوا إلى أهل البيت، حتى بنو عبيد القداح، الزنادقة المجرمون الذين أرادوا أن يفرضوا زندقتهم على المسلمين، وقد أقاموا دولة خبيثة انتسبوا إلى فاطمة، حتى سماهم عامة الناس الفاطميين، نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وحتى كلمة الزهراء هذه لم ترد في السنة، وإنما انتسبوا إلى ذلك لترويج ضلالهم على الناس، وتجد حتى من كان آتيًا من أبعد بلاد المغرب ينتسب إلى أهل البيت؛ لكي يثبت شرفًا يفتخر به على الناس، وإن لم يكن يعمل بعمل رسول الله ﷺ وأهل بيته في زمنه ﷺ وبعد ذلك، أهل البيت لهم منزلة عظيمة، ولا شك أننا نعرف قدرهم، وقد قال النبي ﷺ: «**ياأيها النّاسُ إِنِّي تركْتُ فِيكُمْ ما إِنْ أخذْتُمْ بِهِ لنْ تضِلُّوا: كِتاب اللّهِ، وعِتْرتِي أهْل بيْتِي**»[1]، وهذا من أوضح الأدلة على أنه لا يزال في أهل البيت من يكون على الحق، وأن أهل البيت في مجموعهم لا يفارقون الكتاب، بل سيظل طائفة منهم مع الكتاب على الدوام، ومن هنا رجح كثير من أهل السنة، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ونقل ذلك عن طائفة من العلماء ومن الحنابلة، أن إجماع أهل البيت حجة، ليس كما يظن بعض الجهلة أن هذا قول الشيعة فقط، وهذا كلام باطل غير صحيح، هذا قول طائفة من أهل السنة، وإن لم يكن مشهورًا، لكن عليه الدليل، لكن كما ذكرنا أن النبي ﷺ قال: «**أيُّها النّاسُ فإِنّما أنا بشرٌ يُوشِكُ أنْ يأْتِي رسُولُ ربِّى فأُجِيب وأنا تارِكٌ فِيكُمْ ثقلَيْنِ أوّلُهُما كِتابُ اللّهِ فِيهِ الْهُدى والنُّورُ فخُذُوا بِكِتابِ اللّهِ واسْتمْسِكُوا بِهِ. . .**»، ثم قال في

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٤٤).

آخر كلامه: «**وأهْل بيْتي أُذكِّرُكُمُ الله فِي أهْلِ بيْتِي**»(١).

الثقل الأول: الكتاب، والثقل الثاني: أهل البيت، فدل ذلك على تعظيم منزلتهم، لكن لا يعني ذلك أن كل من كان من أهل البيت يكون ناجيًا عند الله، أو يكون على الحق، أو يكون معصومًا كما يعتقد الشيعة في أئمتهم يرون فيهم العصمة، ويعتقدون فيهم أنهم لهم سلطان على الكون وعلى غيرهم، وهذا كله من الباطل والكذب والزور، الذي لم يقله أحد من أئمة أهل البيت من أول علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها فمن بعدهم من ذريتهم؛ فلذلك نقول: لايكفي أن يكون الإنسان من أهل البيت، حتى يكون ذلك مقتضيًا لصحة ما يقول أو لاستحقاقه لكل ما يدعي، وقد كان - في التاريخ - من أهل البيت، أو من يقول إنه ينتسب إلى أهل البيت من ينطبق عليه ما انطبق على أبي طالب وأبي لهب عمي النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قال عنهم: «**إنّ آل أبِي فُلانٍ ليْسُوا لِي بِأوْلِياء، إنّما أوْلِيّائِي الْمُتقون**»(٢).

ولذلك نقول: قد كان بعض من أفسد في الإسلام مفسدة عظيمة ممن ينتسب إلى أن يكون من أهل البيت، حتى ولو كان فميراثه هذا النسب لا يعفيه من العمل، ولا يلقي عنه تبعة أوزاره أنه من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أو من نسله أو ذريته، فإنه إن لم يأت بالعمل الصالح لم يكن من أهل البيت، ولو كان من الذرية؛ كما قال الله عز وجل لنوح عليه السلام: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾، فإذا علمنا رجلاً نافق وأعان الكفار على المسلمين، حتى مكن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

الكفار من بلاد المسلمين واحتلوها، وكان يعاونهم ويعمل جاسوسًا لهم ونحو ذلك، ويقول: إنه من أهل البيت، هل يعفيه ذلك؟! نقول: هو من الذرية وليس من أهل البيت، كما كان أبو طالب عمًّا للنبي ﷺ، وأبو لهب عمًّا للنبي ﷺ، ولم يغن الرسول ﷺ عنهما من الله شيئًا، بل على الصحيح، بل الصواب أن أبوي النبي ﷺ لم يستطع ﷺ أن ينقدهما من النار، وإنما قال للرجل الذي قال: أين أبي؟ قال: إن أباك في النار، كما في الحديث: «**أنّ رجُلًا قَالَ: يا رسُولَ اللَّهِ، أيْن أبِي؟ قَالَ: فِي النّارِ، فَلمَّا قفّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إنّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[1]، وكذلك استأذن في أن يستغفر لأمه فلم يأذن الله ﷻ له[2]، فإذا كان هذا في أبويه ﷺ، فكيف بمن دون ذلك، بل هو أبعد عن الرسول ﷺ؟!

ولذلك هذه القضية خطيرة جدًا عند الصوفية، والانتساب إلى آل البيت عندهم كأنه جواز للمرور إلى قلوب الخلق مطلقًا، دون نظر إلى عمل وإلى عقيدة وإلى فهم لهذا الدين وتطبيق له، هذا كله من الجهالة الخطيرة التي يُغر بها كثير من الناس، بأنه يفتخر بأنه من ذرية الأنبياء، دون أن يعمل بمثل عملهم، ولا أن يسير على طريقهم، فيُقال لهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**».

الْمسْألةُ الثّامِنةُ والتِّسْعُون: الافْتِخارُ بِالصّنائِعِ، كفِعْلِ أهْلِ الرِّحْلتيْنِ على أهْلِ الْحرْثِ.

الشـــرح:

الافتخار بالمهنة كل ذلك من التفاخر بالدنيا، الذي ذمه الله ﷻ بقوله ﷻ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾. فالافتخار بالمهن والصناعات التي عليها الإنسان، كما كان أهل الجاهلية من المشركين يفتخرون بأنهم من التجار الذين يرحلون رحلتين في السنة؛ رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، يفتخرون على أهل الزرع، يرون أن الفلاحين والزراع دونهم في المنزلة، ومما يدل على ذلك في الحديث في صحيح مسلم في قصة قتل أبي جهل: «**قال رسُولُ اللّهِ ﷺ يوْم بدْرٍ: منْ ينْظُرُ ما صنع أبُو جهْلٍ، فانْطلق ابْنُ مسْعُودٍ، فوجدهُ قدْ ضربهُ ابْنا عفْراء حتّى برد، فقال: آنْت أبا جهْلٍ؟ قال ابْنُ عُليّة، قال سُليْمانُ: هكذا قالها أنسٌ، قال: أنْت أبا جهْلٍ؟ قال: وهلْ فوْق رجُلٍ قتلْتُمُوهُ. قال سُليْمانُ أوْ قال: قتلهُ قوْمُهُ قال: وقال أبُو مِجْلزٍ: قال أبُو جهْلٍ فلوْ غيْرُ أكّارٍ قتلنِي**»[1] والعياذ بالله، إلى آخر رمق في عمره أبو جهل يبحث عمن قتله، ويقول: لو أن غير زارع أو فلاح أو من أهل الحرث؛ لأن الذين قتلوه من شباب أهل

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

المدينة من الأنصار أهل حرث، أهل زراعة، فيقول: لو أن غير أكار قتلني! يعني: يريد أن يفتخر مثلاً أن تاجرًا أو مثلاً فارسًا مهنته مهنة مختلفة قتله؛ لكي يرى نفسه بذلك في منزلة أعلى، نعوذ بالله، قد قال الله ﷻ لعباده جميعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾. ولا يزال التفاخر بالصنائع والمهن منتشرًا في كثير من أهل الإسلام، ممن ينتسب إلى الدين، بل وإلى الطاعة والدعوة أحيانًا يفتخر بمهنة نفسه أو بمهنة أهله، ويرى أن هذه المهن أعلى قدرًا، ولو قلنا إن هذا صار عرفًا أشد من الافتخار بالمال عند الناس اليوم لما كان بعيدًا عن الصواب، بل هو أكثر بلا شك، الذي يعمل في مهنة من المهن التي يسمونها مهنا شريفة، ويرى نفسه له فضل على غيره من أصحاب المهن، ولربما امتنعوا من تزويج مثلًا طبيبة أو صيدلانية أو مهندسة من رجل صالح، إذا كانت مهنته يرونها مهنة من المهن الأقل شأنًا من صانع مثلاً أو نحو ذلك.

الأمر قد تعمق في المجتمع إلى درجة شديدة، حتى لو كان ذا مال، حتى ولو كان ذا منصب، لكن القضية عندهم في الشهادة التي يحصل عليها، والمهنة التي يعمل فيها، فمثل هذا عند الناس صار مقدمًا على المال، وصار مقدمًا على المنصب، وربما صار مقدمًا على الجمال في بعض الأحيان، وكم من أصحاب مهن يشترطون يقولون: أنا أبحث عن امرأة حاصلة على الشهادة الفلانية. ويترك مسكينات الأخوات، اللاتي يؤثرن ترك التعلم للعلوم الدنيوية من أجل الاختلاط المنكر، ومن أجل الفواحش في الطرقات والمنكرات في الجامعات، نقول فعلاً من يقبل أن يتزوج امرأة

حافظة للقرآن، إذا لم يكن معها شهادة، نادر من يقبل ذلك، ولو قبل هو لما قبل أهله، ولما قبلت أمه ولما قبل أبوه، يسألونه ماذا معها من الشهادات؟!

أقول: معظم الفتيات يدخلن الجامعة لا لتعلم علم نافع ولا لعمل حتى تحتاجه المرأة، كلها شهادات لا قيمة لها في واقع الحياة إلا أنها تتزوج بها، ونسأل الله العافية، وكثير جدًا من الطلبة كذلك يأخذون شهادات لا يعملون بها، يأخذ بكالريوس من كلية معينة ويشتغل في محل معين، واحد بياع لو قال لهم في الزواج: أنا أعمل بياع، لقالوا له: لا ينفع. ولو قال لهم: معي شهادة بكالوريوس تجارة مثلا. يقولون: تفضل! هذا أمر عندهم أصبح مستقرًا. نسأل الله العافية، وهو من ميراث الجاهلية في الحقيقة، الافتخار بالمهن والصناعات، وإن تفاوتت في الأزمنة، يعني: في الماضي كانوا يفتخرون بمهنة تاجر، وأما الآن فمهنة تاجر عندنا أنقص من كثير من المهنة الأخرى، حتى ولو كانت مهنة يتعرض فيها الإنسان لأكل الحرام وللظلم والفساد، فلو كانت مهمته ظلم الناس لكان هذا عندهم شيئًا مقدمًا، أو على سبيل المثال: كان حاسبًا للربا، لكن في بنك مرموق، لكن هذا أيضًا مقدمًا عند الناس - نسأل الله العافية - ولو كان يعمل بالحرام.

لذلك نقول: الناس في الإسلام لا يتفاوتون إلا بالتقوى؛ ولذا كان الصحيح من كلام أهل العلم في مسألة الكفاءة بين الرجل والمرأة في الزواج، أن الكفاءة معتبرة في الدين فقط مع الحرية، الدين والحرية، وقلنا الحرية؛ لحديث بريرة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خيرها لما اعتقت، خيرها بين أن تستمر مع مغيث رضي الله عنه في زواجها منه، أم تطلق، فاختارت نفسها، فجعل

لها النبي ﷺ ذلك[١]، فهذا دليل على أن الحرة تحت عبد أنه ليس كفئًا لها، وأنها ملكت نفسها بالعتق.

فابتداء ذلك... أن الحرة لا يفرض عليها وليها عبدًا، وإذا اختارت هي أن تتزوج عبدًا فلوليها أن يعترض؛ وأما الكفاءة المعتبرة في الأصل فهي الكفاءة في الدين، ألّا يكون فاسقًا ولا مجلودًا في حد ولا شاربًا لخمر، ولا مبتدعًا ضالاً، فهذا الذي يمتنع من تزويجه، حتى لو أرادته المرأة، فإذا اعترض الأولياء أو أحد منهم امتنع النكاح، ولم يكن لها حق في أن تتزوج بمن تريده إذا لم يكن كفئًا لها في الدين، إذا كان مشهورًا مثلاً بترك الصلاة، أو كان مشهورًا بشرب الخمر والمخدرات، أو إذا كان مشهورًا ببدعة؛ كرافضي مثلاً، أو رجلاً من الخوارج الإباضية، أو مبتدع في مسائل الاعتقاد كالجبرية، والصوفية، والقدرية، وممن كان عنده فساد عقدي أو فساد عملي يصر عليه، فهنا ليس من حقها أن يزوجها وليها بمن شاءت، وإن لم يرض هو؛ أما إذا كان كفئًا لها، رجلاً تقيًّا صالحًا لا يعرف عنه فسق ولا فساد، وهو من أهل السنة، فلو أن وليها امتنع من التزويج لأجل المهنة أو لأجل المال أو لأجل النسب، وأرادت هي، فعليه أن يزوجها، إن عضلها سقطت ولايته، إن عضلها ومنعها من التزويج سقطت ولايته، وانتقلت إلى الولي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَاجَعْتِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ».

الأبعد أو إلى السلطان أو من يقوم مقامه على قولين لأهل العلم: هل تنتقل مباشرة إلى السلطان، أم تنتقل إلى الولي الأبعد، فإذا حدث شجار انتقل الأمر إلى السلطان؟ والأقرب أن تنتقل إلى الولي الأبعد لسقوط ولاية الأقرب في هذه الحالة، إذا تقدم كفء لها، وكانت هي ترتضيه، وتريد الزواج منه بكرًا كانت أو ثيبًا، فامتنع الولي من التزويج لسبب غير شرعي، كما ذكرنا إذا قلنا ليست الصناعات معتبرة في الكفاءة، فليس له أن يقول: إني أمتنع ولن أزوجها. إذا امتنع وهي ترغب ترفع أمرها إلى القاضي، إذا كانت في مكان فيه قاض مسلم، أو تسقط ولايته تلقائيًّا وتنتقل إلى الأبعد، فإن لم تجد وليًا فالسلطان وليّ من لا وليّ له، وإذا غاب السلطان قام مقامه أحد من أهل العلم والدين يعرف شروط الكفاءة ونحو ذلك، وإن كان بعض أهل العلم يعتبر الكفاءة في اليسار - أي: المال - وفي النسب وفي المهن، لكن هذا مما لا دليل عليه في كتاب ولا في سنة، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾. وكما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الافتخار بالصنائع من فعل أهل الجاهلية، والافتخار نفسه نوع من الأمراض القلبية التي نبعت من الكبر والإعجاب بالنفس، فأدت إلى الافتخار على الخلق، فكيف إذا كان هذا الافتخار بشيء زائل من أعراض الدنيا، لا ينبغي أن يفتخر الإنسان به؟! هذا أقبح وأقبح.

الْمسْألةُ التّاسِعةُ والتِّسْعُون: عظمةُ الدُّنْيا فِي قُلُوبِهِمْ، كقوْلِهِمْ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

الشـــرح:

مشركو قريش يعرفون قدر القرآن، ويعرفون أنه معجز، لا يستطيعون أن يقبلوا تحديه، ولا أن يأتوا بمثله، وأثره في نفوسهم كان جليًّا واضحًا لا يستطيعون إنكاره، ولكن المشكلة أنهم كانوا يعظمون أهل الرياسة فيهم وأهل المال وأهل الدنيا، فقالوا مقترحين على الله ﷻ متحكِّمين عليه: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أمة واحدة، أي: على الكفر.

فلو جعل الله ﷻ لكل من يكفر لبيوته سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون وزخرفًا، لكفر الناس كلهم، تخيل أن هذا الأمر لو حدث لكفر كل الناس، إذا كانت الدنيا مقسمة في هذه الحياة بين المؤمنين والكفار، ولكن لما كان الكفار أكثر نصيبًا، كم من الناس يتابعهم على باطلهم، ويتولاهم على كفرهم من أجل أنهم أصحاب

مال وأصحاب سلطان وأصحاب رفاهية. كم من الناس في زماننا أمنيتهم الكبرى أن يعيشوا حياة الأوروبيين، وأن يسافر أحدهم إلى بعض تلك البلاد؛ ليعود بالمال. عظموا هذه الشعوب وهذه البلاد تعظيما هائلاً، حتى لربما عرضوا أنفسهم للأخطار الهائلة وللموت، من أجل أن يصلوا بطريقة مهينة إلى بلدة من تلك البلاد، انظر ماذا يصنع كثير من الشباب في محاولة السفر إلى بلاد الكفر، من أوروبا وأمريكا؟! وكم تدفع من أموال هائلة من أجل إدخالهم لهذه البلاد. أمله أن يذهب هناك ليعمل غاسل صحون، غاسل أطباق أو ماسح أحذية أو سائق لسيارة، وهذه هي المهن العالية هناك إلا من رحم الله، فيعمل حتى لو كان يتضمن ذلك إعانة على محرم من شرب الخمر وأكل خنزير وأكل ميتة، وإعانة على المحرمات من نقل هؤلاء الكفرة المجرمين إلى أماكن فسادهم وفسقهم وفجورهم وكفرهم، ومع ذلك ما أكثر من يطلب ذلك؛ لأن الدنيا قد عظمت في قلوبهم.

فهذا هدي وطريقة أهل الجاهلية من المشركين الذين يعظمون الدنيا فصار أمثال أبي جهل، وأبي سفيان، وابن عبد ياليل، من ثقيف من الطائف، يقترحون على الله ﷻ، أو يطلبون ويتحكمون أن ينزل الله ﷻ القرآن على أحد من هؤلاء، على رجل من أهل مكة أو رجل من أهل الطائف من العظماء، أنه كان ينبغي أن يكون القرآن - وهو كتاب عظيم القدر - عندهم، يتحكمون على الله ﷻ ويطلبون أن يكون قد نزل على أحد عظماء القريتين؛ مكة، والطائف، فأنزل الله ﷻ هذه الآيات[1]، فهذا لابد أن يتخلص

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢٠/ ٥٨٠)، وزاد المسير (٤/ ٧٦)، وابن كثير (٧/ ٢٢٥).

المؤمنون منه، وأن يجعلوا الدنيا في موضعها، كجناح بعوضة كما قال النبي ﷺ، بل لا تساوي ذلك، قال ﷺ: «**لوْ كانتِ الدُّنْيا تعْدِلُ عِنْد اللّهِ جَنَاحَ بعُوضةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَة مَاءٍ**»(١)، لو كانت تساوي جناح بعوضة.. لما ليس فقط أخذ الكفار هذه الأموال الهائلة وأنواع الرفاهية والسلطان والملك والأرض، بل لو كانت تساوي الدنيا جناح بعوضة لما أعطى الله الكافر منها شربة ماء فقط، فضلاً عما زاد على ذلك، لكن لأجل أنها أدنى من ذلك عنده ﷻ أعطاهم إياهم، ولولا هوان الدنيا على الله لما أبقى فيها إبليس طول بقائها: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾. فلهوان الدنيا على الله ﷻ مد في عمر إبليس مدة بقاء الدنيا إلى يوم القيامة إلى يوم يبعثون، يظل إبليس حيًّا إلى يوم القيامة، فهذا دليل على هوان الدنيا عند الله ﷻ، فتعظيم الدنيا حتى يقترح الإنسان في الدعوة إلى الله ﷻ أنه لا بد أن يكون الداعي إلى الله في مهنة معينة ووظيفة معينة وهيئة معينة، ولا ينظر إلى الكلام، إذا كان الناس في هيئة معينة قُبل كلامهم، وإذا لم يأتوا في هذه الهيئة أو أتوا في هيئة رثة أو نحو ذلك، لم يقبل كلامهم، وقالوا: لولا قال هذا الكلام رجل من الناس كبير! فهم يقبلون إذا كان القائل كبيرًا، ويردون الحق إذا كان القائل به ليس من العظماء في ظنهم، وهذا الذي أدى بفرعون إلى الكفر والهلاك - والعياذ بالله -: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾. انظر كان يقارن بين نفسه وبين موسى عليه السلام! ولم يلتفت إلى ما

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٠٦).

أعطى الله موسى عليه السلام من الصفات العظيمة وإلى ما ابتلي به فرعون في نفسه من الصفات المنكرة القبيحة، التي تؤهله لمنازل الكافرين في الدركات السفلى في النار، والعياذ بالله، لم ينتبه إلى ذلك، كان حسده إلى موسى ظاهرًا جليًّا، كان يرى أنه لو نزل كتاب أو كانت رسالة، لكانت ينبغي أن تنزل عليه هو! وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾. فكان تكبرهم بزعمهم أنه لو كان الإسلام خيرًا لكنا نحن أسبق إليه؛ لأننا نحن أولى بالخير، فإذ لم نسبق إليه فليس بخير! يجعلون الحكم على الدنيا، على أنهم أهل رياسة وملك، طالما كان من أهل المال وأهل الملك فهذا هو الذي يعرف به الحق من الباطل عند هؤلاء القوم، والعياذ بالله؛ لعظمة الدنيا في قلوبهم؛ لذلك قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾، نعوذ بالله.

وهذا أيضًا مذكور في كل من يعظم الدنيا، كما قال سبحانه وتعالى في قصة صاحب الجنتين الذي قال لصاحبه وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾، فهو مفتخر بماله، معظم لنفسه من أجل المال، نعوذ بالله من ذلك.

وكما قال سبحانه وتعالى عنه فيما قال لصاحبه وهو يحاوره: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾. أيضًا، تحكم على الله، فعظمت الدنيا في قلبه، قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾، بالمال يشتري في ظنه الجنة! أن المال مقتضٍ لكي يدخل الجنة؛ لأنه عظيم، وكما قال سبحانه وتعالى عن الإنسان المبتلى المفتون: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، أنه طالما كان في الدنيا مكرمًا، يعني: ذا مال، ولم ينظر إلى أن الكرامة في طاعة الله، وإنما

الكرامة في أنه ربنا أكرمه، يعني: أعطاه من الدنيا، أعطاه منزلة أو مالاً، والعياذ بالله، فيقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ﴾ نعوذ بالله، وكما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ﴾، فأدى به ذلك إلى أن يتكبر على شرع الله سبحانه وتعالى، ويتكبر على نبيه موسى عليه السلام، فهذه المسألة مرض خطير عند أكثر أهل الدنيا، من شر فتنة الغنى التي تقع للناس ومن شر فتنة الملك أن يُعظّم الإنسان الدنيا، وأيضًا من شر فتنة الفقر، من أشر الفتن في الفقر أن يرى نفسه مهانًا لأجل أن الدنيا ليست في يده؛ ولأن الله عز وجل لم يعطه منها إلا اليسير: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ﴾. فهذا الميزان ميزان باطل، تعظيم الدنيا في القلوب خطر عظيم، هو من ميراث أهل الجاهلية، إنما نعظم ما عظمه الله، ونحقر ما حقره الله، وما صغره سبحانه وتعالى وإن كان عند الناس عظيمًا؛ ولذلك لا نزن الحق بالرجال، ولكن نزن الرجال بالحق، لا نزن الحق أو الباطل بمن قاله، نقول: هل قال هذا القول فلان أو فلان أو فلان؟. فإذا كانوا قد قالوه فهو الحق، وآخرون يرون أنهم طالما ليسوا من أهل الدنيا فليس بحق، لا، بل نعلم الحق ونزن به الرجال، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأمر مبني على موافقة الشرع، لا على حصول منصب دنيوي أو حصول تعظيم عند الناس بشيء من الدنيا.

الْمسْألةُ الْمِائةُ: التّحكُّمُ عَلَى اللَّهِ، كَمَا فِي الآيَةِ السّابِقةِ.

الشـــرح:

التحكم على الله والاقتراح على الله، وأنه كان ينبغي أن يحدث كذا . . وكان لا ينبغي أن يحدث كذا . . . يضعون أنفسهم في موضع الربوبية، يختارون الرسل وما كان ينبغي أن يكون، كما ذكرنا من حال فرعون، وهو أيضًا موجود عند الجهال من بني إسرائيل عندما قالوا لنبي لهم: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ انظر ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾. ما الذي جعلهم يرون أنفسهم أحق بالملك من طالوت رضي الله عنه؟ يرون ذلك لأنهم أكثر مالاً، فهذا الذي ينبغي أن يكون به الملك، لم يلتفتوا إلى العلم، ولم يتلفتوا إلى الجسم، لم يلتفتوا إلى القدرة على الجهاد في البسطة في الجسم، ولم يلتفتوا إلى القدرة على قيادة الأمة وتوجيهها بالبسطة في العلم، فكان عندهم جهالة فيما أهملوا وفيما اعتبروا، هم اعتبروا ما ألغاه الشرع، وألغوا ما اعتبره الشرع: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾، تنافس غير محمود، تنافس مذموم، نحن أحق بالملك منه؛ لأجل أنهم أصحاب أموال، فهذا اعتبار لما ألغاه الشرع؛ وأما الإلغاء لما اعتبره أنهم لم يذكروا العلم، ولم يذكروا

بسطة الجسم التي يُحتاج إليها في الجهاد، والتي هي ضرورية للقائد المجاهد؛ لأنه يُحتاج في المواقف المختلفة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾. فالتحكم على الله أنه كان ينبغي أن يكون كذا، أو أن يكون كذا له صور متعددة، يعني: وقع من أهل الكتاب، ووقع من المشركين، وكثير من الناس المنتسبين إلى الإسلام يقع منهم شيءٌ من ذلك، وأشدهم - والعياذ بالله - هم العلمانيون الذين يعارضون شرع الله، يتحكمون على الله فيما شرع، كان ينبغي أن لا يكون كذا، وكان ينبغي أن يكون كذا، وبعضهم يتجرأ ويقول: هذه الأحكام غير مناسبة لهذا الزمان ولهذه الأمم، وهي فرضت في أزمان ماضية. هذا أحسن أحوالهم، كانت مناسبة في ذلك الزمن؛ أما الآن فلا ينبغي أن يكون الحكم الشرعي كذا، وزاد ضلالهم وجهلهم حتى اخترعوا قوانين من قبل أنفسهم تحكمًا على عباد الله سبحانه وتعالى، وزعموا أنها أولى بالتطبيق والتنفيذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فحدث ما حدث، وكل ذلك نابع من هذه الصفات المنكرة؛ من التحكم على الله عز وجل، من الاقتراح عليه في الأمور القدرية الكونية أو في الأمور الشرعية الدينية، كل ذلك ليس من أخلاق ولا أحوال أهل الإسلام، أهل الإسلام يتقبلون حكم الله بالقبول والتسليم والانقياد التام؛ أما أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين فيتحكمون على الله، يؤثرون أحكامهم في الأمور الكونية القدرية وفي الأمور الشرعية، حتى قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. يتحكمون ويطلبون أن الرسالة كانت تنبغي أن تكون لغير محمد ﷺ، وكل ذلك من الضلال المبين.

الْمسْألةُ الْحادِيةُ بعْد الْمِائةِ: ازْدِراءُ الفُقراءِ، فَأَتَاهُمْ بِقوْلِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

الـشـــرح:

هذه المسألة نابعة من التي قبلها، والتي قبلها من عظمة الدنيا في القلوب؛ ولذلك كان هذا التحقير للفقراء لأجل أن الدنيا عظيمة عندهم؛ فلذلك احتقروا الفقراء، كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، وقال ﷻ عنهم أنهم قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾. فهذا النظر إلى الناس باعتبار مالهم هو راجع إلى الافتخار بالصنائع، إلى عظمة الدنيا في القلوب، إلى التحكم على الله ﷻ، يقول المشركون عن المسلمين المؤمنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾، أي: منّ عليهم بالإيمان، أنتم تقولون هؤلاء المؤمنون هم أعلى الناس قدرًا، فهؤلاء لأجل فقرهم ومهنهم وأن بعضهم من العبيد يكونون أعلى منا! هذا ظن الكافرين، والعياذ بالله، فتنوا بحالهم ومالهم وسلطانهم، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ هذه الآيات - في موضعين - ناهيًا إياه عن طرد المؤمنين؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ لست الذي تحاسبهم، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾، لست مسئولاً عن هداية الخلق، حتى تطلب الثواب من أحد دون الله ﷻ، فإذا كنت تطلب الأجر من الناس في الدنيا، فعند ذلك لن يعطيك

الفقراء أجرك فتطردهم بحثًا عن طلب الأجر من الأغنياء، لو فعلت ذلك فأنت من الظالمين، أنت حسابك على الله، لا تأخذ شيئًا من الناس، الفقراء لن يستطيعوا أن يعطوك، والأغنياء هم الذين يستطيعون أن يعطوك، فإذا فعلت هذا الذي يطلبه الأغنياء من طرد الفقراء كنت من الظالمين؛ لأن هذا خلاف ما وعده الله ﷻ من أن حسابه على الله، ليس يأخذ من الناس أجرًا، والداعي إلى الله لابد أن يكون كذلك، لا يأخذ من الناس أجرًا، فلا يشترط أهل الدنيا طرد الضعفاء وطرد الفقراء، حتى يجلسوا هم إلى الداعي، وهذا أمر موجود، تجد كثيرًا من الناس يقول: أنا لا أحضر الدروس؛ لأن المستوى الاجتماعي لمن يحضرها ليس جيدًا، وهناك من يسمي نفسه ويقول: إنه فقيه الأغنياء أو مفتي الأغنياء؛ لأنه إنما يحدث طبقات معينة من الناس؛ لأن هؤلاء الأغنياء لا يريدون أن يجلسوا مع إخوانهم الفقراء في مكان واحد، وإنما يريدون التزامًا يناسبهم أو فتاوى أو دينًا على قدر وجاهتهم، وحتى دخل هذا الأمر إلى عبادات من العبادات، حتى في الحج وأيضًا في بعض المساجد، فتجد تهيئة معينة لعلية القوم كما يزعمون، وهذا من الخطر العظيم؛ لأن ازدراء عباد الله وتحقير المؤمنين هو من أعظم الشر، قال النبي ﷺ: «**بِحسْبِ امْرِىءٍ مِن الشّرّ أنْ يحْقِر أخاهُ الْمُسْلِم، كُلّ الْمُسْلِم على الْمُسْلِم حرامٌ، دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ**»[1]، فلا يجوز للمسلم أن يحتقر أخاه، وخصوصًا الدعاة إلى الله ﷻ، إياهم أن ينظروا نظرة نقص إلى الفقراء أو رغبة في البعد عنهم، فإن هذا علامة على الفساد والظلم الذي يكون في أخلاق هؤلاء الذين اختاروا صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بل الفقراء دائمًا هم أكثر الناس قبولاً للخير، كما قال هرقل لما سأل أبو سفيان: «**وسألْتُك: أشْرافُ النّاسِ يتّبِعُونهُ أمْ ضُعفاؤُهُمْ؟ فزعمْت أنّ ضُعفاءهُمِ اتّبعُوهُ، وهُمْ أتْباعُ الرُّسُلِ**»(١).

وكم قال النبي ﷺ: «**اطّلعْتُ فِي الجنّةِ فرأيْتُ أكْثر أهْلِها الفُقراء**»(٢)، فهذا يدل على منزلة الفقراء المؤمنين عند الله ﷻ، ومدحهم الله ﷻ في مواطن من كتابه، فكيف إذًا يحتقرهم إنسان؟! قال النبي ﷺ: «**بِحسْبِ امْرِىءٍ مِن الشّرّ أنْ يحْقِر أخاهُ الْمُسْلِم، كُلّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حرامٌ، دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ**»(٣) فازدراء الفقراء من هذا الباب خطير، ولا يسمح بأن يدخل في الدعوة إلى الله، إذا دخل ازدراء الفقراء في الدعوة إلى الله أفسدها، إذا سمحنا بأن يقسم الناس إلى منازل بناء على الغنى والفقر، فيقدم أصحاب الأموال وأصحاب القصور وأصحاب الولائم في الدعوة من أجل ما معهم من أموال، ويهمل الفقراء والمستضعفين؛ لكان هذا نذير خطر عظيم، بل نذير هدم هذه الدعوة، وليعلم الداعي أن حسابه على الله، الناس لا يعطونه شيئًا، إنما يقبل على الأغنياء دون الفقراء من كان يريد شيئًا من الدنيا، من كان يريد شيئا من دنيا الأغنياء، فهو يرى أن حسابه عليهم، يريد أن ينال منهم منصبًا أو جاهًا أو مالاً، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، فهو ليس يرى نفسه في مقام النبي ﷺ وارثًا هذا المقام عنه في أنه ليس له عند الناس شيء يريد أخذه منهم، وأنه يُعلِّمهم مجانًا كما عُلِّم مجانًا، ولم يطلب من الناس أجرًا.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٣) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

فإذا رأى نفسه يريد أن يأخذ من الناس وأن يأخذ من دنياهم، فليس هو في مقام ورثة النبي ﷺ أو ورثة الأنبياء، ورثة الأنبياء يرون أنفسهم: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، نحن إنما نأخذ أجرنا من الله، لا نطلب شيئًا من عند غيره، وأجر الفقراء أيضًا عند الله ﷻ لسنا الذين نوزع جنة ولا نارًا، الله ﷻ هو الذي كما قسم الأرزاق في الدنيا، فكذلك هو يُنزل منازل يوم القيامة.

أما من يوزع أرزاق الآخرة؛ أن فلانًا في رحاب الله، أن فلانًا مغفور له، أن فلانًا له المنازل العظيمة، وأنه الشيخ الكبير والإمام العظيم، والأمير العادل، لماذا؟ لأجل أنه له مالٌ أو أن له سلطانًا أو أن له وظيفة، فهذا يوزع الآخرة من عند نفسه، ويجعل المنازل من عند نفسه لا على شرع الله ﷻ، هذا لم يجعل نفسه في مقام الأنبياء، الذين حالهم ما وصف الله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فإذا جعل نفسه في هذا المقام، في مقام أنه لا يطلب من الناس شيئًا، وإنما حسابه على الله، وحساب الناس أيضًا هو عند الله ﷻ، حسابه على الله وحساب الناس على الله ﷻ، فعند ذلك سيزول من ذهنه تعظيم الأغنياء وازدراء الفقراء؛ لأن الأمر بيد الله ﷻ والأمور كلها من عنده.

وأهل الملك والسلطان والأغنياء قد يعطون من يفتيهم على أهوائهم، فيعطون من يوافقهم في الفتاوى الباطلة، يعطونه مراكز وأموالاً وقصورًا، وشهرة وجاها ومنزلة، ونسأل الله العافية، هذا الذي يطلب منهم هو الذي

يجُرُّ على نفسه الفساد، ويحكم على نفسه بأنه ليس من ورثة الأنبياء، نسأل الله العافية.

الذي يغير الدين من أجل شيء من الدنيا - والعياذ بالله - هو من جنس الأحبار والرهبان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل؛ لأنهم لم يقيموا أنفسهم في مقام: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، قضية عظيمة الأهمية والله.

الْمسْألةُ الثّانِيةُ بعْد الْمِائةِ: رمْيُهُمْ أتْباع الرُّسُلِ بِعَدَمِ الإِخْلاصِ، وَطَلَبِ الدُّنْيا، فَأَجَابهُمْ بِقوْلِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢]، **وَأَمْثَالُهَا.**

الشـــرح:

يقولون: هؤلاء الفقراء يريدون أن يتعززوا بك، يقولون: هؤلاء الملتزمون إنما التزموا لأجل أن الالتزام يعوض النقص الذي عندهم، حتى يثق الناس فيهم فيعطونهم الأموال، وحتى هذه الفتاة التي تحجبت، تحجبت حتى تداري قبح هيئتها؛ لأنها لا تستطيع أن تشتري الملابس الغالية، وأدوات التجميل المناسبة؛ لكي تتبرج كما تبرجت الأخريات، والعياذ بالله. يتهمون الفقراء ويتهمون أتباع الرسل بأنهم ما اتبعوا الرسل إلا لينالوا حظًا من الدنيا، يرفعوا به خسيستهم، والعياذ بالله، بل اتهموا الرسل بذلك الكفار اتهموا الرسل: بأنكم إنما تريدون أن تتفضلوا علينا، كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾، وفي الحقيقة هذا مرضهم هم، فهم يستحلون لأنفسهم أن يطلبوا الكبرياء في الأرض، ويقول فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾... عجبًا! هو الذي يدّعي أن موسى تُهْمته أنه يريد الرئاسة، وأنه يريد أن يأخذ منه هذا الملك، ويقولون: هؤلاء يريدون الرئاسة، هؤلاء يريدون أن يترأسوا على

الناس. وماذا تصنعون أنتم وأبناؤكم وأحفادكم وإخوانكم وأشباهكم؟! أنتم تتمسكون بها غاية التمسك، فلماذا جعلتموها تهمة؟! إذا كانت تهمة فأنتم أولى الناس بها؛ وكما قال قوم نوح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ فلماذا أنتم تتفضلون على الفقراء وتقولون: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، وقالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾. لماذا تتفضلون عليهم؟! أليست هذه تهمة؟!

فكذلك هم يقولون عن الفقراء، عن أتباع الرسل أنهم لا يريدون وجه الله ﷻ، وأقسموا كذلك: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾. من أين أقسمتم أن هؤلاء ليسوا مخلصين في اتباع الدين، إنما هم أهل طلب رئاسة وأهل دنيا؟! وسبحان الله! تهمة متكررة عبر العصور من أهل الجاهلية لأهل الإيمان وأتباع الرسل وأتباع السنة وأتباع الدين الحق، يتهمونهم في نياتهم، الله أعلم بالنيات، يقولون: أنتم تريدون الشهرة؛ لأجل ذلك فعلتم ما فعلتم من مخالفة الناس، أنتم تريدون الأموال، حتى يقولوا عنكم متدينين فيعطونكم الأموال ويثقون فيكم ونحو ذلك، وأنتم تأخذون أموال الناس تأكلونها بالباطل، وأنتم الذين تأكلون الحرام بالليل والنهار، وتمصون دماء الشعوب، وتأخذون حقوقهم. ومع ذلك يتهمون المسلمين وأهل الإيمان وأهل الالتزام وأهل الدين، بهذه التُّهم العجيبة!

فكان طلبهم أن يطرد هؤلاء الفقراء، لماذا؟ لأنهم ليسوا مخلصين! أأنتم مخلصون إذًا؟! أأنتم تريدون وجه الله ﷻ؟!

مدح الله المؤمنين بأن وصفهم بأنهم يريدون وجهه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، وقال في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَعْدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، هذه صفات الكافرين، صفات المؤمنين أن مدحهم الله بأنهم يريدون وجه الله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ وقال في سورة الأنعام: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

فسبحان الله! موازين الجاهلية واحدة عبر العصور، ونسأل الله ﷻ أن يعيذنا من الجاهلية ومن أهلها وأصحابها.

الْمسْألةُ الثّالِثةُ بعْد الْمِائةِ: الْكُفْرُ بالْملائِكةِ.

الشـــرح:

أنواع الكفر بالملائكة متعددة تعرف بمطالعة ما ذكره الله عن المشركين، ومطالعة ما تكلم به الكفار من الأنواع المختلفة، والملائكة مخلوقات من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(١)]، خلقهم الله عَزَّ وَجَلَّ من النور؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُلِقتِ الْملائِكةُ مِنْ نُورٍ، وخُلِق الْجانُّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ، وخُلِق آدمُ مِمّا وُصِف لكُمْ**»[(٢)]، أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أي: خلق من الطين من الحمأ المسنون، فالملائكة مخلوقات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بصفات عظيمة، فقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. فكان من عقائد المشركين أنهم جعلوا بين الله وبين الجِنة نسبًا، فقالوا:

---

(١) الملائكة في اللغة: جمع لـ(مَلأَك)، و(ملأك) قال العلماء: إنها مقلوبة من (مَأْلَك)، وأصل (مألك) مصدر فيه معنى (الألوكة)، وهي الرسالة، فمادة (ألك) في الرسالة، و(أَلَكَ فلانًا بكذا) يعني: أرسله بكذا، فمادة الملائكة وألك والألوكة كلها في الرسالة. انظر: مادة: (أ ل ك) في النهاية في غريب الأثر (١/ ٦١)، ولسان العرب (١/ ٥٣٥)، (١٠/ ٣٩٣)، وتاج العروس (٢٧/ ٤٨)، ومادة (لأك) في لسان العرب (١٠/ ٤٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

تزوج الله من الجن، فأنجب الملائكة الذين هم بنات الله، فهذا قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وقال ﷻ عن عقائد المشركين: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾. فتبين بذلك أن هذا من كفرهم بالملائكة أنهم جعلوهم بنات لله، وعبدوهم من دون الله، عبدوهم مع الله ﷻ حين اشتقوا الأسماء المؤنثة من أسماء الله ﷻ وسموا بها أنصابهم، التي هي عندهم رموز للملائكة، قال الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾. فكانت عقائد المشركين فيما يتعلق بالملائكة أنهم اتخذوهم أربابًا وآلهة من دون الله، وزعموا أنهم بنات لله ﷻ، ويشابههم في الكفر النصارى الذين قالوا عن الروح القدس: إنه إله مسجود له، معبود وممجد، وقالوا عنه: إنه الأقنوم الثالث الذي انبثق من الآب. وجعلوا الثلاثة - أقنوم الآب والابن والروح القدس - شيئًا واحدًا وإلهًا واحدًا، كذبوا وأشركوا بالله ﷻ بذلك، وكفروا بالملائكة حيث وصفوهم بغير ما وصفهم الله ﷻ به، وبغير الحق الذي جاءت به الرسل، فالروح القدس ملك من ملائكة الله

هو جبريل عليه السلام روح الطهر، منسوب إلى القدس وهو الطهر أو منسوب إلى الله عز وجل، فهو الروح المنسوب إلى الله تشريفًا، كما قال: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ فهو منسوب إلى الله، فهو روح الله، ليس أنه حياة أو صفة من صفاته أوصورة من صوره، بل هذا من الكفر بالملائكة كما أنه من الكفر بالله، بل الروح القدس روح نسبت إلى الله تشريفًا وتكريمًا، فهذا من أنواع الكفر، وقد قال عز وجل: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾، فمن اتخذ الملائكة أو النبيين أربابا فقد كفر، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾، نزلت في عيسى وعزير والملائكة، ونزلت أيضًا في الجن الذين أسلموا[1]، في كل من عبد من دون الله وهو لا يرضى بذلك، بل هو يعبد الله سبحانه وتعالى، واعتقد المشركون لهؤلاء الأنداد، الذين سموهم بأسماء مؤنثة من أسماء الله على أنها الملائكة، اعتقدوا لها الشفاعة الشركية؛ ولذا أبطل الله عز وجل اعتقادهم ذلك في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾، لا يعملون عملاً حتى يأمرهم الله، وحتى يسمعوا قوله لهم سبحانه وتعالى أو يعرفوا قوله لهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، فهم لا يعملون أبدًا بخلاف شرع الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم لا يسبقون ربهم بالقول، لايعملون عملاً قبل أن يأمرهم، وإذا أمرهم نفذوا، وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، فهو يعلم

(١) راجع (١/ ٣٩).

كل شيء عنهم ﷻ ويملكه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾: وهذه كقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾، فهي تبين أنهم لا يشفعون أصلاً إلا لمن ارتضاه الله، فلا شفاعة تنفع إلا شفاعة في أهل التوحيد والإيمان، لا في أهل الشرك والكفران.

وهذا كله يدل على فساد عقيدة المشركين، ولو زعموا أنهم يحبون الملائكة أو يعظمونهم، طالما قالوا عنهم خلاف الحق، وكذبوا ما جاءت به الرسل عن الملائكة عليهم السلام، وجعلوهم أربابًا وأندادًا من دون الله ﷻ، فكل هذا داخل في الكفر، كفر النصارى حين ألّهُوا الروح القدس وكفر المشركين من عباد الأوثان حين ألّهُوا الملائكة، وكفر اليهود كان أغلظ، كان غليظًا، كان كفرًا عظيمًا، وذلك بكراهيتهم للملائكة ومعادتهم لهم، وإن صدقوا بوجودهم، وإن لم يتخذوهم آلهة، ولكن معاداة الملائكة من الكفر، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾. فكفر اليهود كان بسبب أنهم أبغضوا جبريل عليه السلام، وكرهوا ما يأتي به من قبل الله ﷻ، جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فسألوه عن أسئلة لا يعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان، وهما الرجل والرجلان، لا يعلم هذه الأسئلة بعدهما إلا نبي، فأجابهم النبي ﷺ بما أرادوا[1]، فقالوا: نشهد أنك نبي. فمن

(١) أخرجه مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وفيه: «... **وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ** =

يأتيك من الملائكة؟ فقال: جبريل عليه السلام. فقالا: ذاك عدوك من الملائكة، لو كان ميكائيل لاتبعناك، إنه ملك يأتي بالعذاب والخسف، وغير ذلك[١].

فكفروا بجبريل عليه السلام وكفروا بالرسول ﷺ إذ أبوا متابعته، فإن كراهية الحق وبغضه تقتضي الكفر ويحصل بها الكفر، وإن كان الإنسان مصدقًا، فإنهم أبغضوا الرسول ﷺ وأبغضوا جبريل عليه السلام، وأبغضوا القرآن الوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، فكفروا بذلك، وخصوصًا حينما صرحوا بذلك بألسنتهم فكفروا بقلوبهم وألسنتهم حين عادوا جبريل عليه السلام وحين عادوا محمدًا ﷺ، فحصل منهم الكفر بالملائكة والكفر بالرسل صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، ومن عادى ملكًا من الملائكة، فقد عادى الذي أرسلهم بأمره سبحانه وتعالى كما أن من كذب رسولاً واحدًا أو عاداه، فقد كذب المرسلين، وكذب المرسِل سبحانه وعاداه سبحانه وتعالى.

ومن صور الكفر أو من أنواع الكفر بالملائكة، وإن كان الفلاسفة لا يثبتون وجود الملائكة في حقيقة الأمر، ولا يدينون بما قالت به الرسل، وإن كان هناك ممن انتسب إلى الإسلام، ممن يعتقد عقيدة الفلاسفة، ممن حاول أن يصبغ عقيدته بالأسماء الإسلامية التي وردت في الكتاب والسنة،

= لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ. قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ».

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٨٣)، وابن كثير (١/ ٣٣٥)، والقرطبي (٢/ ٣٦).

مع بقاء العقيدة الباطلة على ما هي عليه، فكان هذا أيضًا من الكفر بالملائكة، إذ هو في الحقيقة إنكار وجودهم وحقيقتهم، في زماننا صار الملحدون ينكرون وجود الملائكة أصلا؛ لأنهم ينكرون ما وراء الطبيعة بالكلية، يعنون بالطبيعة الأمر المحسوس المشاهد، كما أنهم يعرفون كم من أمور لا يعرفونها ولا يشاهدونها ولا يدركونها بالحواس المعروفة ويقرون بأنه لابد أن يوجد شيء من ذلك.

فقد اتسعت معارف الإنسان، حتى صار يدرك أن ما يعرفه عن الكون كل ما يراه لا يتجاوز واحدًا بالمائة من حقيقته في الاتساع، مع أن هذا الواحد في المائة وهو القدر الهائل المشاهد هو فوق طاقة الإنسان أن يعرف عنه شيئًا في الحقيقة إلا أنه شيء موجود، فهذه المجرات الهائلة ما علم الناس عنها، وكم فيها من نجوم وكواكب وسيارات وثوابت، وهذا المشاهد كله الذي هو ملايين المجرات هو واحد بالمائة من الكون على قولهم، وعلى ما علموا من الدراسات، التي تدل على أن هناك شيء غائب لا نعرفه، فكيف يتجرأ إنسان بعد ذلك على الإنكار ويقول: لا شيء اسمه الملائكة؟! هل فتشت في الكون كله، حتى تدرك أنه لا يوجد شيء اسمه الملائكة؟! العقل إن لم يدلك على وجودهم بصدق الرسل، الذين أخبروا بوجودهم، وبالآثار التي تدل عليهم، وبكرامات الصالحين، الذين شاهدوا هؤلاء الملائكة وظهرت لهم عيانًا، نقول: العقل إن لم يدل على وجودهم فأقل أحواله أن يجهل ويقول: أنا لا أدري ولا أعلم؛ أما أن يجزم بالنفي فهذا كله من الضلال؛ أما في الزمن الماضي فقد كان الفلاسفة لا يتبجحون بالمخالفة والإنكار علنا، وإنما يقولون إن الوجود المطلق -الوجود الذي يسمونه (الوجود الواجب)-

الذي هو في الحقيقة منزه عن الاسم والصفة والذات والفعل والإرادة وأي شيء، وإنما هو وجود مجرد، الوجود المجرد هذا الذي يسمونه (واجب الوجود)، الذي حاول المنتسبين منهم إلى الإسلام أن يقول هذا هو الله عند المسلمين، وليس بشيء؛ لأنهم لا يثبتون ذاتًا لله ﷻ ولا اسمًا ولا صفة ولا فعلاً، ولا كلامًا ولا أمرًا ولا نهيًا ولا تشريعًا، وإنما وجود مطلق، ليس هذا هو الإله عند المسلمين بالقطع واليقين.

هم يقولون: هذا الوجود القديم الأزلي قد فاض منه أزلاً أيضًا، مثل ما يفيض من الشمس من ضوئها عدة فيوضات؛ أولها: العقل الكلي، أو العقل الفعال، وهذا الذي زعم المنتسبون إلى الإسلام منهم - كابن سينا - أنه الروح القدس، وزعموا أن الوحي هو الانكشاف أو زوال الحجب ما بين العقل الكلي أو العقل الفعال وما بين عقل النبي الجزئي، والأنبياء أذكياء فتزال عنهم الحجب، فعندهم أن النبوة مكتسبة، وهذا كله من الكفر بالملائكة في حقيقة الأمر، وزعموا أن الملائكة بعد ذلك هي العقول العشرة التي فاضت من العقل الكلي، كل هذا من ضلالات الفلاسفة وكفرهم بالملائكة في حقيقة الأمر، فتسمية من انتسب إلى الإسلام - والإسلام من كلامهم بريء - من انتسب إلى الإسلام منهم كالفارابي وابن سينا وأمثالهم - هذه العقائد الفاسدة أنها هي الملائكة أو ما يسمونهم العقول العشرة أو نحو ذلك هي الملائكة، كلام باطل وكذب وزور، وكذا تجد عند أهل السحر والخيالات والخزعبلات والخرافات من ذلك ما يسمونه بتحضير الأرواح، وربما زعموا أن الملائكة هي التي تحضر عندهم، وإنما تأتيهم الشياطين، والعياذ بالله، ويزعمون أن الأرواح الطيبة يستطيعون أن يسخروها وأن

يستخدموها - والعياذ بالله - في أمورهم. وكل هذا من الضلال المبين، فالملائكة ليست مسخرة لأحد من هؤلاء، والملائكة إنما هي في طاعة الله ﷻ وامتثال أوامره، ولم يخبرنا ربنا ﷻ ولا رسوله ﷺ قط أن الملائكة تسخر لأحد أو تستخدم لأحد، وإنما أقصى ما ورد في ذلك أن البشر يمكن أن يروا الملائكة، كما ثبت في الصحيح: «**كان رجُلٌ يقْرأُ سُورة الكهْفِ، وإِلى جانِبِهِ حِصانٌ مرْبُوطٌ بِشطنيْنِ، فتغشّتْهُ سحابةٌ، فجعلتْ تدْنُو وتدْنُو وجعل فرسُهُ ينْفِرُ، فلمّا أصْبح أتى النّبِيّ ﷺ فذكر ذلِك لهُ فقال: تِلْك السّكِينةُ تنزّلتْ بِالقُرْآنِ**»[1].

وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم جبريل عليه السلام في صورة رجل أعرابي جاء يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان[2]، ورأى كثير منهم جبريل عليه السلام أيضًا في صورة دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه الذي كان كثيرًا ما يأتي جبريل عليه السلام في صورته[3]، فالمقصود أن البشر يمكن أن يروا الملائكة، لكن لا يجوز أن يعتقد أحد أن الملائكة مسخرة لخدمة أحد، أو أن أحدًا يمكنه أن يسخر الملائكة، فكل هذه من بقايا الفلسفة الخبيثة، ومن بقايا خزعبلات

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث جبريل عليه السلام، سبق تخريجه (١/ ٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١) من حديث سلمان رضي الله عنه: «**قَالَ: وَأُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، أَتَى نَبِيَّ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - يُخْبِرُ خَبَرَنَا**». وانظر: ما أخرجه النسائي في المجتبى (٨/ ١٠١)، وفي الكبرى (٦/ ٥٢٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢١٠)، والبزار في مسنده (٩/ ٤١٩) من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.

أهل الكتاب وخرافاتهم التي هي في حقيقة الأمر كفر بالملائكة، ومخالفة ما جاءت به الرسل عن الملائكة الكرام كفر على أحواله المختلفة، فمن يعتقد أن الملائكة تعصي الله ﷻ، وتفسد في الأرض، وتعمل بالسحر ونحو ذلك فهذا مخالف لما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليم أجمعين؛ وأما ما ذكر الله ﷻ عن الملكين ببابل هاروت وماروت، وتعليمهم للسحر، فهذا ابتلاء ابتلى الله به عباده، ولا ندري حقيقة قصتهما إلا أنهما ببابل على قراءة الجمهور: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾، وإلا فالقراءة الأخرى: (على الملِكين). وقد اختلف العلماء في ذلك اختلافًا كثيرًا[1]، إلا أن ظاهر قراءتنا أنهما ملكان ببابل يعلمان الناس أشياء من جنس السحر بعد تحذيره، وقد ذكر الله أنهما فتنة، فهما ابتلاء ابتلى الله به عباده، لا يتعلم أحد منهم إلا بعد أن يحذروه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فتعلم ذلك من الكفر، تعلم هذا السحر من الكفر، فليست الملائكة في مجموعها وجملتها بمن يفعل السحر أو يحضر عند وجوده أو نحو ذلك، كما يظن من يحضرون الأرواح أو يسمون ذلك، وغالب الظن أنه تحضر الشياطين هذه المجالس المليئة بالمنكرات، التي يجب على المسلمين التحذير والحذر منها، فهذا ضمن الكفر بالملائكة، وقد تسربت عقائد الكفر إلى بعض المنتسبين إلى الإسلام كما ذكرنا في أمر الفلاسفة والمتصوفة، فكثير من المتصوفة يعتقدون عقائد الفلاسفة في الملائكة، وكثير ممن يقول بوحدة الوجود من المتصوفة يعتقدون نفس اعتقاد النصارى، ولكن في عموم الكون، في الملائكة،

(١) راجع (١/ ٢٤٥).

النصارى يعتقدون أن الروح القدس أقنوم من أقانيم الرب، صورة من صوره، فهؤلاء من ضمن اعتقادهم ذلك، وفرق الرافضة عندهم من ذلك كثير، وهناك من المتصوفة الفلسفية من يقولون بأنهم يوحى إليهم إذا كان عندهم من الذكاء وصفاء النفس ونحو هذا، والعجب أن بعض من كان مقدمًا ممن تكلم في التهذيب والسلوك قد وقع في شيء من ذلك، كما قال الإمام أبو بكر بن العربي عن الشيخ أبي حامد الغزالي: «**إن أبا حامد دخل في بطن الفلسفة فلم يستطع أن يخرج منها**»، وتجد آثار ذلك في تفسير أبي حامد - غفر الله له - لقصة الخضر وموسى، فهو يتكلم بالكلام الفلسفي العجيب، الذي ما دل عليه شيء من الكتاب أو السنة، فهو يقول: إن العقل الكلي هو جبريل، وإن الوحي إلى الأنبياء هو زوال الحجب بين العقل الكلي والعقل الجزئي، عقل الرسول، وأن النفس الكلي هو اللوح المحفوظ، فهو الفيض الثاني بعد العقل الكلي عند الفلاسفة، إن أول فيض حدث هو العقل الكلي ثم بعد ذلك النفس الكلي، وفاض من العقل الكلي عشرة عقول، وفاض من النفس الكلي تسعة نفوس، ثم نفوس كثيرة بعد ذلك إلى أن صارت النفوس الجزئية، نفوس البشر، فهو يقول: إن الإلهام والكشف، الذي كان الخضر قد أُعْطِيهُ هو، هذا الوحي إلى غير الأنبياء بزوال الحجب بين النفس الكلي وبين النفس الجزئي، التي هي نفس الولي، وبهذا هذا الولي تنطق نفسه عن اللوح المحفوظ، وهذا - والعياذ بالله - من الضلال المبين.

ولذلك تجد عند هؤلاء أن الأولياء عندهم من علم الغيب والاطلاع على اللوح المحفوظ وعلى كل ما في الغيوب، ما لا يوجد عند غيرهم، بل بعضهم زاد الأمر حتى جعل الأولياء أفضل من الأنبياء، والرافضة عندهم

من ذلك نسبة (**علم الجفر**)[١]، وهو علم يدعون فيه علم الغيب لأئمتهم، ويزعمون أنهم كذلك يعلمون كل ما في الوجود، وكل الغيبيات يطلعون عليها، نعوذ بالله من الضلال، كل هذا من الكفر بالملائكة، ونعوذ بالله، بعض ذلك من الكفر البواح الذي لا خفاء فيه، وبعضه مما يلزم منه الكفر، أو مما قد يخفى على البعض، فيحتاج إلى إقامة الحجة إذا كان قد خفي على أناس من أهل العلم والفقه في الدين، فعلى غيرهم يكون أخفى، ومن يعتقد أن الملائكة تساعد الله ﷻ على تدبير الكون هو كذلك من اتخاذ الملائكة أربابًا، فالملائكة إنما الله ﷻ أعطاهم القوة والقدرة، وليس أنهم هم الذين يعاونون الله، الله ﷻ مستغن عن الخلق جميعًا، وهو سبحانه وتعالى له القوة جميعًا، وله الأمر جميعًا سبحانه وتعالى، وإنما هو الذي أقدر الملائكة وأعطاهم العلم والقوة والقدرة، وهم لا علم إلا ما علمهم الله، ولا قوة لهم إلا ما قواهم الله سبحانه وتعالى

المقصود مما ذكرنا أن هناك من عقائد الكفر وعقائد الفلاسفة فيما يتعلق بالملائكة ما تسرب إلى بعض الفرق الإسلامية المنحرفة، فوقع ذلك فوجب الحذر منه، ووجب تصحيح الاعتقاد بما جاء به النبي ﷺ في أمر الملائكة بمطالعة أدلة الكتاب والسنة وفهمها على فهم أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم من سلف الأمة، فإن هذا هو الذي يجنب الإنسان الوقوع في هذه المخالفات، والله أعلى وأعلم.

---

(١) راجع (١/ ١٧٨).

الْمسْألةُ الرّابِعةُ بعْد الْمِائةِ: الْكُفْرُ بِالرُّسُلِ.

الشـــرح:

والكفر بالرسل واقع عند عُبّاد الأوثان من المشركين، وواقع عند اليهود وواقع عند النصارى، فالرسول ﷺ خالف هؤلاء جميعًا، فجاء بالإيمان بالرسل كلهم؛ فأما المشركون فكانوا يكذبون الرسل، ويكذبون الرسالة جملة، قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

وذكر الله ﷻ كفرهم كذلك في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، فكان من كفرهم أنهم كفروا بما أوتي موسى قبل أن يأتي ويبعث رسول الله ﷺ، فكذلك اليهود ذكر الله ﷻ عنهم تكذيبهم بالرسل وكفرهم بهم وقتلهم، وكفر اليهود يشمل التكذيب والمعاداة: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فاليهود قتلوا الأنبياء، كذبوا فريقًا منهم وعادوا وقتلوا فريقًا منهم، ومعاداة الأنبياء كفر، وبغضهم كفر، حتى وإن صدقهم، كحُيِيّ بن أخْطب الذي قال

عن النبي ﷺ إنه هو النبي الموعود، وقال بعد ذلك: «**عداوتُهُ واللّهِ ما بقِيتُ**»[١]، فمعاداة الأنبياء ولو صدقهم كفر، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾. وأما النصارى فكذبوا محمدًا ﷺ وكفروا بعيسى عليه السلام أيضًا؛ لأنهم اعتقدوا أنه الإله، وهذا كفر به؛ لأنهم أبوا أن يجعلوه كما جعله الله ﷻ رسولاً، فالكفر في الإفراط وفي التفريط، فمن جعل رسولاً من الرسل إلهًا فقد كفر: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾. إذًا، من قال عن النبي أنه رب أو إله، أو جعل له صفات، أو جعل له حقوق الإله، كهذا الذي تسرب إلى أهل الإسلام أو المنتسبين إلى الإسلام من عقائد الوثنية، ممن يعتقد في الرسول أو في غيره من الرسل أو الأولياء أنه يدبر الكون مع الله أو من دون الله أو أن الله ترك له تدبير الكون، فهذا مما تسرب من عقائد أهل الشرك والكفر، والعياذ بالله.

ومن يعتقد أن الرسول يعلم الغيب، ومن يعتقد أن الرسول يملك الشفاعة وأنه يشفع لكل من كان متوسلاً به أو محبًّا له، حتى ولو كان مشركًا، والعياذ بالله، وهذا كله خلاف ما جاء به النبي ﷺ، من أن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى الله سبحانه.

كما ذكرنا أن من يعتقد أن الملائكة تساعد الله ﷻ، فهذا من ميراث أهل

---

(١) سبق عزوه (١/ ٢٠٥).

الجاهلية، فكذلك من يعتقد أن الرسل تدبر الأمر، وأن الله ملّكهُم أمور الدنيا والآخرة، النصارى يعتقدون ذلك في المسيح فكان كفرًا، ومن المسلمين من يعتقد مثل ذلك في النبي ﷺ، حتى قال شاعرهم[١]:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي منْ أَلُوذُ بِهِ ... سِواك عِنْدَ حُلُولِ الحادِثِ العمِمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مِعَادِي آخِذا بِيدِي ... فضْلا وإِلَّا فقُلْ يَا زلّة الْقَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيا وَضَرَّتها ... وَمِنْ عُلُومِك عِلْمُ اللّوحِ وَالْقَلَمِ

فالدنيا والآخرة عنده من جُودِ النبي ﷺ، كيف ذلك والله ﷻ هو المالك لكل ما في هذا الكون؟! ورسول الله ﷺ يقول لفاطمة بنته رضي الله عنها: «**يَا فَاطِمةُ بِنْتَ مُحمّدٍ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيْئًا**»[٢].

لذلك نقول: من رفع الرسل فوق منزلتهم، فقد كفر، بمعنى: أنه عبدهم من دون الله واتخذهم أربابًا وآلهة، ومن قصّر في حقهم فكذبهم وعاداهم، فقد كفر، فهذا من أنواع الكفر، وتكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وخصوصًا إذا كان خاتمهم، إذا كان الذي يكذبونه هو خاتمهم محمد ﷺ، قال النبي ﷺ: «**والذي نفْسُ مُحمّدٍ بِيدِهِ لا يسْمعُ بي أحدٌ مِنْ هذِهِ الأُمّةِ يهودي ولا نصراني ثُمّ يمُوتُ ولمْ يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاّ كان مِنْ أصْحابِ النّارِ**»[٣]، نعوذ بالله من النار، فأنواع الكفر بالرسل

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٣).

في أهل الكتاب وفي الأميين عباد الأوثان، كانت أنواعًا مختلفة متعددة، ولها ميراث حصل عند أهل البدع والضلال، نسأل الله ﷻ أن يعافينا من ذلك كله.

❊ ❊ ❊

الْمسْألةُ الْخامِسةُ بعْد الْمِائةِ: الْكُفْرُ بالْكُتُبِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

فذكر الله ﷻ عن مشركي قريش أنهم ينكرون إنزال الكتاب أصلاً، ينكرون أن يكون الله ﷻ أنزل أي شيء من الكتب على رسله: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، وكان عامتهم يعتقدون فضيلة اليهود لأجل الكتاب المنزل، وهذا من تناقضهم وتضارب أقوالهم، فهم يرون أن التوراة مُنزلة، ويعظمون أهلها لأجلها، وهم في نفس الوقت يقولون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾؛ ليتوصلوا إلى نفي الوحي إلى رسول الله ﷺ والتكذيب بالقرآن العظيم.

وذكر الله ﷻ أن بني إسرائيل كانوا يكذبون الرسل، ومقتضى ذلك أنهم كفروا بما أنزل الله ﷻ على أنبيائه من الوحي.

ومعلوم أن اليهود يكذبون بالإنجيل وبالمسيح ﷺ، ويكفرون بالقرآن، ويكفرون بمحمد ﷺ، والنصارى يكفرون بالقرآن، ويكفرون بمحمد ﷺ، فتبين بذلك أن أهل الكتاب وأن المشركين كذلك هم يكفرون بكتب الله ﷻ وينكرونها ويكذبون بها، وهذا من الكفر الذي لا خفاء فيه.

وقد قال الله ﷻ مبينًا نوعًا آخر من أنواع الكفر بالكتب في فعل بني

إسرائيل، ولعل هذا أشبه أن يقع فيمن ينتسب إلى الإسلام وفيمن ورث من أهل الجاهلية هذه الخصلة، وهي قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾. فبين الله ﷻ من كفر أهل الكتاب أنهم كانوا يكفرون ببعض الكتاب، وإن أقروا بالبعض الآخر، فكان عدم تطبيقهم لما أنزله الله ﷻ في كتابه، ورؤيتهم أنهم ملتزمون بالدين، رغم عدم التزامهم بالكتاب، وأنهم يظنون أنفسهم قد آمنوا لوجود بعض الإيمان، نقول: قد حكم الله ﷻ عليهم بالكفر، فمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، من عمل ببعض الكتاب وأبى أن يعمل بالبعض، أو جحد البعض، أو بدله وتركه وراءه ظِهْرِيًّا، ورأى أنه يسعه الخروج عن الكتاب، فهذا ليس بمؤمن بالكتاب، وهذا حاصل، فقالوا: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من هذه الأمة، وهذا ميراث خطير في الكفر بالكتب؛ كما قال الله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾. فالله ﷻ وصف طائفة من المنافقين بأنهم يحرفون الكلم من

بعد مواضعه، كما فعل اليهود حين أبوا أن ينفذوا أحكام الله ﷻ، وقد نزلت الآيات فيمن بدل حكم الرجم في التوراة على الزنا، بدله إلى الجلد والتحميم؛ لكثرة الزنا فيهم، فأخبر الله ﷻ أنه سيوجد من هذه الأمة من يتبع على ذلك ويقبله، والعياذ بالله، ويرضى بمثل ما رضي به اليهود من التبديل، وهذا سماه الله تحريفًا للكلم من بعد مواضعه، مع أن الآية نزلت في اليهود إلا أن الله بدأ بذكر الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وذلك أن خطرهم في الأمة أكبر، وهو - كما ذكرنا - نوع من الكفر بالكتاب، وإن ظل اللفظ موجودًا؛ ولأن أحدًا لا يستطيع أن يبدل حروف كلام الله ﷻ في القرآن العظيم، لا يستطيع أن يحرف الكلم، بمعنى: تحريف الكتابة كما وقع في الكتب المتقدمة، وإنما يمكن أن يقع التحريف والكفر بآيات الله ﷻ والكفر بالكتاب مع بقاء اللفظ، ومع بقاء الادعاء بالإيمان بالكتاب.

لذلك نقول: هذا هو الميراث الخطير الذي ورثه أهل البدع والضلال، الذين أبوا تطبيق شرع الله ﷻ، وحكموا بغير ما أنزل الله، واتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، والُوهُم على ما هم عليه، فكان هذا كفرا بالكتاب، وإن تسموا باسم الإيمان، وإن زعموا تعظيم القرآن، وإن زعموا التزامهم بالإسلام، إلا أن هذا الأمر في الحقيقة نوع من الكفر بالكتاب؛ لأن الله قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾، فهذا نوع من الكفر موروث في هذه الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشابهوا من كان قبلهم من اليهود الذين كفروا ببعض الكتاب، ولا شك أن هذا يفتح لنا بيان أبواب خطيرة في هذا الباب، أعني: أن يقر الإنسان باللفظ، ويعزل الكتاب عن الحكم، مع

أن الله أنزله ليحكم بين الناس؛ كما قال ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾. فالله أنزل الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بما أنزله ﷻ فيه، فمن يأبى أن يُحكِّم الشرع الذي أنزله الله في الكتاب، وإن زعم أنه يؤمن بالكتاب، فهذا نوع من أنواع الكفر بالكتاب، الذي يأبى أن يقبل شرع الله ﷻ الذي أنزله في كتابه، وكم من أحكام قطعية ثابتة مجمع عليها، ثابتة بنص الكتاب، ومع ذلك ما أكثر من يطعن فيها، وما أكثر من يأباها ويرفضها، فهذا وإن أقر بلسانه أو بحروفها فليس بمؤمن بها.

فلابد في الإيمان من تصديق وانقياد وقبول، من لم يقبل الكتاب لم يؤمن بالكتاب، بل لم يُحكِّم الكتاب إجمالاً أو تفصيلاً، أعني في الإجمال: أن من الناس من يقول: هذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ لا يصلح لهذا الزمان، وهذا من الكفر البواح الذي لا خفاء فيه، وهناك من تكلم وهو قدوة العلمانيين جميعًا في عالمنا المعاصر حين قال أتاتورك: كيف نبني دولتنا الحديثة على كتاب يبحث في التين والزيتون؟!

وكثيرون تجرءوا حتى قالوا: إن القرآن يجب إعادة النظر في آياته. وهذا من الكفر البواح، وإن ظلوا ينتسبون إلى الدين، ويقولون: بل نحن نقر ونؤمن بالقرآن، ولكن كذا وكذا، يحاولون تمييع المسألة.

فكما ذكرنا هذا نوع من الكفر بالكتاب، هؤلاء العلمانيون الذين يريدون عزل الكتاب إجمالاً هؤلاء كفروا بالكتاب؛ وأما تفصيلاً، فأعني بذلك: أن هناك من لا تعجبه بعض أحكام الكتاب، فهو يقبل أحكام الكتاب على سبيل المثال في الأخلاق أو في العبادات، وأما ما كان من أمور العقائد،

أو ما كان من أمور الأحكام التفصيلية، فقد يقبل بعضها ويأبى بعضها، فهذا إذا علم كتاب الله ﷻ وما نزل فيه، فأبى أن يحكمه في هذه المسألة بخصوصها، لم يكن مؤمنًا، ولم يكن مسلمًا في الحقيقة، إنما هو بين النفاق والكفر، والعياذ بالله من ذلك.

حتى ولو كان يقبله إجمالاً، لكن في مسألة ما علم حكم الكتاب فيها فأبى أن يقبله، رفض أن يطبقه ويعمل به، وقال: هذا يؤدي إلى خراب دنيانا، هذا يؤدي إلى مفاسد، نعوذ بالله، كلام الله تطبيقه لا يمكن أن يأتي بفساد، بل هو الصلاح بعينه.

لذلك نقول: إن أنواع الكفر بالكتاب موجودة في أناس من المنافقين، وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام، ويزعمون أنهم يؤمنون بالقرآن العظيم؛ لذلك نقول: هذا من الكفر بالكتب الذي ورث عن أهل الكتاب، والعياذ بالله من ذلك، كما أنه ورث عمن أبى قبول القرآن، ممن كان من المشركين الذين أنكروا شيئا على بشر، نسأل الله العافية.

الواجب في الإيمان بالكتب في معالجة أو في مقاومة ومجاهدة هذا الكفر: أن نعظم كتاب الله، وأن نصدق بكل ما فيه، ونلتزم بكل ما فيه من الشرائع، فلابد من تصديق، ولابد من التزام، ولابد من أن نسعى لإعلاء كلمة الله، مقصودنا التي شرّع بها شرائعه، فهو شرعه ﷻ، لابد أن نسعى لإعلاء كلمة الله ﷻ، وأن نؤمن بالكتاب كله، وأصبح في زماننا من يجعل من آمن بشيء من الكتاب، ولو آمن بمسألة وكفر بمائة مسألة، يقولون: لا يكفر إلا إذا ترك الكتاب كله. وعجبًا! هل كان هذا عند المشركين؟!

المشركون كان عندهم من الإقرار ببعض ما تضمنه الكتاب من أن الله خالق السماوات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، أفكان ذلك إيمانا مقبولاً؟! نعوذ بالله من هذا.

لذلك نقول: لابد أن يكون هناك تصديق للخبر، والتزام بالأمر، واجتناب للنهي، وقبول للحكم، وتحكيم للكتاب في مواطن النزاع، وهذا الذي يتحقق به الإيمان بالكتاب العظيم، والله أعلى وأعلم.

الْمسْألةُ السّادِسَةُ بَعْدَ الْمِائةِ: الْإِعْراضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللَّهِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، فالإعراض عما أنزله الله ﷻ من الآيات إعراضًا كليّا يقتضي كفر من فعل ذلك؛ لأنه لا أظلم منه؛ ولذا عدّ الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في نواقض لا إله إلا الله: (**الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به**)[1].

هذا الإعراض الكلي، الإعراض بأن يبلغه الدين تبلغه الآيات، فيأبى أن يتفكر فيها، ويأبى أن يتفهمها ويتعلمها، يصم آذانه عنها، يضعون أصابعهم في آذانهم، يستغشون ثيابهم، هؤلاء قد قامت عليهم الحجة، ولا ينفعهم إعراضهم بأنهم كانوا يجهلون هذه الأمور، طالما أنه جهل ناشئ عن إعراض عن آيات الله، عما أنزل الله، عما جاء عن الله، فهذا الجهل ليس يعذر صاحبه، طالما كان متمكنا من العلم، وتركه معرضًا عنه بعد أن بيّن له، لكنه لم يفهمه؛ لأنه لا يريد أن يتفهم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾، فوصل إعراضهم إلى أنهم وإن استمعوا القرآن قلوبهم معرضة لم يفهموا شيئًا، والعبرة بالسماع وسلامة الآلة وأنه باللسان الذي يتكلمون به ليبين لهم، فإذا أعرضوا بعد ذلك عن فهمه وعن

(١) انظر: نواقض الإسلام ضمن مجموع الدرر السنية (٢/ ٣٦٢).

الإيمان به، فإنهم - والعياذ بالله - يكونون كفارًا، ولا ينفعهم أنهم جهلوا. الجهل الذي نتكلم عنه دائمًا في قضية العذر هو الجهل الناشئ عن عدم البلاغ؛ أما الجهل الناشئ عن الإعراض عن الحجة بعد قيامها؛ لذا لم يفهمها لأنه معرض فلا عذر لصاحبه، وقد قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾، فتبين بذلك أن الكفار لا يعلمون، وكذلك قال الله عن المنافقين: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وقال: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فليس عدم العلم دائمًا بعذر إلا ما كان ناشئًا عن عدم بلوغ الآيات، عدم بلوغ الحجج؛ أما من بلغته الحجج والآيات فأعرض عنها فلذلك لم يفهمها، فهو متوعد على جهله الذي تسبب فيه، فهذا الإعراض عما جاء عن الله وقع - كما ذكرنا - من المشركين عباد الأوثان، الذين كانوا يعرضون عن القرآن إعراضًا تامًا، ولا يريدون سماعه، ولا يقبلونه إلى أن تاب الله على من تاب منهم فأقْبل إلى القرآن.

وكما ذكرنا إعراض أهل الكتاب عما جاء إلى رسول الله ﷺ هو من هذا الإعراض، إعراض بالكلية، وهذا ينطبق على من أعرض عن حجة أقيمت عليه من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ، فإنه وإن كان لا يفهم، لكن بعد قيام الحجة التي يفهمها مثله مسئول عن قوله وفعله واعتقاده؛ لذلك نقول: فرق بين فهم الحجة وبين قيام الحجة، العبرة أن تبين الحجة باللسان الذي يتكلم به الإنسان: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ أما

أنه بعد البيان يقع الفهم فقد قال ﷻ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع الفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾، فهذا نوع من الإعراض، حتى بعد حصول الفهم الذي ذكر الله ﷻ، وهناك قبله إعراض؛ لأنهم لم يفهموا، ولم يكن ذلك عذرًا لهم.

لذلك نقول: الإعراض الذي هو كفر إعراض بالكلية عن دين الله ﷻ، لا يتعلمه ولا يعمل به ولا يلتفت إليه، كإعراض اليهود والنصارى المقلدين لكبرائهم وسادتهم، وإعراض المشركين عن القرآن كذلك تقليدًا للآباء والأجداد، وكإعراض قوم نوح عما أوحاه الله ﷻ إليه: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾. ليس هذا الإعراض عذرًا، وليس الجهل الناشئ عنه عذرًا، وليس عدم الفهم الناشئ عنه عذرًا، طالما قد بين لهم بلسانهم، وإنما يكون عذرًا لمن لم يبين له، لمن لم تأته آيات الله، هذا الإعراض بالكلية عن الدين، والإعراض عن الكتاب وعن الرسول ﷺ.

نوع ثان في مسألة تفصيلية: تأتيه الحجة البينة، يُبيّن له بالتفصيل في مسألة خالف فيها ما جاء عن الرسول، فيظل على معتقده وتقليده لسادته وكبرائه في هذه المسألة؛ لأنه لا يحسن الظن بمن بلغه إياها، ويظنه من الجهال، أو يظنه من الخوارج، أو يظنه من المتعصبين أو من المتشددين أو غير ذلك مما يُلهيه الهوى والشيطان عن النظر في الدليل، والمسألة تكون مما يكفر فيه؛ لأنها من القواطع في دين الله ﷻ، على سبيل المثال: من يعتقد أن للكون أقطابًا يُدعوْن من دون الله ﷻ من أولياء الله الصالحين أو من أهل البيت، ممن يدبرون الكون من دون الله أو مع الله أو بإذن من الله،

حتى لو اعتقد ذلك، فهو يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، فإذا تليت عليه الآيات قال: أنت أعلم أم الشيخ الفلاني إمامنا لم يكن يقول ذلك. ولا يلتفت أصلاً إلى حجة ولا ينتبه إلى تدبر ولا يفهم، وهو يظن نفسه على الحق والدين، ويظن نفسه أفضل من هؤلاء المحجوبين، وما أكثر من تقام عليه الحجج من أهل البدع، وهو لا يلتفت إليها معرضًا، والعياذ بالله، وكما ذكرنا يكون الاعتقاد الذي يعتقده يتضمن التكذيب بالقرآن، تتلى عليه آيات الله ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، تجده لا يلتفت، يقول: محجوبون هؤلاء الذين لا يعرفون حقيقة الأولياء، يقولون هؤلاء العلماء الأفاضل يقولون بالأقطاب والأولياء والنجباء، ومع ذلك هؤلاء الخوارج يكفروننا على ذلك دون حجة، وإنما لأجل التقليد.

مثال آخر: نقول الذين يسوُّون بين الملل، ويرون أن أهل الملل كلهم يصلون إلى الله ﷻ، وأن الإسلام واليهودية والنصرانية وغيرها من الملل كلها مقبولة عند الله، ولو عبدوا غير الله؛ فمنهم من يقرر صحة عبادتهم لله نظرًا إلى القدر، ومنهم من يصحح عبادتهم لغير الله نظرًا إلى وحدة الوجود، وأن المعبود واحد في الحقيقة، وأن الناس إنما قصدوا أن يعبدوا إلهًا واحدًا، وإن تعددت صوره وأشكاله، وإن بدا في صورة التعدد[1].

الـرّبُ عـبْـدٌ والْـعـبْـدُ ربٌ فيا لـيْـت شِـعْـرِي مـنْ الْمُكـلـفُ

(١) سبق عزوه (١/ ٤٠١).

إِنْ قُـلْـتُ عـبْـدٌ فـذاك ربٌ وإِنْ قُـلْـتُ ربٌ أنّـى يُـكـلـفُ؟!

وما أكثر ما ينتشر هذا في الصوفية وغيرهم! وطوائف الباطنية بأسرهم يعتقدون هذا الاعتقاد الكفري، والعياذ بالله، ومنهم من يجوِّز عبادة غير الله من باب السماحة بزعمهم، وهذا المنتشر في زماننا أن الإسلام يتسم بالسماحة، فكل الأديان إذًا لا بأس بها، ولا اعتراض ولا تكفير، كأن هذا اللفظ وهو لفظ (الكفر) لفظ لا يجوز أن يستعمل في حق أحد.

وكم قامت قيامتهم أو قائمتهم عندما يُقال مثلاً عن اليهود والنصارى: كفار، وربما اتهموا من قال ذلك بأنه قد ارتكب جريمة، وقد حكيتُ لكم أن من الناس من كان يقال له في بعض القضايا: إنك متهم بتكفير أهل الملتين؛ اليهود والنصارى. هكذا صراحة، وتتلى عليهم آيات الله بالليل والنهار، ومنهم من يبلغها للناس ويفسرها ويكتب في تفسيرها، ثم إذا قيل له: أنت كتبت وقلت: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، كتبت تفسيرها، فيقول: هذه نزلت في الذين كانوا زمن النبي ﷺ؛ أما الآن فهم يقولون باسم الإله الواحد، والعياذ بالله، وهذا والله إعراض ولو كان في مسألة واحدة، طالما كان يعلم الآيات ويعرف قول الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، ويعلم أنهم يقولون: إن المسيح هو الله، وأنهم يعبدون من دون الله ومع الله ﷻ، ويقولون: إن الله ثلاثة أقانيم، ويعرف أنهم يكذبون محمدًا ﷺ ويكذبون القرآن العظيم، ومع ذلك يقول: هم مؤمنون، ونرجو أن يجمعنا الله يوم القيامة معًا في الجنة، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، ويربت على كتف أحد

هؤلاء الطواغيت الكفار، والعياذ بالله.

فهذا إعراض عن حجج الله ﷻ - والعياذ بالله - وعن آياته، ويُذكّر بآيات الله فيصر معرضًا على ذلك، هذا من الإعراض الذي هو كفر، نعوذ بالله من ذلك.

ولو كان يظن نفسه على الحق والهدى، كما ذكرت الأنواع كثير فيمن يتكلم في تسوية الملل، أو في جواز دعاء وعبادة وصرف العبادات لغير الله، أو في استباحة المحرمات، والعياذ بالله، واستجازة مخالفة دين الله وشرع الله سبحانه، ويرى نفسه محقًّا، نعوذ بالله من ذلك، هذا معرض عن دين الله ﷻ، كما ذكرت هناك من يعرض بالكلية كمقلدي اليهود والنصارى وأهل الملل، لم يبحثوا عن دين الإسلام ولا عن أدلة صدق الرسول ﷺ، رضوا بتقليد الكبراء والسادة في تكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وترك دين الإسلام، فهذا إعراض، كفر ناقل عن الملة.

وهناك من يعرض في مسألة، تأتيه الآيات فيكذب بها، أو يعرض عنها ويظن نفسه على الحق في ذلك، ونعوذ بالله من ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

هناك نوع آخر من الإعراض دون ذلك، وهو ألا يتعلم بعض مسائل الدين التي وجبت عليه، فله نصيب من الإعراض ويعرض الله ﷻ عنه، لكنه لم يعرض عن الدين بالكلية، ولم يرتكب كفرًا، ولم تتلى عليه الآيات، لكنه لم يتعلمها، الآيات إنما حكمت بأن أظلم الخلق هو الذي ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها؛ أما من لم يُذكّر بآيات الله فلا يزال، قد

يكون مقصرًا في طلب العلم، وقد لا يكون مقصرا، نحن نتكلم عن المعرض الذي قد كان يمكنه أن يتعلم فلم يتعلم، لكن لم تبلغه الآيات ولم تبلغه الحجج، يأثم بترك ما وجب عليه، ولا يخرج من الملة بالكلية، كما في حديث أبِي واقِدٍ اللّيْثِيِّ في الثلاثة نفر الذين دخلوا إلى مجلسه ﷺ: «**أنّ رسُول اللّهِ ﷺ بيْنما هُو جالِسٌ فِي المسْجِدِ والنّاسُ معهُ إِذْ أقْبل ثلاثةُ نفرٍ، فأقْبل اثْنانِ إِلى رسُولِ اللّهِ ﷺ وذهب واحِدٌ، قال: فوقفا على رسُولِ اللّهِ ﷺ، فأمّا أحدُهُما: فرأى فُرْجةً فِي الحلْقةِ فجلس فِيها، وأمّا الآخرُ: فجلس خلْفهُمْ، وأمّا الثّالِثُ: فأدْبر ذاهِبًا، فلمّا فرغ رسُولُ اللّهِ ﷺ قال: ألا أُخْبِرُكُمْ عنِ النّفرِ الثّلاثةِ؟ أمّا أحدُهُمْ فأوى إِلى اللّهِ فآواهُ اللّهُ، وأمّا الآخرُ فاسْتحْيا فاسْتحْيا اللّهُ مِنْهُ، وأمّا الآخرُ فأعْرض فأعْرض اللّهُ عنْهُ**»[1]، هذا نوع من الإعراض وقد أعرض الله عنه، ولم يكن ذلك الرجل كافرًا إذ ترك مجلس العلم الذي كان فيه النبي ﷺ، وكم من مقصر في طلب هذه الفريضة. قال النبي ﷺ: «**طلبُ الْعِلْمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ**»[2]، لكن لا يلزم ممن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٢٢٣)، والبزار في مسنده (١/ ١٧٢)، والطبراني في الأوسط (١/ ٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال السخاوي: «وهو مع طرقه الكثيرة قد ضعفه أحمد، والبيهقي، وغيرهما، ولكن يُروى عن جماعة من الصحابة؛ كجابر، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعلي، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ومعناه صحيح، فقد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض ومتعين على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع» اهـ. =

أعرض عن هذا الفرض الواجب أن يكون كافرًا بكل مسألة جهلها، تقصيره لا يلزم منه مع كونه متمكنًا لو سأل لوصل، لكن لم يُذكر بالآيات، لم يعلم بهذه الآيات التي من بلغته كان كافرًا، الحجة التي يُكفر منكرها إذا لم تبلغ إنسانًا، هذه الحجة الرسالية التي يُكفر منكرها إذا لم تبلغ إنسانًا فظل على جهله، فهذا جهل ناشئ عن عدم بلاغ، وإن كان فيه قدر من الإعراض، لكن ليس بالإعراض الذي يخرجه من الملة.

نحب أن نبين هذا؛ لأن كثيرًا من الناس يجعل كل من أعرض عن طلب العلم كافرًا إذا جهل أمرًا من أمور الدين، أو بعضهم يجعله من أمور الاعتقاد، وإن كان الأمر متفاوتًا، فلابد أن نعلم أنواع الإعراض. قد ذكرنا إعراضًا ذمه النبي ﷺ، وسماه إعراضًا، ولم يحكم على صاحبه بالكفر، بل تركه، وظل يعيش في المجتمع المسلم مذمومًا على تقصيره في طلب العلم، وقد قال ﷻ عمن أعرض عن قول الحق في شهادته: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾، ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾، فهذا نوع إعراض أن يسكت عن قول الحق وعن العدل الواجب الذي يعلمه، وترك الباطل ينتشر، وهو نوع من الإعراض الذي هو معصية، والواجب أن يقول الحق الذي يعلمه من دين الله ﷻ، وهذا يحصل من الشهود والحكام والقضاة ومن الدعاة، فإن البعض قد يعرض عن مسائل من الدين لا يتكلم

= انظر: مجمع الزوائد (١/ ١١٩، ١٢٠)، ومصباح الزجاجة (١/ ٣٠)، والعجالة في الأحاديث المسلسلة (ص١٠٧)، وكشف الخفاء (١/ ١٥٤).

فيها، وهي مما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ؛ لأنها لا ترضي السادة والكبراء، ونعوذ بالله؛ ولأنها أحيانًا لا ترضي الكفار، والكفار يراعي خاطرهم أكثر مما يراعي رضا الله ﷻ ورضا رسوله ﷺ، فهذا - كما ذكرنا - نوع من الإعراض، لكن متى يكون كفرًا؟ من ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها؛ إما إعراضًا كليًّا إجماليًّا، ترك الدين بالكلية وهو يرى نفسه على الحق، أو أنه أقيمت عليه الحجة بالآيات البينات والحجج الواضحات، فأعرض عن فهمها وأعرض عن سماعها؛ لأنه - كما ذكرنا - يظن قائلها ليس أهلاً لذلك، ولا اعتبار لمثل هذا الأمر.

كثير من الناس يخطئ في مسألة العذر بعدم البلاغ، ويظن أنه لابد وأن يكون المبلِّغ مقبولاً عند المبلّغ، وأنه يكون عالمًا في ظنه، فإذا لم يظنه عالمًا لم تكن الحجة قد قامت، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة، العبرة بأن يكون البيان قد حصل، ذُكِّر، أيًّا من ذكّره.

لو أن إنسانًا على سبيل المثال ممن يقول بمساواة الملل، وسمع من مذياع، الذي حكمه عند الفقهاء المتأخرين أنه في حكم الببغاء، ليس حكمه أنه مما مثلًا تصح إمامته، لو شغلت مذياعًا على قراءة لم يكن هذا المذياع كافيًا في أن تكون مأمومًا، لا يصح أن يكون إمامًا.

نقول: تُليت عليه فسمع قول الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فقد قامت عليه الحجة، وإن كنتُ أنا لا أعلم هل قامت، أم لم تقم؟ ويمكنني في بعض المسائل أن أتوقف عن الحكم بتكفيره؛ لأني لا أستطيع أن أجزم بأنه قد بلغته الحجة، قد أقيمت عليه، قد أزيلت الشبهة، أم لا؟

لكن هو عند الله ﷻ قد قامت عليه، قد بُيِّن له بلسان قومه، وهو معرض عنها، لا يريد أن يفهمها، قد قامت عليه الحجة.

لذلك نقول: ذُكِّر، أكونه يتهم المُبلِّغ بأنه مقصر أو متطرف أو إرهابي أو خوارج، لا عبرة بمثل هذا الظن، فكم كان المشركون يتهمون الرسول - والرسل جميعًا - بأنه كاهن، ساحر، مجنون، ما يُعد ذلك، كانوا يقولون: نقبل هذا الكلام لو صدر من الكبار، ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، هذا إعراض، لا يكون هذا عذرًا عند الله ﷻ.

الخلل في هذا الباب خطير، والخطر الكبير ليس في هذه الدنيا، الخطر الكبير أن أناسًا كثيرين قد وقعوا في النفاق الأكبر وأحيانًا الكفر الأكبر، وهم عندنا لا نحكم عليهم بذلك؛ لأننا لا ندري أقامت عليهم الحجة، أم لا؟ وتكون الحجة قد قامت، فما ينفعهم أننا نحكم بإسلامهم، وهم عند الله ﷻ في الدرك الأسفل من النار، وهم عند الله من الكافرين، قد حكم النبي ﷺ بإسلام أناس ورّثهُم وورّث منهم، وأثبت أنكحتهم، وصلى عليهم، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾. هناك طوائف من المنافقين لم يعلمهم النبي ﷺ، ومع ذلك لم ينفعهم عند الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

إذًا، لا ينفعهم أننا نعاملهم كمسلمين، وهم عند الله ﷻ من الكافرين، فهذا هو الخطر الكبير.

لذلك الإعراض عن دين الله ﷻ، هو طبعًا بلا شك الإعراض الجزئي

الذي ينشأ عن تقصير في طلب العلم، خطر كبير جدًا، وإن لم يكن كفرًا، ويؤدي غالبًا إلى الكفر، والعياذ بالله؛ لأنه بالتدريج يعرض ويعرض.. حتى تقوم عليه الحجة في مرة من المرات ويفهمها، أو تكون بينت له بلسان قومه فيستمر على الإعراض، ويكون قد انتقل إلى الجانب الآخر وهو لا يدري ولا يشعر، ويرى نفسه محقًّا، كما رأى الأحبار والرهبان الذين كذبوا محمدًا ﷺ أنهم محقون، وكما رأى أبو جهل الذي قال: «**اللّهُمّ أقْطعنا لِلرّحِمِ، وآتانا بِما لا يُعْرفُ، فأحِنْهُ الْغداة**»[1]، والعياذ بالله، يعني: اقتله هذا الصباح، واجعل حينه الآن، حتى تنتهي حياته، هذا شيء عجيب جدًا! ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، لماذا؟

لأن الرسول غير مقبول عندهم، يريدون شخصًا آخر، نعوذ بالله من ذلك فهذا الإعراض عن دين الله ﷻ خطر عظيم وخطر كبير، لكن لا تجعل أن من لم يحضر الدرس فهو كافر، من لم يقرأ الكتاب الذي ألفناه فهو كافر، لا، هذا خلل كبير جدًا وأمر فعلاً عظيم بين طرفين ووسط، الحق بين طرفين، غال ومفرط ومقصر، ولا يصح أن نسوي بين الناس ولا أن نُفرِّط، ولا يجوز أن نُفْرِط ونغالي في هذا الباب.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٦٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٧)، والحاكم (٢/ ٣٥٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٥)، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٧٤)، والروض الأنف (٥/ ٩٠)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٣١).

الْمسْألةُ السّابِعةُ بعْد الْمِائةِ: الْكُفْرُ بالْيوْمِ الْآخِرِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾.

كان أهل الشرك من عباد الأوثان يثبتون المبدأ وينكرون المعاد، كما وصف الله ﷻ قولهم في غير موضع، يثبتون أن الله ﷻ ابتدأ خلق الخلق: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾، ولكنهم ينكرون إعادته بعد الموت، كما بين الله ﷻ كفرهم في الآية التي ذكرنا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾. فمن أنكر بعث الأجساد فهو كافر، فمن أنكر إحياء الموتى فهو كافر بنص الآية، قال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فذكر الله ﷻ أمر المعاد مستدلاً بالمبدأ: ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ﴾، فخلق الإنسان الأول وخلق كل المخلوقات دليل على الخلق الثاني: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾، وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ وإنكار البعث والجزاء والحساب هو ادعاء أن الخلق خلقوا سدى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾. ذكر الله ﷻ أن من زعم أنه لا يُحاسب ولا يؤاخذ ولا ثواب ولا عقاب، فهو الذي يقول: إنه خلق سدى. واستدل على بطلان ذلك بخلقه أول مرة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

وافق أهل الشرك من عباد الأوثان في إنكار المعاد عامة الفلاسفة من اليونان، ومن جرى مجراهم ممن يثبتون بقاء الأرواح دون بعث الأجساد، وقد وافقهم في ذلك من انتسب إلى الإسلام من المتفلسفة: كابن سينا، وهذه المسألة، مسألة إنكار معاد الأبدان، أحد المسائل التي كفّر فيها الغزالي رَحِمَهُ اللهُ ابن سينا ومن وافقه من الفلاسفة في هذه المسألة، إنكار بعث الأجساد، إنكار معاد الأبدان، وعامة الملحدين في زماننا من أهل إنكار وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنكار المبدأ أو الذين يثبتون المبدأ، ولكن ينكرون المعاد، من أهل أوروبا وأمريكا والشرق والغرب ممن ينكرون البعث قد تأثروا في ذلك بالفلاسفة المتقدمين، وآثروا اتباع الشهوات دون أن يفكروا في أمر الثواب والعقاب، وحقيقة إنكار بعثة الرسل وإنكار تشريع الشرائع، التي تتسم بها الحضارة الغربية، والتي تبنى مناهج حياتها، التي تحاول فرضها على الناس من عدم الرجوع إلى ما جاءت به الرسل جملة، وإن انتسبوا إلى النصرانية، لكن لا يعبئون بشيء مما أتت به هذه الشريعة، ولا يلتفتون إلّا إلى شهواتهم، مبنى ذلك على إنكار البعث، والزنادقة والمنافقون ممن انتسبوا إلى الإسلام ممن يوافقهم على ذلك فهم على نفس الطريق؛ لأن إنكار تشريع الشرائع، لابد وأن يكون مبنيًّا على إنكار البعث؛ لأنه إذا لم يكن هناك ثواب ولا عقاب فلا معنى لوجود تشريع وأمر ونهي، وكل هؤلاء؛ من يثبت وجود الله عَزَّ وَجَلَّ، أي: يثبت المبدأ، ومن لا يثبته كالقائلين بأن الكون وجد مصادفة أو كان قديمًا وتطور، وليس أن هناك خالق ابتدأ خلقه، فكل هؤلاء مشتركون في الكفر باليوم الآخر، والعياذ بالله.

وكذلك أهل التناسخ، تناسخ الأرواح، من أهل الملل الشرقية الكافرة؛

كالهندوسية والبوذية وغيرها، ممن يعتقد أن أمر الآخرة مبني على أحوال الروح في كل دورة من دوراتها، فإن كان محسنًا جعلت روحه في حال أعلى ومن كان مسيئًا جعلت روحه في حال أخس، فيقولون بتناسخ الأرواح، فتارة يكون الإنسان إنسانًا، وتارة يكون ملكًا، وتارة يكون قطة، وتارة يكون جمادًا أو حيوانا أخس من ذلك أو حشرة، على حسب أحواله وهكذا بلا بداية ولا نهاية، فلا يزال الأمر عندهم عبارة عن تناسخ للأرواح، أن الروح تجعل في بدن آخر، إذا كانت مسيئة يكون البدن حاله أدنى من حال البدن الذي كانت عليه قبل الإساءة أو في الطور الأول، وإذا كانت محسنة تخلصت من هذا البدن إلى ما هو أعلى منه، إلى أن تنتهي بالاتحاد مع الإله الأكبر عندهم، ونعوذ بالله من ضلالاتهم وكفرهم، وكل هؤلاء ينكرون البعث، ينكرون اليوم الآخر، ولو نظرت إلى العالم حولك، لوجدت أن أكثر الأمم ما زالت على هذه العقائد الكفرية، تنكر البعث أو تثبت خلق الإنسان سدى، أنه خلق بلا ثواب ولا عقاب وأنه خلق هملاً، ممن يثبت منهم الخلق.

ومنهم من لا يثبت البداية أصلاً، بل يجعلها على طريقة الفلاسفة أن المادة أزلية ليس لها بداية وأنها لا تخلق من عدم ولا تستحدث، وإنما تفيض من طاقة إلى مادة أو من مادة إلى غيرها، حتى تتشكل في هذه الصور تنظر إلى العقائد الفلسفية التي تطرح على الناس، تجد أن قضية إنكار اليوم الآخر مستكنة في قلوب هؤلاء وظاهرة كذلك، وسلوكياتهم وأعمالهم مبنية على إنكار اليوم الآخر، على الكفر باليوم الآخر، وإنكار بعث الله للأجساد، وهم يرون انعدام الموتى فيظنون أن هذا أمر أبدي بلا نهاية،

أعني: أن انعدام الأبدان وتحولها إلى التراب لن يعاد الأمر مرة ثانية، سوف تظل كذلك رميمًا إلى الأبد، نعوذ بالله من الضلال.

وكل هذا خرص وتخمين؛ إذ لم يطلع أحد على ما في المستقبل، وإنما كل وجُل احتجاجهم أن آباءهم لم يبعثوا، وهل أخبرتهم الرسل أن البعث إنما يكون في هذه الدنيا، حتى يُقال: لم نر أحدًا من آبائنا قد بعث؟!

ومن أدراكم وما أخبركم أن الأمر يستمر إلى ما لا نهاية؟! مع أن العقل السديد والعلم الحديث يثبت أنه لابد وأن تنتهي هذه الحياة؛ وذلك لأن الطاقة في الكون لابد لها - مهما كانت تطول - من نهاية، هذه الطاقة مثلاً التي يبنى عليها أو التي تحتاجها الكائنات مصدرها من الشمس ومن غيرها من الشموس والنجوم وسوف تظل هكذا حتى تضمحل ولابد، كما وقع لأمثلة كثيرة من نجوم قبل ذلك وشموس اضمحلت، فلابد من اضمحلال هذه الحياة وانتهائها، ليس أن تستمر إلى ما لا نهاية، فمن أخبركم بما تزعمون أن العقل يدل على إنكار البعث؟ ما دليلكم؟ لا دليل عندكم على ذلك، ولم تُطلعوا على شيء، وابتداء الخلق دليل على إعادته، وتنوع أنواع المخلوقات من حال إلى آخر دليل على قدرة الله ﷻ على تقليب هذه الكائنات من حال إلى حال، قال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وأكثر الله ﷻ في كتابه من الاستدلال على البعث والنشور بإحياء الأرض بعد موتها، وهو أمر

مشهود محسوس ويتكرر كثيرًا أمام أعين الناس، تكون الأرض الميتة: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾، فهي أرض كانت ميتة لا نبت فيها، ومادتها كانت مادة ميتة، تراب وماء، ليس فيها حياة، ثم تحولت بقدرة الله ﷻ من خلال هذه المادة الحية التي جعلت فيها، تحولت هذه المادة بعينها إلى ذلك النبات، وصارت في هذا النبات الحي مادة حية، بعد أن كانت ميتة حسًّا وعلمًا، يعني: أمرًا مشاهدًا واقعًا أمام الناس، فهي تحيا بالنبات، والحيوان يحيا به، وتتحول هذه المادة الميتة إلى مادة حية، فقدرة الله ﷻ في إحياء الأرض بعد موتها أخبر ﷻ أنه كذلك يحيي الأجساد يوم القيامة، كذلك النشور، فكما أحيا الله الأرض بعد موتها بالماء الذي ينزله من السماء، كذلك يأمر الله ﷻ السماء يوم القيامة بين النفختين أن تمطر فتنبت أجساد الناس تحت التراب، ثم تعاد الأرواح إلى الأجساد؛ لتحيا من جديد حياة كاملة[1]، فالكفر باليوم الآخر

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وإذَا أرَادَ اللهُ إخرَاجَ الوَرَى ... بَعدَ المَمَاتِ إلى المَعَادِ الثَّانِي
ألقَى عَلَى الأرضِ التي هُم تحتها ... واللهُ مُقتَدِرٌ وذُو سُلطَانِ
مَطَرًا غَليظًا أبيضًا مُتَتَابِعًا ... عَشرًا وَعَشرًا بَعدَهَا عَشرَانِ
فَتَظَلُّ تَنبُتُ منهُ أجسَامُ الوَرَى ... وَلُحُومُهُم كَمَنَابِتِ الرَّيحَانِ
حَتَّى إذَا ما الأمُّ حَانَ وِلاَدُهَا ... وتمخَّضَت فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِ
أوحَى لَهَا ربُّ السَّما فتَشقَّقَت ... فَبَدَا الجَنِينُ كَأكمَلِ الشُّبَّانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ١٠٧).

قضية خطيرة من أعظم مظاهر الكفر في الأمم، حتى من أقر بوجود الله منهم، لكن من أنكر بعثه فأنكر بعثة الرسل أو أنكر تشريعات الرسل التي أتوا بها، كان ذلك من أفظع وأكثر أنواع الكفر انتشارًا، نعوذ بالله من ذلك.

وقد كان يوجد في بعض المنتسبين إلى الإسلام وهم أهل النفاق والزندقة من ينكر البعث، كما ذكرنا من وافق الفلاسفة في القول بمعاد الأرواح دون الأبدان، والحقيقة أن هذا القول هو إنكار للبعث وإنكار لليوم الآخر بالكلية، فكل هذا يدلنا على أهمية هذه المسألة وشدة خطرها، وقد أكثر النبي ﷺ في أحاديثه من اقتران الإيمان بالله وباليوم الآخر، فكان من أكثر ما يقول لأصحابه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا، أو لا يفعل كذا، «**منْ كان يُؤْمِنُ بِالله واليومِ الآخر فلْيَقُلْ خيْرًا أو ليصْمُتْ، ومنْ كان يُؤْمِنُ بِالله والْيوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ جارهُ، ومنْ كان يُؤْمِنُ بِالله والْيوْمِ الآخِرِ فلْيُكْرِمْ ضيْفهُ**»[(١)]، «**لا يحِلُّ لِامْرأةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ والْيوْمِ الْآخِرِ، تُسافِرُ مسِيرة يوْمٍ إِلّا مَعَ ذِي مَحْرمٍ**»[(٢)]، «**. . . ومنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ والْيوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يخْلُونّ بِامْرأةٍ ليْس معها ذُو محْرمٍ مِنْها**»[(٣)]، وغير ذلك كثير جدًا في اقتران الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، وهو دليل على أن من لم يؤمن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٠١)، والدارمي (٢٠٩٢)، والنسائي في المجتبى (١/ ١٩٨)، وفي الكبرى (٦٧٤١)، وأحمد (٢٣/ ١٩)، والحاكم (٤/ ٢٨٨، ١/ ١٦٢)، والبيهقي في الشعب (٥٥٩٦)، وابن خزيمة (٢٤٩)، والطبراني في الأوسط (٢٥٣١)، وفي الكبير (١١/ ١٩١)، وأبو يعلى (١٩٢٥).

باليوم الآخر لم يؤمن بالله، والإيمان باليوم الآخر إيمان بقدرة الله ﷻ على الإحياء وقدرته على البعث والنشور، على أن يبعث الناس وأن ينشرهم ﷻ بأمره، فمن كذب ذلك كان مكذبًا بصفات الله وأسمائه الحسنى الدالة على قدرته وكمال علمه ﷻ، فيكون كافرًا بالله ﷻ، فكل من كفر باليوم الآخر فهو مشرك بالله ﷻ كافر به؛ كما قال الله ﷻ في قصة صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾. فتبين بذلك أن من قال إنه لا يظن أن الساعة قائمة، فقد كفر بالذي خلقه من تراب، كفر بالله ﷻ مع أنه يقول: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾. فهو يثبت وجود الله ﷻ، ولكنه ينكر أو يشك في البعث وفي أن يرد الناس إلى الله؛ ليحاسبهم على أعمالهم، فهذا مما انتشر في أهل الجاهلية، من أهل الكتاب الذين ألحدوا وتزندقوا وتركوا ما بعثت به الرسل.

الْمسْأَلَةُ الثّامِنَةُ بَعْدَ الْمِائةِ: التّكْذِيبُ بِلِقَاءِ اللَّهِ.

الشـــرح:

وهذا التكذيب بلقاء الله ﷻ حاصل ممن انتسب إلى أهل الكتاب وكذّب ببعض أمور الآخرة، مثل: إنكار رؤية الله ﷻ، وإنكار تكليمه ﷻ لعباده يوم القيامة، فإن هذا نوع من الكفر باليوم الآخر، وإن كان هناك إجمال في الإقرار به، لكن في التفاصيل التي جاءت بها الرسل هناك من يكذب بعض ما جاءت به الرسل، فمن أنكر أن المؤمنين يرون ربهم ﷻ، فقد كذب بلقاء الله[1]، والصحيح أن كل خلق الله يلقون ربهم ﷻ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، والصحيح من أقوال أهل العلم في مسألة رؤية الكفار والمنافقين لربهم يوم القيامة أنهم يرونه، لكن رؤية العبد الآبق لسيده الغاضب عليه، المنفي رؤية التكريم[2]، وهم يحصل لهم حجاب بعد ذلك فلا يرونه ﷻ مكرمًا لهم، ولا يتلذذون برؤيته ويتنعمون بلقائه، ولكنهم يرونه رؤية العبد

---

(١) أن أهل السنة والجماعة أثبتوا الرؤية بحق، والرؤية تكون بالعينين، وهذه الرؤية جاءت فيها آيات كثيرة، وأحاديث متواترة عنه ﷺ، وأجمع أهل التفسير من الصحابة والتابعين على القول بالرؤية، ولم ينكرها أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم. انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٩٢)، وتفسير البغوي (٨/ ٢٨٤)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٥١). وانظر: حاشية ابن القيم (١٣/ ٣٩)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٥٠)، والروح لابن القيم (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر قول أهل السنة في الرؤية في: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢١٢)، والتوحيد لابن خزيمة (ص١٧٦-١٧٧).

الذي أبق من سيده، يتمنى أن تسوى به الأرض ولا يكتم الله حديثًا، قال ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، وفي الصحيح أن العبد يلقى ربه فيقول الله ﷻ له: «**أيْ فُلْ ألمْ أُكْرِمْك، وأُسوِّدْك، وأُزوِّجْك، وأُسخِّرْ لك الْخيْل والْإِبِل، وأذرْك ترْأسُ وترْبعُ؟ فيقُولُ: بلى، قال: فيقُولُ: أفظننْت أنّك مُلاقِيّ؟ فيقُولُ: لا، فيقُولُ: فإِنِّي أنْساك كما نسِيتنِي، ثُمّ يلْقى الثّانِي فيقُولُ: أيْ فُلْ ألمْ أُكْرِمْك، وأُسوِّدْك، وأُزوِّجْك، وأُسخِّرْ لك الْخيْل والْإِبِل، وأذرْك ترْأسُ، وترْبعُ، فيقُولُ: بلى، أيْ ربِّ فيقُولُ: أفظننْت أنّك مُلاقِيّ؟ فيقُولُ: لا، فيقُولُ: فإِنِّي أنْساك كما نسِيتنِي**» أي فل. أي: يا فلان: وترأس: تصبح رئيسًا، وتربع: يعني تأخذ المرباع، وهو ربع الغنيمة التي كانت تعطى لقائد القبيلة. وقد سئل النبي ﷺ قبل ذلك: «**قالُوا: يا رسُول اللهِ هلْ نرى ربّنا يوْم الْقِيامةِ؟ قال: هلْ تُضارُّون فِي رُؤْيةِ الشّمْسِ فِي الظّهِيرةِ، ليْستْ فِي سحابةٍ؟ قالُوا: لا، قال: فهلْ تُضارُّون فِي رُؤْيةِ الْقمرِ ليْلة الْبدْرِ، ليْس فِي سحابةٍ؟ قالُوا: لا، قال: فوالّذِي نفْسِي بِيدِهِ لا تُضارُّون فِي رُؤْيةِ ربِّكُمْ، إِلّا كما تُضارُّون فِي رُؤْيةِ أحدِهِما، قال: فيلْقى الْعبْد، فيقُولُ: أيْ فُلْ ألمْ أُكْرِمْك، وأُسوِّدْك، وأُزوِّجْك، وأُسخِّرْ لك الْخيْل والْإِبِل، وأذرْك ترْأسُ وترْبعُ؟**»[1]، وهذا الحديث يدل على أن الكفار الذين ينكرون لقاء الله ﷻ أنهم الذين ينكرون رؤيته ﷻ؛ ولذلك قلنا: إن الصحيح أن الكل يرى ربه ﷻ، ثم يحجب عن

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكفار والمنافقين، وظاهر أحاديث الشفاعة الطويلة التي رواها الأئمة في كتبهم[(١)]، من ضمنها أن الرب ﷻ يأتي الأمة فيها منافقوها في صورة غير صورته التي يعرفونها[(٢)]، فهذا دليل على أن المنافقين يرون ربهم، ثم يحجب بعد ذلك كما يحجب عن الكافرين، قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾. وإن كانت المسألة فيها خلاف سائغ، أعني: أن رؤية الكفار والمنافقين لربهم يوم القيامة هل هي ثابتة، أم لا؟ فيها خلاف سائغ، ولكن الصحيح أن هذا من معنى لقاء الله، فيترتب أو نفهم من ذلك أن من أنكر رؤية الله ﷻ لأهل الإيمان يوم القيامة وفي العرصات وفي الجنة، فهو لم يؤمن بلقاء الله ﷻ، وكذب بلقاء الله ﷻ، فهذا حاصل لكثير من أهل البدع ممن أنكر ما ثبتت به الأدلة من رؤية الناس لربهم يوم القيامة أو لرؤية المؤمنين

---

(١) حديث الشفاعة ورد بعدة ألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم [٣٢٢ (١٩٣)]، و[٣٢٦(١٩٢)] بلفظ أتمّ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [٣٢٧(١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم [٣٠٢(١٨٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) «**قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**». وانظرمبحث الشفاعة في: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٥٢)، وباب الشفاعة في كتاب التوحيد (ص٢٣٥) من تيسير العزيز الحميد، والواسطية مع شرحها لشيخنا العلامة الشيخ صالح الفوزان- حفظه الله تعالى - (ص٥٦)، وكتاب التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢١٠) لشيخنا العلامة صالح آل الشيخ - حفظه الله تعالى -.

لربهم يوم القيامة، من أنكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فهو مبتدع ضال، بل حقيقة قوله الكفر؛ لأنه من التكذيب بلقاء الله ﷻ؛ وأما أقوال أهل العلم في المسألة - فكما ذكرنا - هناك ثلاثة أقوال[1]:

القول الأول: أنه يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، ثم يحجب عن الكفار والمنافقين.

القول الثاني: أنه يراه المؤمنون والمنافقون فقط، ولا يراه المشركون والكفار.

القول الثالث: أنه إنما يراه أهل الإيمان فقط، وكل هذا - كما ذكرنا - في أمر الإيمان بلقاء الله ﷻ.

❀ ❀ ❀

(١) راجع (٢/ ٢١٩).

الْمسْألةُ التّاسِعةُ بَعْدَ الْمِائةِ: التّكْذِيبُ بِبعْضِ مَا أخْبرتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ الْيوْمِ الْآخِرِ؛ كَمَا فِي قوْلِهِ: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، **ومِنْها: التّكْذِيبُ بِقوْلِهِ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، **وقوْلِهِ:** ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، **وقوْلِهِ:** ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

الشـــرح:

هذا كما ذكرنا في المسألة السابقة: هناك من يكذب ببعض أمور اليوم الآخر، وهذا حاصل في الأمة، الأمة المنتسبة إلى رسول الله ﷺ، أهل الإسلام يوجد من يكذب بآيات الله، وقد ثبت عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾، فعنْ مُصْعبِ بْنِ سعْدٍ، قال: «**سألْتُ أبِي**: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣]: **هُمُ الحرُورِيّةُ؟ قال: «لا هُمُ اليهُودُ والنّصارى، أمّا اليهُودُ فكذّبُوا مُحمّدًا ﷺ، وأمّا النّصارى فكفرُوا بِالْجنّةِ وقالُوا: لا طعام فِيها ولا شراب، والحرُورِيّةُ الّذِين ينْقُضُون عهْد اللّهِ مِنْ بعْدِ مِيثاقِهِ، وكان سعْدٌ يُسمِّيهِمُ الفاسِقِين»**[1]، (الذين كفروا بآيات ربهم) اليهود الذين كذبوا القرآن وكذبوا الرسول ﷺ، والنصارى

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٨).

كفروا بلقاء الله حين قالوا عن الجنة: ليس فيها طعام ولا شراب. فهذا دليل على أن من التكذيب بلقاء الله التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، أن الكفر باليوم الآخر يشمل التكذيب ببعض التفاصيل التي ثبتت عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن قال: إن الجنة ليست فيها طعام ولا شراب، فقد كفر باليوم الآخر، كفر بلقاء الله ﷻ، ومن كفر برسول من الرسل وكذب القرآن، فقد كفر بآيات الله ﷻ.

قال: (**ومِنْها التّكْذِيبُ بِقولِهِ**: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾).

يقصد بذلك من يجعلون الملك للأولياء ممن يقول مثلًا كذبًا وافتراء على الله بالباطل والكذب، يقول: إن الله قد قال: الملك ملكي وصرفت فيه البدوي. نعوذ بالله، وهذا من الضلال والشرك والكفر، وهم يزعمون كذلك أن الشفعاء يشفعون لهم عند الله ﷻ، كما تشفع الوزراء عند الملوك، وهذه الشفاعة الشركية التي أبطلها القرآن، وأثبت أن يوم الدين لا مُلك فيه لأحد ولا مِلك فيه لأحد إلا لله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ﴿ملك يوم الدين﴾، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، فهذه الآيات كلها تثبت أن الأمر لله، وهؤلاء الذين ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، فهؤلاء الذين أثبتوا هذه الشفاعة الشركية قد كذبوا بأن الله مالك يوم الدين وحده لا شريك له، فوقعوا في التكذيب بشيء مما أخبرت به الرسل، فكان هذا من أنواع الكفر باليوم الآخر.

وكذلِك قوْلِهِ: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

لأنهم أثبتوا الشفاعة الشركية، وأثبتوا أن أوثانهم تشفع لهم لو وُجد بعث، فهذا دليل على ما كانوا يعتقدونه من أن لو وجد بعث فأوثانهم تشفع لهم وآلهتهم تشفع لهم، وأبطل الله ﷻ كل ذلك، فالأوثان ومن يعبد من دون الله، حتى الملائكة والأنبياء والصالحون، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله، وهم أهل التوحيد والإخلاص، لا من يعبد غير الله ﷻ ويشرك به؛ كما قال النبي ﷺ لما سأله أبو هريرة رضي الله عنه: «**يا رسُول اللّهِ منْ أسْعدُ النّاسِ بِشفاعتِك يوْم القِيامةِ؟ قال رسُولُ اللّهِ ﷺ: لقدْ ظننْتُ يا أبا هُريْرة أنْ لا يسْألُنِي عنْ هذا الحدِيثِ أحدٌ أوّلُ مِنْك لِما رأيْتُ مِنْ حِرْصِك على الحدِيثِ أسْعدُ النّاسِ بِشفاعتِي يوْم القِيامةِ، منْ قال لا إله إلّا اللّهُ، خالِصًا مِنْ قلْبِهِ، أوْ نفْسِهِ**»[1]، فهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، فالشفاعة الشرعية فيمن ارتضى الله أن يشفع فيه بعد الاستئذان، ولا يكون ذلك في أهل الشرك، ولا أن أحدًا يملك الشفاعة على الله، بل هو ﷻ له الشفاعة جميعًا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فهؤلاء الذين اتخذوا شافعين اتخذوهم آلهة يعتقدون أنها تشفع لهم عند الله إذا عبدوها، هؤلاء كذبوا ببعض التفاصيل التي أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وهو كما كان منتشرًا في المشركين عباد الأوثان، فقد وقع من ذلك فيمن ينتسب إلى أمة الإسلام ممن يثبت شفاعة الأولياء كشفاعة آلهة المشركين، يعتقدون أنهم يملكون الشفاعة، وأن الأولياء يشفعون فيمن تولاهم، ولو كان

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

مشركًا، والعياذ بالله، وغلاتهم قد يصرحون بذلك، وأنهم يستطيعون حماية أتباعهم من النار، والعياذ بالله من ذلك.

وقد قالوا أقوالا منكرة فظيعة في أن بعضهم ينصب خيمته على جهنم فلا يدخلها أحد من أتباعه، أو يمنع كل أتباعه وتلامذته من أن يدخلوا النار، ومنهم من يقول: بل ينصب خيمته فيمنع كل أحد من أن يدخلها وغير ذلك، فهو تكذيب ببعض ما جاء به الرسول ﷺ من أن يوم القيامة يوم لا بيع فيه ولا خلة، وهي المحبة الشديدة، لا يملك أحد لأحد شيئًا ولا شفاعة؛ لاشفاعة باطلة، شفاعة شركية، لا شفاعة بغير إذن من الله، لا شفاعة فيمن أشرك بالله سبحانه وتعالى، لأن الشفاعة إنما تكون بعد الإذن لمن أذن الله أن يشفع فيمن أذن الله أن يُشفع فيه، فهذه كلها تنافي الشفاعة الشركية.

وكذلِك قوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، يقصد بذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وإلا هنا بمعنى لكن، فالاستثناء منقطع، لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، لا الملائكة تملك الشفاعة، ولا الأنبياء ولا الأولياء يملكون الشفاعة، لكن يشفع عند الله من شهد بالحق بلا إله إلا الله، وهم يعلمون ما تدل عليه هذه الكلمة، وهم يعلمون حقيقة الوحدانية، ويعلمون أن الله عز وجل هو عز وجل الذي يملك الشفاعة جميعًا، ويجعلها لمن شاء سبحانه، لا يشفع خير الخلق محمد ﷺ وهو يعلم أنه ذو الشفاعة، أنها مقامه المحمود الذي يبعثه الله، لا يبدأ بالشفاعة، كما في الحديث: «**فأنْطلِقُ فآتِي تحْت العرْشِ، فأقعُ ساجِدًا لِربِّي عز وجل، ثُمّ يفْتحُ اللّهُ عليّ مِنْ محامِدِهِ وحُسْنِ الثّناءِ عليْهِ شيْئًا، لمْ يفْتحْهُ على أحدٍ قبْلِي، ثُمّ يُقالُ: يا مُحمّدُ ارْفعْ**

رأْسك سلْ تُعْطهْ، واشْفعْ تُشفّعْ فأرْفعُ رأْسِي»[١]، فهذا الذي يحدث قبل أن يشفع النبي ﷺ، لا يشفع إلا في أهل التوحيد، لا يشفع إلا بعد الإذن، لا يشفع إلا من أذن الله أن يشفع، أول الشافعين محمد ﷺ، لا يتقدم أحد قبله من الأنبياء والرسل، كلٌّ يقول: نفسي نفسي. حتى إذا جاءوا إلى النبي ﷺ يقول: «**فأقُولُ: أنا لها، فأسْتأْذِنُ على ربِّي، فيُؤْذنُ لِي، ويُلْهِمُنِي محامِد أحْمدُهُ بِها لا تحْضُرُنِي الآن، فأحْمدُهُ بِتِلْك المحامِدِ، وأخِرُّ لهُ ساجِدًا، فيقُولُ: يا مُحمّدُ ارْفعْ رأْسك، وقُلْ يُسْمعْ لك، وسلْ تُعْط، واشْفعْ تُشفّعْ»**[٢]، ولا يبدأ بالشفاعة حتى يستأذن، فإذا أذن له شفع ﷺ في أمته في أهل التوحيد والإخلاص، فـ (إلا من شهد بالحق) ليس هذا معناه: أن من شهد بالحق يملك الشفاعة، بل لله الشفاعة جميعًا، الشفاعة التي تملك على الله شفاعة باطلة، الذين يظنون أن هناك من يملك الشفاعة على الله يمكن أن يشفع دون أذن من الله، هؤلاء يعتقدون شفاعة أبطلها القرآن ونفاها، وإنما من شهد بالحق وهم يعلمون، يشفعون بعد الإذن لا يملكون الشفاعة، لا يملك أحد الشفاعة من دون الله، فمن أثبت شفاعة شركية يملكها الولي أو النبي على الله ﷻ، يملكها عليه، يعني: يشفع لمن لم يرتضِ الله ﷻ، فقد كذب ببعض ما أخبر به الرسول ﷺ عن اليوم الآخر، فهذا يكون كفرًا، والعياذ بالله، وإن كان بعض ذلك يحتاج إلى البيان وإقامة الحجة قبل أن يُكفّر الشخص القائل بهذه العقائد الفاسدة، وهذا في الجملة

---

(١) كما في حديث الشفاعة الذي رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٨١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كما ذكرنا، هناك من يكذب بتفاصيل، وهناك أهل الكتاب الذين كفروا بالجنة، النصارى الذين كفروا بالجنة فقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، وكذلك من يجري مجراهم من زنادقة المسلمين ومنافقيهم ممن يقول: نعم نحن لسنا نتمتع بنعيم حسي في الجنة، فكل هذا من الكفر، والعياذ بالله، وكذلك الذين ينكرون عذاب الله ﷻ الحسي بأهل النار هم كذبوا ببعض ما أخبر به الرسول ﷺ، فمن كذب بعض ما أخبرت به الرسل؛ كأمر رؤية الله، وكأمر الشفاعة، وكأمر أن أحدًا لا يملك مع الله ﷻ يوم القيامة شيئًا، من كذب أن الله ﷻ هو مالك يوم الدين، لا يملك أحد معه من الأمر شيئًا، فهؤلاء كذبوا ببعض ما جاءت به الرسل عن اليوم الآخر، فكان هذا من الكفر بلقاء الله ﷻ، نعوذ بالله من ذلك.

❁ ❁ ❁

الْمسْألةُ الْعاشِرةُ بَعْدَ الْمِائةِ: قَتْلُ الَّذِينَ يأْمُرون بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقع هذا الأمر من أهل الكتاب، ووقع من المشركين، وقع من أهل الكتاب كما قتلوا النبيين؛ كما ذكر الله ﷻ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، وهم يقتلون أتباعهم الذين ورثوهم والذين بلغوا عنهم دعوة الحق بالأولى، وقد وقع من هؤلاء ممن ينتسب إلى أهل الكتاب من قتل أولياء الله الصالحين، كما قص الله ﷻ في قصة أصحاب الأخدود، والمشهور أن من فعل بهم ذلك كان ينتسب إلى أهل الكتاب، وقد قتل الموحدين منهم، وتاريخ أهل الكتاب أيضًا يشهد بذلك فقد قتلوا الموحدين من أتباع المسيح ﷺ، حتى لم يعد لهم وجود إلا غبر وبقايا قليلة في القفار والأديرة والصوامع والبيع، بعيدًا عن الناس، وتسلط على الناس من يشرك بالله ﷻ ويدعو إلى تألية المسيح وإلى التثليث، فقد وقع من أهل الكتاب قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، ووقع من المشركين؛ كما قال ﷻ عن قوم فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ

مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾، وقال ﷻ في قصة مؤمن آل يس: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾، (من بعده) دل ذلك على أنهم قتلوه، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم قاموا إليه بعد دعوته إياهم إلى الله ﷻ فداسوه بالأقدام، حتى قتلوه، والعياذ بالله[1]

فقتل الدعاة إلى الله ﷻ والآمرين بالقسط من الناس لم يزل في الأمم الكافرة من أهل الكتاب ومن المشركين، وقد ورثه الظلمة والمنافقون والزنادقة في هذه الأمة، وكلٌّ له نصيبه في ذلك، فالذين يحاربون الدعاة إلى الله ﷻ ويتهددونهم بالقتل، ويقتلون من قدروا عليه منهم أو من رأوا المصلحة في قتله، وهي المفسدة المحضة، هؤلاء ورثة الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، ومن كان يقتلهم لأجل دعوتهم إلى القسط وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فهذا محارب لله ﷻ ولرسله، فهو كافر، والعياذ بالله، ومن يقتلهم لأجل ملك أو سلطان، كما وقع من الحجاج بن يوسف الثقفي المبير الذي قتل من خلق الله ﷻ من أهل العلم من قتل، وكان منهم سعيد بن جبير رحمه الله، وكما وقع من يزيد عندما أرسل مسرف بن عقبة الذي كان اسمه مسلم فسماه العلماء مسرفًا لكثرة قتله في أهل المدينة، أرسله إلى المدينة لما خلعوا بيعة يزيد وأمرهم باستباحة المدينة ثلاثًا، فقتل من خلق الله ما لا يحصيه إلا الله، فأذابه الله ﷻ بعد أيام قليلة من استباحة المدينة،

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢٠/٥٠٨)، والقرطبي (١٥/١٩).

وأهلك أيضًا من أمره بذلك، فماتوا جميعًا خلال أشهر من استباحة المدينة[١].

نقول: من فعل ذلك لأجل الدنيا والملك والجاه والسلطان، فهذا ظالم فاسق عليه من الله ﷻ من أنواع العقوبة بقدر ما ظلم، وإن كان لا يخرج من الملة؛ لأنه يتأول، ولا يقتل من أجل الدعوة إلى القسط، من قتل لأجل الدعوة إلى التوحيد، من قتل من يأمر بشرع الله ﷻ والعدل الذي أنزله والعقيدة الصحيحة التي جاءت بها الرسل، فهذا لا يكون مسلمًا؛ وأما من قتل لأجل دنيا يصيبها، وإن كان المقتول يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بالقسط ويدعو إلى الله، فهو ظالم قد ارتكب جرمًا عظيمًا، وإن كان لا يخرج من الملة إذا فعل؛ لأنه انتهك هذه الحرمات غير معاند لشرع الله ﷻ ولا مستكبر عليه ولا آبٍ له ولا محارب له، إنما الذي يحارب شرع الله ﷻ والقسط الذين أنزله، فهذا هو الذي يكفر، والعياذ بالله.

نجد هذا الأمر قد وقع في المنتسبين لهذه الأمة ممن طلب الدنيا، وهو أكثر في العصور المتقدمة؛ وأما بعد أن ظهر النفاق، ونجم منذ أزمنة طويلة عندما نشأت الفرق الضالة المنحرفة كالباطنية، وأسسوا دولاً لهم، فصاروا يقتلون من يدعو إلى دعوة التوحيد وإلى الإيمان بالله وأسمائه وصفاته على ما جاء به الرسول ﷺ، وقد قتل الفاطميون - المعروفون بهذا الاسم أعني في التاريخ [٢]- من خلق الله من دعاة السنة ما لا يحصيهم إلا الله،

(١) انظر وقعة الحرة في: تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧)، والمعرفة والتاريخ (٣/ ٣٢٥ - ٣٢٨) والكامل (٣/ ٢١١)، والبداية والنهاية (٦/ ٢٦٢).

(٢) سبق التعريف بهم (٢/ ١٣).

ولا شك أن هذا من أعظم الجرائم، وهو داخل في قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس من أجل أنهم يأمرون بالقسط؛ لأنهم يقاومون ويحاربون دعوتهم الباطلة، فقتلوهم من أجل نشر السنة؛ ليمنعوا نشر السنة؛ ليمنعوا نشر الدين الحق، وهذا حاصل في كل الدول المنحرفة التي أقيمت على خلاف شرع الله ﷻ، وقع فيها قتْل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

ومن ضمن ذلك ما وقع أيام دولة التتر عندما سيطروا على بلاد المسلمين وكان فيهم من الرافضة المنتسبين إلى هذه المذاهب المنحرفة، من أمْرِهم باستباحة دماء المسلمين وقتْلهم؛ لأنهم يدعون إلى مخالفة مذهبهم، والعياذ بالله من ذلك، فهذا قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس من قبل أهل البدع ومن قبل أهل النفاق والزندقة، وقد وقع في العصور المتأخرة من ذلك ما لا يعلمه إلا الله، طبعًا بلا شك وقع من الكفار في دعاة المسلمين في البلاد التي أرادوا احتلالها، فكانوا يبدءون بأهل العلم ويقتلونهم، ويحرمون الدعوة إلى الله ﷻ؛ ليتمكنوا من نشر كفرهم وفسادهم، ووقع كذلك من المنافقين أمثال كمال أتاتورك، فقد قتل من علماء المسلمين بدولة الخلافة - في أثناء القضاء على هذه الدولة - ما لا يعلمه إلا الله، وكان يقتل كل من يدعو إلى شرع الله، بل سن قانونًا بذلك وبالحبس والسجن، وأن كل من يدع إلى تطبيق الشرع يعاقب أزجر العقوبات، ووصل الحال إلى أن صار من يفتِ بتحريم القبعة ولزوم لبس العامة أو نحوها بدلاً منها يقتل ويُعدم، وقد وقع كذلك في البلاد التي احتلها الروس والشيوعيون من قتْل الذين يأمرون بالقسط من الناس ومن قتْل الدعاة لأجل دعوتهم إلى الله، فقتلوا أعدادًا هائلة من المسلمين، ولا يزال هذا الميراث

موجودًا في كل من يحارب الدعوة إلى الله ﷻ، ويحارب الذين يأمرون بالقسط والدعوة إلى تحقيق الشرع الذي أنزله الله ﷻ، فهذا ميراث هؤلاء وأولئك الكفار من أهل الكتاب والمشركين هم سلفهم في هذا الباب، والناس يتفاوتون في قدر هذا الأمر، الناس يتفاوتون في قدر ميراثهم لهذا الأمر المنكر، وهو قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

ولقد واجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من ذلك في دعوته، عندما كان يدعو إلى توحيد الله ﷻ، وكان هناك من يحث على قتله ويأمر بقتل أتباعه كذلك، وقد حدث من ذلك ما حدث عندما شوهت صورة دعوته، حتى أرسل محمد علي جيوشًا كثيفة لاجتثاث هذه الدعوة، وقتل من قتل حتى دمرت الدرعية عاصمة الدولة في ذلك الوقت؛ من أجل إيقاف دعوة التوحيد، وهي دعوة القسط الذي أنزله الله ﷻ، تمكنوا من ذلك مدة، ثم جعل الله ﷻ العاقبة لأهل التوحيد والإيمان مرات عديدة، وقع سجال بين الفريقين، وكما ذكرنا لا يزال هذا الأمر قائمًا في كل مكان تظهر فيه دعوة الحق مستضعفة، وفي ظل دول كافرة أو منافقة يظهر فيها الكفر والنفاق تجد قتل الدعاة إلى الله، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس - وكما ذكرنا - يكون على درجتين: درجة الكفر الأكبر إذا كان يقتله لأجل دعوة الحق؛ لأجل أنه يدعو إلى الدين، ودرجة أخرى: هي درجة الكبيرة والمعصية والفسق، وهي إذا كان يقتله لأجل أنه ينازعه ملكه، وإن كان يأمر بالقسط ولا يقتله لأجل القسط، وإنما لأنه يرى فيه تهديدًا لملكه، نعوذ بالله من ذلك.

فلذلك نقول: يجب على كل مسلم أن يأمر بما أمر الله ﷻ به من القسط والعدل، ويحرم أن يعادي من يأمر بالقسط والعدل، من عادى المسلم لإسلامه ومن عادى المطيع لطاعته، فإنه معاد لله ولرسوله ﷺ، يكون فيه الكفر والنفاق؛ وأما من عاداه لأجل دنيا دون أن يكون محاربًا لما يدعو إليه، وإنما حاربه وخالفه لأجل ما يظن أنه ينافسه فيه من الدنيا، فهذه معصية من المعاصي، ولا يعني ذلك أن الإنسان إذا ارتكب الكفر لأجل الدنيا لا يكون كافرًا، كما يظن البعض ممن يقول: إذا ارتكب الإنسان شركًا أو كفرًا من أجل الدنيا لا يكون كافرًا، وهذا خلل عظيم، ولقد قال النبي ﷺ: «**بادِرُوا بِالْأَعْمالِ فِتنًا كقِطعِ اللّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كافِرًا، أوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافِرًا، يبِيعُ دِينهُ بِعرضٍ مِن الدُّنْيا**»[1]، فهذا دليل على أن من باع دينه بعرض من الدنيا كان كافرًا، لو وصل به الأمر إلى الكفر.

ولكن كما ذكرنا: من قتل إنسانًا لعداوة شخصية، وكان من صفته أنه يأمر بالقسط، فهذا داخل في هذا المنكر، وله نصيب من ذلك، لكن لا يكون كافرًا؛ أما من رأى أن في الأمر بالقسط وفي الدعوة إلى الله خطرًا على ملكه يقتضي محاربة ذلك، رأى أن في التزام الناس بالإسلام خطرًا على ملكه أو على سلطانه أو على ما حصله من ماله، وأنه لابد أن يصرف الناس عن الدين؛ حتى يبقى له ملكه وسلطانه، فهذا - والعياذ بالله - خارج عن ملة الإسلام، وتجد هذا كثيرًا فيمن يوالي أعداء الله ﷻ، الذين يقاتلون المسلمين من أجل السيطرة على بلادهم ومن أجل إبطال دينهم، ويرون في

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بقاء الدين مانعًا من السيطرة على الناس وعلى ثروات البلاد وخطرًا على وجودهم في هذه البلاد، فيسخرون من يفتن الناس عن الدين ويصرفهم عن القسط والعدل الذي شرعه الله ﷻ، وينتدب لذلك أناسًا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، فهؤلاء بلاشك قد باعوا دينهم بعرض من الدنيا فهناك فرق بين من يطلب الدنيا، ويرتكب الكبائر والمحرمات، وهو عالم بذلك، وبين من يبيع دينه لأجل الدنيا، يرتكب الكفر لأجل الدنيا، يحارب الدين ويحارب شرع الله ﷻ لأجل الدنيا، فهذا إذا باع دينه بعرض من الدنيا لم يكن مسلمًا، نعوذ بالله من ذلك.

وقد يكون البعض متأوِّلاً كما وقع - مثل ما ذكرنا - في شأن الحجاج، فإنه قد يكون متأولاً من أمور الدين في قتله من يقتلهم، فيمنع ذلك من تكفيره، كما على ذلك عامة أهل العلم أنهم لم يكفروا الحجاج، وإن كان قد وجد من علماء التابعين من كفره؛ لأجل عدوانه وانتهاكه لحرمات المسلمين العظيمة، ليس لأجل المعاصي، لكنهم رأوا فيما فعل حربًا على الدين، لكن عامة علماء المسلمين يرونه متأوِّلاً، وإن قتل العلماء والصالحين؛ لأنه إنما يقتلهم متأولاً أنهم خرجوا على إمامه الذي قد ثبتت بيعته، فهذا يمنع من تكفيره، نعوذ بالله من ذلك.

الخلاصة: أن هذه المسألة من مسائل الجاهلية يوجد فيها ما هو شرك أكبر، ويوجد فيها ما هو معصية وفسق وكبيرة من الكبائر في قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

الْمسْألةُ الْحادِية عشْرة والثّانِية عشْرة بَعْدَ الْمِائةِ: الْإِيمانُ بِالْجِبْتِ والطّاغُوتِ، تفْضِيلُ دِينِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۚ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

أما الإيمان بالجبت والطاغوت فقد ذكر الله ﷻ هذا عن اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾. قال غير واحد من السلف: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[1]، وذلك إيمانهم عملهم بهذا الأمر، عملهم بالسحر، فاليهود والنصارى مشتغلون بالسحر اشتغالاً عظيمًا، وهذا نوع من الإيمان به، وإن كانوا يذمونه في كتبهم وفي كلامهم، لكنهم يشتغلون به اشتغالاً عظيمًا، وقد قال ﷻ عن كفر من كفر من أهل الكتاب: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ

(١) انظر: تفسير الطبري [(٥/ ١٣٤، ١٣٥، ٤١٧) برقم (٥٨٣٤، ٥٨٣٥)]، والمحرر الوجيز (١/ ٣٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم [(٢/ ٤٩٥، ٣/ ٩٧٥)].

مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، فذكر الله ﷻ تعليم أهل الكتاب للناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل من هذا النوع، وذكر في هذه الآية إيمانهم بالجبت، وهو السحر، والعياذ بالله، مع أنهم يعتقدون بطلانه، ولكن سمى ذلك إيمانًا، فالذي يعمل بشيء ويصر عليه يكون مؤمنا به، وإن تكلم لسانه بخلاف عمله وحاله، والعبرة بعمله وحاله، فإذا كان هذا المرتكب كفرًا كان كافرًا، والعياذ بالله، وإن كان ينكر ذلك الكفر بلسانه، فإن من فعل الكفر أو قاله حتى ولو قال: هو حرام أو هو كفر، لكن كان فاعلاً له وكان قائلاً به، كان كذلك مؤمنًا بهذا الكفر، مؤمنًا بالطاغوت، والطاغوت المذكور في الآيات: الشيطان.

وكذا رؤوس الطواغيت الأخرى، ونحن نعلم بالقطع أن أهل الكتاب يذمون الشيطان، فالطاغوت الشيطان، أهل الكتاب لا يقولون: نحن نعبده، وإنما يؤمنون به باتباع أمره، إنما يؤمنون به بالتزام الكفر الذي يأمر به من تكذيب محمد ﷺ. جاء نفر من المشركين إلى أحبار يهود ليسألوهم عن محمد ﷺ، ويسألوهم عن دينهم: أدينهم خير، أم دين محمد ﷺ؟ فقال لهم أحبار يهود: بل دينكم خير من دينه، حقدًا وحسدًا لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه على ما آتاهم الله من فضله، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[1].

---

(١) روى ابن أبي حاتم عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبَ بْنَ الأَشْرَفِ إِلَى =

فكان ما ذكر الله ﷻ من إيمانهم بالسحر وعملهم به، وكما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في **(كتاب التوحيد)** كيف كان إيمانهم بالجبت والطاغوت[1]: هل كان على اعتقاد قلب؟ لا، لم يكونوا يعتقدون أن الشيطان يستحق أن يعبد، ولا كانوا يعتقدون أن محمدًا ﷺ كاذب، بل كانوا يصدقونه في باطنهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، لم يكن ذلك عن اعتقاد قلب، وإنما كان عملاً بالسحر وتصديقًا به، واتباعًا للشيطان في الكفر، وتفضيلاً لدين المشركين عباد الأوثان على دين أهل الإسلام، على ما بعث به النبي ﷺ، فهذا من مسائل الكفر التي ارتكبوها، والعياذ بالله من ذلك.

وهذا نستفيد منه عدة أمور، منها ما ذكرنا: من أنه إذا كان الإنسان قد ارتكب شركًا أو كفرًا وهو يعتقد حرمة ذلك، لا يكون له عذر في عدم تكفيره أنه يعلم أنه محرم، كما يدندن بعض المعاصرين على أن استحلال الكفر شرط في تكفير فاعله أو قائله، حتى قالوا: إن هذا الذي يرتكب سب الله ﷻ وسب رسوله ﷺ لا يستحل ذلك، فلا نكفره حتى يستحله بقلبه.

= **أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ نَصِلُ الأَرْحَامَ وَنَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِي الْمَاءَ عَلَى اللَّبَنِ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ، قَطَعَ أَرْحَامَنَا وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ بَنُوا غَفَّارٍ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ قَالُوا: أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى سَبِيلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ** ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٤)، ونقله عنه ابن كثير (٢/ ٣٣٠).

(١) انظر كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد (ص ٢٦٤).

وهذا من كلام شر أهل البدع، والعياذ بالله، فإن المكفرات لا يشترط فيها الاستحلال، وإنما الاستحلال يشترط في التكفير في ارتكاب الذنوب، أعني: أن من ارتكب ذنبًا دون الكفر ودون الشرك، وهو مستحل له بعد أن قامت عليه الحجة، كان كافرًا؛ وأما إذا ارتكبه من غير استحلال مع اعتراف بالذنب، كان عاصيًا فاسقًا، وهذا الذي اشترطه العلماء في أننا **(ولا نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهْلِ الْقِبْلةِ بِذنْبٍ ما لمْ يسْتحِلّهُ)**[1]، هو في الذنوب التي دون الشرك، ومن سوّى بين الشرك وما دونه في ذلك، فهو جاهل؛ لأن الله ﷻ فرق بينهما في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. فمن كفر بالذنوب مطلقًا كان من الخوارج، ومن كفر بها إذا استحلها الإنسان كان من أهل السنة، ومن لم يكفر بالمكفرات والشركيات إلا إذا استحلها الإنسان كان من المرجئة، فهذا القول الذي يجعل استحلال القلب شرطًا في المكفرات، شرطًا في التكفير بالمكفرات هو من جنس هذا الذي نزلت الآية ببطلانه ببيان ما عليه أهل الكتاب وذمهم عليه؛ لأن الآية ذمت من يؤمنون بالجبت والطاغوت، وهم يذمون الجبت والطاغوت، وهم يعتقدون بطلان الجبت وبطلان الطاغوت، ومع ذلك فعلوا فسمى الله فعلهم إيمانًا، وهم في أنفسهم يعتقدون أن دين الإسلام أفضل من دين المشركين، ويعتقدون أن محمدًا رسول الله، ومع ذلك لما نطقوا بهذا الكفر لعنهم الله ﷻ وحكم بكفرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾؛ لأنهم قالوا للذين كفروا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾.

---

(١) انظر: الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (١/ ٣١٦).

لذلك نقول: المكفرات والشركيات إنما يُشترط في تعيين الكفر والشرك لمن قام بها فعلاً أو قولاً أو اعتقادًا استيفاء الشروط وانتفاء الموانع؛ من إقامة الحجة، وإزالة الشبهة، ونفي التأويل، ونفي الإكراه، ونحو ذلك من الشروط، الشروط التي ليس من ضمنها اعتقاد حل هذا الذي ارتكبه من الكفر، نقول: قال النبي ﷺ: «**إِنّ اللّه وضع عنْ أُمّتِي الْخطأ والنِّسْيان وما اسْتُكْرِهُوا عليْهِ**»(١)، وقال ﷺ: «**رُفِع الْقلمُ عنْ ثلاثةٍ: عنِ النّائِمِ حتّى يسْتيْقِظ، وعنِ الصّغِيرِ حتّى يكْبر، وعنِ الْمجْنُونِ حتّى يعْقِل، أوْ يُفِيق**»(٢)، وقال ﷻ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾، فهذه الأعذار هي التي يعذر من ارتكب كفرًا أو شركًا وهي قائمة به، يعذر فلا يُكفر من كان مجنونًا، من كان مكرهًا، من كان لم تبلغه الحجة، من كان صبيًّا دون البلوغ، من كان مخطئًا غير قاصد أن يتكلم بهذا الكلام، وإنما أراد أن ينطق بلفظ فنطق غيره، أراد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، من كان ناسيا لأمر من الشريعة فأنكره؛ هذا الذي يمتنع تكفيره من أجل هذه الأدلة؛ وأما أن يُقال في المكفرات والشركيات إنه لابد أن يكون معتقدًا حلها بقلبه،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١١٢٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٦)، والدارقطني في سننه (٤/ ١٧٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤١/ ٢٢٤)، والدارمي (٢٢٩٦)، والنسائي في المجتبى (٦/ ١٥٦)، وفي الكبرى (٥٦٢٥)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وابن الجارود (١٤٨)، وابن المنذر في الأوسط (٢٣٢٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار(٢/ ٧٤)، وفي شرح مشكل الآثار (٣٩٨٧)، وأبو يعلى (٤٤٠٠)، وابن حبان (١٤٢)، والحاكم (٢/ ٥٩)، والبيهقي في السنن (٦/ ٨٤، ٢٠٦، ٨ / ٤١، ١٠/ ٤١٧)، وفي الشعب (٨٧).

فهذا لم يقله أحد من أهل العلم، ولم يأت به دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وإنما قال العلماء: «**ولا نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهْلِ الْقِبْلةِ بِذنْبٍ ما لمْ يسْتحِلّهُ**» في المعاصي والذنوب التي هي دون الشرك، فهذه لا يكفر مرتكبها إلا إذا استحلها؛ وأما أن يطبق هذا الشرط، شرط الاستحلال، على من ارتكب الشرك والكفر، وقد قامت عليه الحجة وثبتت عليه الأدلة، وكان مكلفًا عاقلاً بالغًا غير مُكره، وكان مستيقظًا، وكما ذكرنا ليس هناك مانع من موانع التكفير وقد استوفيت الشروط، فهذا ليس من كلام أهل السنة: أن يُمتنع من تكفيره حتى يقول: أنا أستحل ذلك.

من سجد لصنم بغير مانع من هذه الموانع التي ذكرنا، الشروط التي تُشترط هي عكس هذه الموانع المذكورة في الأحاديث، في حديث: «**رُفِع الْقلمُ عنْ ثلاثةٍ: عنِ النّائِمِ حتّى يسْتيْقِظ، وعنِ الصّغِيرِ حتّى يكْبر، وعنِ الْمجْنُونِ حتّى يعْقِل، أوْ يُفِيق**»، وقال ﷺ: «**إنّ اللّه وضع عنْ أُمّتِي الْخطأ والنِّسْيان وما اسْتُكْرِهُوا عليْهِ**»، وقول الله ﷻ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾، وهو يشمل الجهل والتأويل، الجهل الناشئ عن عدم البلاغ، فهذه الأعذار الثمانية التي تمنع التكفير، أو الموانع من موانع التكفير ليس من ضمنها عند أحد من أهل العلم أن يكون غير مستحل، فمن سب الله أو سجد لصنم أو رمى بالمصحف على الأرض ويقول: أنا أعلم أن هذا حرام، أنا مخطئ، أنا مذنب في ذلك، لا يكون ذلك عذرًا، بل يكون كافرًا حتى يتوب إلى الله ﷻ.

لذلك نقول: هذا من فوائد هذه المسألة، وهي وصف الرب ﷻ لهؤلاء من أهل الكتاب بأنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، وقد قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن

يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾، فنحن أمرنا أن نكفر بالطاغوت لا أن نؤمن به، فمن آمن بالطاغوت بأن اتبعه، بأن قال ما يقوله الطاغوت، ووافقه على ما يدعيه من صفات الإلهية أو حقوق الربوبية، ولو بلسانه ولو بعمله دون اعتقاد قلب، طالما أنه فعل كفرًا أو قال كفرًا، فهو كافر، وإن كان لا يقصد ذلك بقلبه، يعني: لا يظن أنه يخرج بذلك من الملة، أو أنه يقول: إنه يفعل ذلك، وهو غير مستحل. ليس الاستحلال شرطًا في المكفرات، الاستحلال شرط في التكفير بذنوب، وليس في التكفير بالمكفرات.

وكم من معتقد أنه على الباطل وهو يحارب دين الله ﷻ، وقد قال ﷻ عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾، فهم في أنفسهم كانوا يعتقدون أنفسهم على الباطل، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾، استيقنوا بآيات الله ومع ذلك كانوا ناطقين بالكفر فاعلين له، ولذلك كانوا كفارًا، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة، وإنما الخلاف فيمن ينكر عمل القلب من المرجئة، ويشترط التكذيب بالقلب أو التكذيب باللسان، وهذا بدعة ضلالة منكرة.

قوله ﷻ: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾، قد ورث هذا القول من قول أهل الكتاب، من قول الطواغيت من اليهود الأحبار الذين يعلمون صدق النبي ﷺ وفضيلة دينه، ومع ذلك يفضلون عبادة الأوثان على عبادة الرحمن وعلى ما بعث به النبي ﷺ، قد ورثه الكفار والمنافقون في الأزمنة المتأخرة كذلك، فالذين يحاربون دعوة التوحيد، ويقولون عن عبادة غير الله ﷻ؛ من عبادة القبور،

أو عبادة الأموات، أو عبادة الكبراء والسادة، وموالاة الكفار ونحو ذلك: إن هذه الملة خير من ملة الموحدين، يفضلون مثلاً من يقول بوحدة الوجود ويمدحونه ويثنون عليه، ويجعلونه قطبًا أكبر وكبريتًا أحمر، وأنه فوق العلماء والدعاة، ويفضلون هذه الملة المنحرفة القائلين مثلاً بوحدة الوجود على من يدعو إلى توحيد الله ﷻ لعداوة بينهم وبين دعاة التوحيد، فهؤلاء قد ورثوا هذا الذي قاله أحبار يهود، لما قالوا للمشركين عباد الأوثان: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾، وكذلك تجد هذا في الكفار في زماننا الذين ينتسبون إلى أهل الكتاب، فتجدهم يفضلون دين عبدة الأوثان والأبقار، ويتحالفون معهم ضد أهل الإسلام، واليهود والنصارى يفعلون ذلك كثيرًا، ويبحثون عن كل أهل الملل المنحرفة، ويتحالفون معهم ويتوالون مع بعضهم على حرب المسلمين، ويذمون أهل الإسلام أعظم الذم، وتجد المنافقين كذلك، يقولون للذين كفروا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾. يمدحون دين اليهود والنصارى، بل ودين عباد الأوثان من البوذيين والهندوس، ويذمون أهل التوحيد وأهل الدعوة إلى الالتزام بالإسلام أعظم الذم، وتجدهم يحاربونهم معهم، يتحالفون مع الملحدين، مع الشيوعيين، مع عباد الأوثان، مع عباد الأبقار، الهندوس وغيرهم ضد أهل التوحيد، تجد هذا في أهل الكتاب، وتجده في المنافقين، تجد من يفضل دين الكفر على دين الإسلام، ووالله يوجد أيضًا في ذلك من ينتسب إلى الدين وإلى الدعوة، حتى وجد من بعضهم من يزعم أن اليهود والنصارى ليسوا بكفار، وأن تكفيرهم غير جائز، وأن مرتكب الكبيرة من المسلمين مخلد في النار، فيجمع بين الضلالات، والعياذ بالله، هكذا

يفضل دين الذين كفروا على دين المؤمنين، يفضل دين المشركين على دين المسلمين؛ لأن دين المسلمين من ارتكب فيه الكبائر، يعني: بزعمه من كان مسلمًا وارتكب الكبائر كان مخلدًا في النار؛ وأما اليهود والنصارى فليسوا بكفار أصلاً، فهذا دعوة إلى الكفر، والعياذ بالله، تفضيل دين المشركين على دين المسلمين، نعوذ بالله من ذلك، فهذا ميراث ورثه هؤلاء من رؤوسهم في الكفر من رؤوس الطواغيت الذين أرادوا لحقدهم وحسدهم لرسول الله ﷺ، حقدهم على الرسول وعلى المؤمنين وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، فإنهم ذموا دين الإسلام، كما تجدهم يذمون دين الإسلام اليوم ويقولون: هو الإرهاب، ويقولون: هو التطرف، وفي نفس الوقت يمتدحون اللادينيين، بل ويعطون الجوائز للملحدين الطاعنين في الدين، تجد هذا والله أمرًا عجيبًا، يكافئون من يحارب الإسلام ويطعن فيه ويذمه، ويحاربون أهل الإسلام بكل ما استطاعوا، وهذا تفضيل لدين المشركين على دين المسلمين، وهؤلاء هم الذين قد آمنوا بالطاغوت، وكل من وافق طاغوتًا من الطواغيت، ليس فقط الشيطان، الشيطان طاغوت هو رأس الطواغيت؛ لأنه يدعو إلى عبادة غير الله، لكن نقول: كل من وافق طاغوتًا من الطواغيت؛ من ساحر، أو كاهن، أو حاكم بغير ما أنزل الله، أو مبدل لشرع الله، أو معبود من دون الله وهو راض بتلك العبادة، فهو يوافقه على ما يدعيه فله مشابهة، وله نصيب من هذا الميراث، وهو مؤمن بالطاغوت، وإن اعتقد في قلبه أن هذا الطاغوت باطل وكذب وزور، أو أنه لا يستحق شيئًا من ذلك، فليس ارتكاب الكفر نطقًا أو اعتقادًا أو فعلاً، ليس يكفيه أن يقول أو أن يعرف أنه باطل أو أنه مخالف لما جاءت به

الرسل، لا يكون ذلك عذرًا عند الله ﷻ، نعوذ بالله من الإيمان بالجبت والطاغوت، ونعوذ بالله من موالاة الكافرين، ونسأل الله ﷻ أن يثبتنا على دينه إلى الممات.

❁ ❁ ❁

الْمسْألةُ الثّالِثة عشْرة والرّابِعة عشْرة بَعْدَ الْمِائةِ: لبْسُ الْحقِّ بِالباطِلِ، كِتْمانُ الْحقِّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ عن أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾، لبس الحق بالباطل، مزج الحق بالباطل خطة شيطانية إبليسية قديمة قِدم الشرك في البشرية، ما مر الشرك ولا الباطل على الناس إلا بمزجه بشيء من الحق ولبسه بشيء من الحق؛ لأن الله فطر العباد فطر قلوبهم على الميل للحق وكراهية الباطل، فالحق طيب مقبول والباطل خبيث مردود لا تقبله النفوس ولا تميل إليه، بل تبغضه وتكرهه، ولا يستطيع أن يمرره الشيطان إلى قلوب الناس إلا من خلال مزجه بشيء من الحق يقبلون من أجله الباطل، ويمر الباطل عليهم كما يوضع الدواء المر في وسط كبسولة أو قرص يغلف بشيء من السكر؛ حتى تستطيع النفوس أن تبتلعه وتقبله، ولو نظرنا إلى ما حدث للأبوين آدم وحواء - عليهما السلام -، لعلمنا أن لبس الحق بالباطل هو سبب بلاء البشرية، قال ﷻ عن إبليس: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾، كان الأمر بتناول الشجرة المحرمة لا يُقبل ولا يصلح، وقد علم آدم أن ربه نهاه عن هذه الشجرة وإبليس يعلم ذلك، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾، ترغيب في نفع غير حقيقي وغير متصور في مخالفة الأمر، ولكن الذي حدث أن ذلك غير مقبول، فلجأ إبليس إلى

القسم الذي ظاهره تعظيم اسم الله ﷻ؛ ليستعين بهذا على مخالفة أمر الله ﷻ، يظهر التعظيم لأمر الله، وفي بعض الآثار أن آدم عليه السلام قال: «**ما حسبْتُ أنّ أحدًا يحْلِفُ بِك كاذِبًا**»(١)، كما قالت الجِنّة: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نَّقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾، وقد كذب الإنس وكذب الجن - الكفار منهم - على الله ﷻ، فلما قاسمهما إني لكما لمن الناصحين، غرهما؛ ولذلك لا يصح أن يقال في هذا المقام: من غرنا بالله اغتررنا به. ليس هذا هو مقام هذه الكلمة؛ لأن من علمت أنه لبس الحق بالباطل يريد أن يغرك، فلا تقبل غروره، وإنما قالها ابن عمر رضي الله عنهما كما روي أنه كان يعتق من يواظب على الصلاة من عبيده(٢)، من يظهر المحافظة على الفرائض والنوافل ونحو ذلك فكان بعض هؤلاء العبيد يظهرون العبادة ويظهرون الإكثار من الصلوات، فيقولون لابن عمر: هؤلاء ليسوا كذلك. فيقول: من غرنا بالله اغتررنا به. يعني: أمرنا أن نقبل الظاهر، وليس علينا النقب عن البواطن؛ وأما من علمت أنه لبس الحق بالباطل، فهذا هو الخطر أن تقبل حاله مجملاً على ما هو فيه على ما تضمنه من الباطل، ولقد ذكر الله ﷻ أيضًا في قصة قوم نوح عليه السلام ما لبس الشيطان به عليهم، قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١١١)، وزاد المسير (٢/ ١٠٨)، وابن كثير (٣/ ٣٩٨).

(٢) انظر: أسد الغابة (٣/ ٢٣٩)، وتاريخ دمشق (٣١/ ١٣٣)، والطبقات لابن سعد (٤/ ١٢٦) قال: (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ عبد العزيز بن أبي رواد قال: أخبرني نَافِعٌ أَنَّ عبد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا رَأَى مِنْ رَقِيقِهِ امْرَأً يُعْجِبُهُ أَعْتَقَهُ فَكَانَ رَقِيقُهُ قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ. قَالَ نَافِعٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ غِلْمَانِهِ رُبَّمَا شَمَّرَ وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَآهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْحَسَنَةِ أَعْتَقَهُ. فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَاللَّهِ يَا أَبَا عبد الرَّحْمَنِ مَا هُمْ إِلا يَخْدَعُونَكَ. قَالَ فَيَقُولُ عبد اللَّهِ: فَيَقُولُ عبد اللَّهِ: مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ).

وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ كان هؤلاء من الصالحين في قوم نوح عليه السلام، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**أسْماءُ رِجالٍ صالِحِين مِنْ قوْمِ نُوحٍ، فلمّا هلكُوا أوْحى الشّيْطانُ إلى قوْمِهِمْ أنِ انْصِبُوا إلى مجالِسِهِمُ الّتِي كانُوا يجْلِسُون أنْصابًا وسمُّوها بِأسْمائِهِمْ، ففعلُوا، فلمْ تُعْبدْ، حتّى إذا هلك أُولئِك وتنسّخ العِلْمُ عُبِدتْ**»[1]، فكان أول شرك وقع على ظهر الأرض بسبب مزج الحق بالباطل، فالحق هو حب الصالحين، فالناس تحب الصالحين، أحبوا ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، علماء أجلاء، لبس الشيطان هذه المحبة بالغلو المحرم، حتى صنعوا التماثيل التذكارية، ولم يبدأ معهم بعبادة التماثيل أو الأصنام، وانتظر حتى هلك ومات تلامذة العلماء، فأوحى إلى تلامذة التلامذة ومن أتوا بعد ذلك، لما تفرغت عقولهم من العلم، نسي العلم ونسخ وأزيل، لما فرغت قلوبهم من العلم وحلت محلها الخرافات والتقليد الأعمى والحب الجارف الغالي في الصالحين؛ قال لهم: إنهم كانوا يستسقون بهم فيسقون إنهم يصرفون لهم العبادة فينتفعون، فعبدت، ثم صارت تسمى آلهة صراحة.

وتأمل ما عند أهل الكتاب: ما الذي مرر عليهم الباطل؟

الذي مرر عليهم الباطل مزجه بالحق، الذي مزج حب الأنبياء واتباع المرسلين، هذا أمر حق مزجه بمخالفة ما جاء به، فالنصارى يحبون المسيح - فيما يظنون - حبًّا جمًّا ويعظمونه، أدخل الشيطان مع هذا الحب

(١) سبق تخريجه (١/ ٤٠).

الغلو، كما قال النبي ﷺ: «**إِيّاكُمْ والْغُلُوّ فِي الدِّينِ، فإنّما أهْلك منْ كان قبْلكُمُ الْغُلُوُّ**»(١)، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾، دل ذلك على أن الغلو واقع فيهم، وقال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي، كما أطْرتْ النّصارى ابْن مرْيمَ، فإنّما أنَا عبْدُهُ، فقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»(٢)، ومن هنا لابد أن نحذر من هذه المسألة حذرًا شديدًا، سبب ضلال الأمم وانحراف الأمم هو مزج الحق بالباطل، لبس الحق بالباطل، وذلك أن الشيطان يمرر الباطل إلى القلوب من خلال شيء من الحق يكون معه؛ ولذلك ما أخطر أن يقول البعض: ننظر إلى الحق الذي عند الناس، ونسكت عن باطلهم، ونتكلم في القدر المشترك، هذا مزج الحق بالباطل حقيقة الذين يقولون: حينما نتكلم عن حوار الأديان نتكلم عن القدر المشترك، الواجب أن تتكلم عن القدر المفارق، وليس القدر المشترك، القدر المشترك هذا هو الذي يمزج بسببه الحق بالباطل، فعندما يقال مثلاً: إن الملل تحرم الزنا، أو أن اليهودي والنصراني يقولون بوجود الله، فهل هذا مبرر لكي يكونوا هم على حق جملة؟ وهم يؤمنون بالأنبياء والكتب جملة، لكنهم غلوا في الأنبياء، حتى رفعوهم إلى منزلة الألوهية، وادعوا فيهم الربوبية، وادعوا لله ﷻ الصاحبة والولد، فكان هذا الباطل الذي مزج بحق محبة الأنبياء واتباعهم سببًا لكفر من كفر، والعياذ بالله من ذلك.

ولذلك نقول: لابد أن يفرق وأن يميز بين الحق والباطل، وأن يكفر بالطاغوت ويكفر بما يعبد من دون الله، ولو كان عند قائله شيء من الحق،

(١) سبق تخريجه (١/ ١٧٣).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٥٥).

لا نقول: ننظر إلى الحق الذي عندهم ونسكت على باطلهم، بل ربما وصل الحال بالبعض إلى أن يلبسوا على الناس تلبيسًا عظيمًا، حتى قال بعضهم مُعرِّضًا أو متأولاً، والعياذ بالله من ذلك، ينطق الكفر البواح حين يقول مثلاً في مجال الاعتذار للنصارى عن من دافع عن الدين ووصف أحوالهم بالكفر، فيقول: إننا نحترم العقيدة المسيحية ونؤمن بها إيمانًا شديدًا. هذا والعياذ بالله من الكفر البواح، لأن حتى ولو قال: إننا نعتقد أن العقيدة المسيحية هي عقيدة المسيح عليه السلام أنه لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله. فمن يقول ذلك؟ أنت تخاطب من يقول: إن الله ثالث ثلاثة، ومن يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم. فأنت تلبس الحق بالباطل عندما تقول: إن الحق الذي جاء به المسيح نحن نقبله، ولكن أنت تخاطب من يكفر بما جاء به المسيح، ويكذب ما جاء به المسيح من أنه عبد الله ورسوله، فكيف تقول إنك تحترم هذه العقيدة؟! بل تؤمن بها، إذا آمنت بها كفرت بالقرآن العظيم، من آمن بهذه العقيدة المشار إليها بالألف واللام التي هي للعهد عند الناس، ما هي العقيدة المسيحية في ظنهم؟ هل عقيدة المسيح التي جاء بها القرآن، أم التي يقررون فيها الأقانيم الثلاثة وبنوة المسيح للرب وانبثاق الابن من أبيه، مولودًا من أبيه قبل كل الدهور، إلهًا من إله؟ ونعوذ بالله من ذلك.

أيقول ذلك مسلم يؤمن بالله والقرآن والنبي ﷺ؟! لبس الحق بالباطل أمر خطير، ويؤدي إلى انحراف الأمم الذين ذمهم الله ﷻ بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾. يلبسون الحق بالباطل؛ لأن الكتاب عندهم مليء بالتوحيد، لبسوا هذا الحق بأشياء من الكذب والباطل والتحريف، وحين عجزوا أدخلوا في دينهم أمورًا ليست في الكتاب

الذي بين أيديهم، جعلوها ملزمة للناس، لو تأملت أقوال المسيح في الإنجيل وما قبله من كلام الأنبياء في التوراة التي بين أيديهم إلى يومنا هذا، التوراة والإنجيل إلى يومنا هذا مليئة بأنواع التوحيد، التي لا يشك عاقل في أن دعوة الرسل قائمة أساسًا على التوحيد، يكفي أن الوصايا العشر التي أوصى بها موسى عليه السلام من الرب ﷻ، والتي هي ما زالت محفوظة عندهم يقررونها، الوصية الأولى التي هي أول الكل: الرب إلهنا رب واحد، رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ولما سأل المسيح عن أي الوصايا هي أول الكل؟ هل نقض هذا الناموس؟ هل نقض هذا الوحي وقال لهم: أن تعترفوا بالخطيئة وأنه لا بد لكم من فداء إلهي، ذبيحة إلهية، تصلب من أجلكم، ومن لم يقبل عقيدة الخلاص من خلال المسيح المصلوب يكون كافرًا مخلدًا في النار؟! وهل قال: إن الله ثلاثة أقانيم فلابد أن تعتقدوا ذلك؟! لا والله، عندهم في الإنجيل أنهم قالوا: (**أيّةُ وصِيّةٍ هِي أوّلُ الْكُلِّ؟فأجابهُ يسُوعُ: إنّ أوّل كُلِّ الْوصايا هِي: اسْمعْ يا إِسْرائِيلُ. الرّبُّ إِلهُنا ربٌّ واحِدٌ. وتُحِبُّ الرّبّ إِلهك مِنْ كُلِّ قلْبِك، ومِنْ كُلِّ نفْسِك، ومِنْ كُلِّ فِكْرِك، ومِنْ كُلِّ قُدْرتِك. هذِهِ هِي الْوصِيّةُ الأُولى**)، يعني: لم يغير شيئًا، كما هو في التوراة، (**الرّبُّ إِلهُنا ربٌّ واحِدٌ. وتُحِبُّ الرّبّ إِلهك مِنْ كُلِّ قلْبِك، ومِنْ كُلِّ نفْسِك، ومِنْ كُلِّ فِكْرِك**)[1]، وهذا قرره المسيح مرات عديدة، ولا يمكن أن ينكره لا اليهود ولا النصارى أن العقيدة الأولى والمسألة الكبرى، التي جاء بها الأنبياء جميعًا وفي كتبهم، هي مسألة التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى بالوحدانية ربًّا وإلهًا، ينقلون عن المسيح نصًّا واضحًا أن المسيح يقول لله ﷻ: (**وهذِهِ هِي**

(١) انظر: انجيل لوقا (١٠).

الْحياةُ الأبدِيّةُ: أنْ يعْرِفُوك أنْت الإِله الْحقِيقِيّ وحْدك، ويسُوع الْمسِيح الّذِي أرْسلْتهُ)[١]، وهذا في إنجيل يوحنا بالنص، لا إله إلا الله عيسى رسول الله، كلام واضح لا يحتمل غير ذلك، وتفرقة بين الله وبين المسيح، هو الذي يقرر ذلك ويقول له الشيطان: **(فأجابهُ يسُوعُ وقال: اذْهبْ يا شيْطانُ! إِنّهُ مكْتُوبٌ: لِلرّبِّ إِلهِك تسْجُدُ وإِيّاهُ وحْدهُ تعْبُدُ)**[٢] أي كلام أوضح من ذلك؟ من الذي ينادي بهذه العقيدة؟

هذا كله لُبِس بـ: «في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله»! انظر للكلام العجيب المركب من جمل فعلاً ركيكة لا تحتمل إلا أن تكون مفبركة، وفي الحقيقة لا تدل على العقيدة الفاسدة في التثليث دلالة صريحة رغم أنها مخترعة (في البدء كان الكلمة) كلام الله ﷻ صفة من صفاته، ونحن نقر بذلك، ولم يزل الله متكلمًا إذا شاء، (وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله)، كلام متناقض في الحقيقة، ومع ذلك فنحن نقول: عيسى كلمة الله، ولكن ليس أن عيسى هو ذات الكلمة، كان عيسى بكلمة من الله، انظر هذا أوضح نص عندهم في التثليث، وهو ليس بواضح، وقال: عمِّدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس. لم يقل إله واحد في الحقيقة في نص الإنجيل، وإنما زيدت هذه في العقائد الفاسدة، وإلا لو كانت هذه النصوص موجودة، فلماذا احتاجوا إلى أن يعقدوا مجمعًا؛ حتى يقرروا فيه عقيدة الإيمان، كما يسمونها: (عقيدة الإيمان المسيحية)، أو

---

(١) انظر: انجيل يوحنا الاصحاح (١٧).

(٢) انظر: انجيل لوقا (٤).

يسمونه: (قانون الإيمان المسيحي)، الذي نصوا عليها في مجمع نيقية، التي نصوا فيها على التثليث وعلى ألوهية المسيح، وعلى ألوهية الروح القدس، وعلى قضية الانبثاق والولادة، وعلى قضية الصلب كذلك، لو كانت نصوصًا موجودة لما لجئوا إلى ذلك، ولما اختلف فيها من اختلف، حتى كانت الأكثرية على توحيد الله ﷻ، لكن كما ذكرنا لبسوا الحق بالباطل، أصبح دين النصرانية كما يقول (بابا الفاتيكان) من قريب: (**إن الديانة المسيحية المبنية على تعاليم المسيح والفلسفة اليونانية**). كلام واضح في أن هناك خلط بين تعاليم المسيح وبين الفلسفة اليونانية، ونصوص قانون الإيمان المسيحي تؤكد ذلك تأكيدًا صريحًا، يقول هذا القانون: (نؤمن بإله واحد خالق الكل، ضابط ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بأقنوم الابن المولود من أبيه قبل كل الدهور إله من إله، مساو لأبيه في الجوهر. .)، من جوهر أبيه كلمة (جوهر) هذه ليست من كلام المسيح في الإنجيل ولا في كلام الرسل قبله في التوراة ولا في كتب الرسل قبل ذلك أو بعد ذلك نهائيًّا، كلمة (جوهر) هذه إنما كانت في كلام الفلاسفة اليونانيين، وكذا قضية الانبثاق، يقول: المولود من أبيه قبل كل الدهور، كلمة (المولود من أبيه قبل كل الدهور) تناقض واضح، هو من عقيدة الانبثاق والوجود المطلق الذي فاض منه أنواع من الوجودات عند الفلسفة اليونانية القديمة، ويؤكدون هذا؛ ولذلك الفلاسفة اليونان لا يعتقدون بأن العالم محدث؛ لأنهم يقولون بالانبثاق، ففكرة الانبثاق هذه فكرة موجودة عند الفلسفة اليونانية: أنه يوجد وجود مطلق فاض منه العقل الكلي، ثم فاض منه عشرة عقول، ثم فاض من ذلك عقول البشر الجزئية، ثم في سلسلة من الفيوض بعد العقل الكلي،

النفس الكلي، ثلاثة أيضًا: وجود مطلق وعقل ونفس، هي نفس التثليث موجود عند اليونان، وتجد يقولون: العقل هذا هو الكلمة، هو الكلام المعبر عن العقل، والنفس هي الروح القدس؛ لذلك تجد هذا التثليث هو أصلاً من عقيدة اليونان، عند اليونان واجب الوجود فاض منه العقل الكلي وفاض منه النفس الكلي، صوفية المسلمين المنتسبين للإسلام الذين هم ملحدون في الحقيقة، يقولون: أصلاً العقل الكلي هو جبريل الذي يحمل الكلمة الذي يأتي بالوحي، والنفس الكلي هو الروح القدس. يحاولون أن يلبسوا العقيدة اليونانية أسماء إسلامية لكي يروجوها على الناس، والعياذ بالله؛ ولذلك تجد أن الصوفية المتفلسفة يتعلقون كثيرًا بمثل هذه المصطلحات؛ ولذلك يقولون بأن روح الولي يمكن بالشفافية أن تصل إلى ما يصل إليه وحي النبي؛ لأن هذا فيض من جهة أخرى، كما أن العقل الفعال أو العقل الكلي الذي فاض من واجب الوجود هو جبريل، الذي يتكلم على لسان الأنبياء بالكلام الذي يقوله الله، هي الكلمة أيضًا، فالنفس الكلي الذي فاض من واجب الوجود أيضًا فاض منه الفيض الثاني الذي هو انبثق منه، كنص النصارى بالضبط، ويقولون: الروح القدس المنبثق من الآب. يُحددون، فهذا دليل على أنهم لا يمكن أن يكونوا ثلاثة متساويين، ولا يمكن أن يكونوا ثلاث شخصيات للإله، فهذا تحديد، هذا مولود من الأب، وهذا مولود من الأب. نفس عقيدة الفلاسفة تمامًا، وكما ذكرت نفس عقيدة منحرفة الفلاسفة الزنادقة من المنتسبين للإسلام، يقولون: الروح القدس هذا لما الإنسان روحه تتطهر، يحصل نوع من الشفافية؛ حتى يصبح ما في اللوح المحفوظ منقوشًا في قلب الولي فيخبر بكل شيء؛ ولذلك

الغلو في الأولياء موجود عند هؤلاء، كما ذكرتُ تشابه كبير جدًا، وتشابه موجود عند الهنود ونحو ذلك، قضية الانبثاق هذه مما لمسوه؛ ولذلك صدق من قال: إن هذه ليست تعاليم المسيح قط.

تعاليم المسيح عندهم في أنه لابد أن تتطهر، ومن ضربك على خدك الأيمن أدِرْ له خدك الأيسر، ومن سخرك ميلاً فسر معه ميلين، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك، وهكذا. تعاليم المسيح أن تكونوا طيبين ولا تؤذون الناس، وتتحملوا أذاهم، وصلوا وصوموا؛ وأما الفلسفة اليونانية فهي مصدر العقيدة.

فلبس الحق بالباطل كان من أخطر ما أدى إلى انحراف الأمم، فمن لبس الحق بالباطل عند المشركين من عباد الأوثان، كانوا يقولون في تلبيتهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان الْمُشْرِكُون يقُولُون: لبّيْك لا شرِيك لك، قال: فيقُولُ رسُولُ اللهِ ﷺ: ويْلكُمْ، قدْ قدْ، فيقُولُون: إِلّا شرِيكًا هُو لك، تمْلِكُهُ وما ملك**»[1]، يأتون بهذه الجملة الفظيعة.

يقول لهم النبي ﷺ: «**قدْ قدْ**». يعني: اكتفوا بلبيك لا شريك لك لبيك، تأتي تتأمل (لبيك لا شريك لك لبيك) كيف تمشي مع إلا شريكًا هو لك ملكته وما ملك؟! لبس الحق بالباطل، هذه نقطة متناقضة مع (لا شريك لك)، تناقض بيِّن، كما لبس عليهم الشيطان في أمر الغرانيق، أسمعهم شيئًا لم يتكلم به الرسول، مع أن الذي بعده ينقضه، كما في: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾. حبهم لأوثانهم

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥).

أدى إلى أن يتوهموا أو يسمعهم الشيطان ويلقي في أسماعهم أن هذه هي تلك الغرانيق العلى، إن صحت القصة، والقصة عند الكثيرين باطلة، لكن قد يكون لها أصل في كون المشركين يسمعون باطلاً لم يقله النبي ﷺ، يلقيه الشيطان في أسماعهم أثناء قراءة النبي ﷺ، والله أعلى وأعلم[1].

---

(١) هذه رواية باطلة لا أصل لها كما ذكر ذلك المحققون مثل ابن العربي والقاضي عياض وغيرهم. سئل ابن إسحاق- جامع السيرة النبوية- عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا.

وقال الإمام البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواتها مطعون عليهم، وليس في الصحاح ولا التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه، فوجب اطّراحه، ولذا نزهت كتابي عن ذكره فيه.

وقال الحافظ ابن كثير (٥/ ٤٤١): وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح.

وقال العلامة الآلوسي في روح البيان (١٧/ ١٨٢) ما ملخصه: قال أبو منصور الماتريدي: هذا الخبر من إيحاء الشيطان إلى أوليائه الزنادقة، والرسالة بريئة من هذه الرواية.

وقال القاضي عياض: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواة ثقة بسند سليم متصل.

وقال العلامة الآلوسي: ويكفي في ردها قول الله تعالى في وصف القرآن لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ا.هـ.

وقال الإمام الشوكاني في فتح القدير(٣/ ٥٤٦): قال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

وقال القاضي عياض في الشفا: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا.

وقد جمع الألباني رحمه الله رسالة في ذلك وسماها (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق)

انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٦٠٤)، وزاد المسير (٣/ ٢٤٤)، وابن كثير (٥/ ٤٤١).

المقصود: أن لُبس الحق بالباطل المستمر موجود، حب إبراهيم عليه السلام وتعظيم إبراهيم عليه السلام، وتعظيم الكعبة، وحب وتعظيم أمر إسماعيل عليه السلام، لُبس بأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا يستقسمان بالأزلام، دخل النبي ﷺ الكعبة فوجد فيها صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يستقسمان بالأزلام، فقال ﷺ: «**قاتلهُمُ اللّهُ، لقدْ علِمُوا: ما اسْتقْسما بِها قطُّ**»(١).

انظر الكذب والباطل لكي يُروّج على الناس أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا يفعلان ذلك؛ ولذلك قضية خطيرة جدًا لُبس الحق بالباطل، لابد أن يحذر أهل الإسلام من لُبس الحق بالباطل، كما وقع أهل البدع في هذا الأمر، انظر إلى كثرة قراءة الخوارج للقرآن، كثرة صلاتهم، وكثرة صيامهم، كل هذا من الحق، لكن لم يعرفوا حقيقته الباطنة، ظاهر فقط لبسوه بالغلو الذي أتوا به في تكفير المسلمين وانتهاك حرماتهم وسفك دمائهم، وانظر إلى الرافضة كان الحق الذي عندهم حب آل بيت النبي ﷺ، ولكن هل حب أهل البيت يعني بغض أصحاب محمد ﷺ؟!

لماذا أوقعتم العداوة بين من كانوا متحابين في الله سبحانه وتعالى، وكان علي رضي الله عنه طوال فترة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وزير صدق لهم، مؤيد لهم، يزوج بنته أم كلثوم شقيقة الحسن والحسين رضي الله عنهما، ابنة فاطمة رضي الله عنها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، أترون أن عليًّا رضي الله عنه يزوج ابنته بنت فاطمة رضي الله عنها حفيدة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، أَبَى أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنَ الأَزْلاَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ، ثُمَّ دَخَلَ البَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِي البَيْتِ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ**».

النبي ﷺ برجل في اعتقاده كافر، والعياذ بالله؟!

أيرضى؟ حتى تلد له، ويمكِّن رجلاً مرتدًا يزعمون أنه - والعياذ بالله - فيه داء قوم لوط، ونعوذ بالله من ذلك، يعني: يُمكِّنه من ابنته العفيفة الطاهرة حفيدة النبي ﷺ؟! ما أقبح هذا الاعتقاد! كفر فظيع - والعياذ بالله - أن يُغالى في أهل البيت ويصل بهم الحال إلى عبادة أهل البيت من أجل التلبيس، كما ذكرنا حقيقة الأمر علي رضي الله عنه يسمي أبناءه: أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويكرر التسمية - يعني الذي يموت منهم - وجاءه مولود آخر، عنده الأكبر والأصغر يسميهم بأسماء الصحابة رضي الله عنهم، وخصوصًا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. أكان علي في كل ذلك يداري ويداهن ولا يتكلم بحرف مما يعلمه من أنه الوصي، وأن هؤلاء قد كفروا حين أبوا أن ينفذوا وصية رسول الله ﷺ؟! سبحان الله! حب علي رضي الله عنه فرض، ونحن ندين الله بحب علي، وحب أهل بيت النبي ﷺ فرض، ونحن نحبهم في الله عز وجل لقرابة النبي ﷺ ونعرف قدرهم، ونقدم حبهم على حب قرابتنا، ونحبهم أشد من حب قرابتنا؛ ولذلك لأن الله فرض ذلك؛ ولأن ذلك علامة على حب النبي ﷺ، لكن لا نغالي فيهم ولا ننصب عداوة بينهم وبين أصحاب محمد ﷺ، لا نجعل هذا اللبس سببًا للغلو فيهم، الحق حب آل البيت والباطل الغلو فيهم، لبسوا الحق بالباطل، حتى تجرأ عبد الله بن سبأ[1]، وقال: إن عليًّا هو الله. فأراده فطلبه علي فلم يدركه، وأدرك أتباعه فحرقهم بالنار لما أبوا أن يرجعوا عن هذه الفرية العظيمة والكفر البواح.

---

(١) سبقت ترجمته (٢/ ١٠).

المختار الثقفي ما الذي وصل به الحال إلى أن يصبح ذا أتباع؟ شيء من الحق، الانتصار للحسين رضي الله عنه بعد قتله، المختار الثقفي كما ذكرتُ لكم قبل ذلك، قال النبي ﷺ: «**أنّ فِي ثقِيفٍ كذّابًا ومُبِيرًا**»[1]، الكذاب هو المختار بن عبيدة الثقفي، والمبير - المهلك القاتل سفاك الدماء -: الحجاج بين يوسف الثقفي، فهذا الرجل، المختار الثقفي، بداية أمره لم يكن الكفر الذي قال به، ولا ادعاء النبوة، وإنما كان الانتصار من قتلة الحسين رضي الله عنه، وحب الحسين رضي الله عنه وتعظيم قدر أهل البيت، فالتّف حوله جماعات، وبالفعل تمكن من قتل جماعة ممن شارك في قتل الحسين رضي الله عنه، وهنا عظُم قدره عند الناس، فبدأ يستخف بعقولهم، ويدعي خوارق للعادات، ثم ادعى بعد ذلك أن جبريل يأتيه، والعياذ بالله، ووصل به الحال إلى ادِّعاء الوحي، فكان - والعياذ بالله - هذا الكذاب الذي قُتِل - بحمد الله - زنديقًا منافقًا، فكان هذا الأمر كما ذكرتُ لبس الحق بالباطل أن يأخذ جانبًا من الحق، ويلبس معه شيئًا من الباطل، ويتضمن غالبًا كتم الحق المضاد لهذا الباطل، يعني: هؤلاء النصارى أترونهم يذكرون لأتباعهم النصوص التي نذكرها؟! هي موجودة في الأناجيل، محاولات إخفائها حتى لا يسمعها هؤلاء، عوامهم لا يسمعون ليلاً ونهارًا إلا باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد، ربنا إلهنا يسوع المسيح، ألا توجد مرة واحدة يسمعونهم ويقرءون عليهم ما قاله المسيح: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»، أنه كان يصلي هناك، أنه كان يسجد هناك، صلاتهم للعجب ليس فيها سجود! فلماذا لا تسجدون كما كان يسجد المسيح؟! الإنجيل يتضمن أن المسيح كان يسجد وأنتم

(١) سبق تخريجه (٢/ ١٣٧).

لا تسجدون، إنما في الحقيقة تسجدون للأساقفة والبطارقة والقساوسة والباباوات، وهذا من مظهر الوثنية والشرك، والعياذ بالله، لا يسجدون لله كما كان يسجد المسيح؛ لذلك يحصل كتمان للحق، كما كتموا صفة النبي ﷺ، كتموا بعثته ﷺ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا به، يقولون: سيبعث نبي نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين، والعياذ بالله من ذلك، فكتمان الحق لماذا؟ لأنه لو ظهر الحق كاملاً لترك الناس الباطل الذي لبسوه بالحق؛ لذلك لابد أن نعلم خطر هذا الأمر.

أهل البدع من أهل الإسلام عندهم نفس القضية في كل طائفة من الطوائف تغلو في جانب، تقول حقًّا على سبيل المثال: الجهمية معطلة النصوص بما يتمسكون؟ يتمسكون بالتنزيه، يقولون: الله ﷻ ليس كمثله شيء، هذا حق أليس كذلك؟ هل هذا يدل على أن الله ليس له سمع وبصر، ليس له يدان تليقان بجلاله؟! ما الذي يمنع من ذلك؟! هؤلاء الذين يتكلمون في الصفات اليوم على عقيدة الجهمية، ليس حتى على عقيدة الأشاعرة الذين ينكرون أن يكون لله سمع وبصر وقدرة، وينكرون أن يكون لله ﷻ يدان وقدم وساق، ويقولون: هذا تشبيه. يتمسكون بالتنزيه، هذا التنزيه حق، فكتموا ماذا؟ كتموا شيئًا من الحق وأتوا بشيء من الباطل ليلبسوا به الحق. الحق هو التنزيه، ولكن لبسوا معه التعطيل، قالوا: لا يكون مُنزِّهًا إلا من نفى صفات الرب، وإلا من قال: ليس له سمع ولا بصر ولا يدان. لماذا؟!

ألا تثبت لله ذاتًا؟ نعم، نثبت لله ذاتًا يقولون ذلك. فهل للبشر ذوات؟ نعم، للبشر ذوات يقولون ذلك. هل ذات الرب تشبه ذات المخلوقين؟

يقولون: لا تشبه. فكيف أثبتم ذاتًا وذاتًا مع عدم المشابهة؟ يقولون: هذا ليس بمناف. فلماذا لا تثبتون سمعًا ليس كالسمع وبصرًا ليس كالبصر ويدين ليست كاليدين؟! ما الفرق بين هذا وذاك؟!

إن الله كان سميعًا بصيرًا، وقال ﷻ عن الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ هل هذا استلزم التشبيه عندكم في التسمية؟ أنتم تثبتون لله أسماء، ولكن لا تثبتون الصفات، وهل إثبات الأسماء اقتضى إثبات التشبيه؟ قالوا: لا، بل إثبات أن الله هو السميع البصير ليس كالسميع البصير في حق الإنسان، فاجعلوا السمع والبصر الإلهي ليس كالسمع والبصر في حق الإنسان، واجعلوا عيني الرب ﷻ ليست كعيني الإنسان، ما الفرق؟ لماذا تجعلون هذا تشبيهًا وهذا ليس بتشبيه؟ لذلك نقول: الذي حدث أنهم كتموا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، أظهروا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ إما لفظًا، وإما حقيقة، فإما أن يسكتوا عنها ولا يذكرونها؛ لأنها تؤدي إلى هدم عقيدتهم الفاسدة، فغلّبوا جانب التنزيه حتى وصلوا إلى التعطيل، وجعلوا الباطل الذي هو التعطيل ونفي الصفات ملازمًا للتنزيه، وأهل السنة يقولون: بتنزيه بلا تعطيل، نثبت أن الله ليس كمثله شيء، مع كونه ﷻ متصف بكل صفات الكمال التي هو أعلم بها ﷻ، هو ﷻ الذي قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أترون أن الله يقول في كتابه الذي أنزله للبشر كفرًا؟! لأن إثبات اليدين لله لو كان لله يدان كما تقولون فهذا يقتضي أنه كالبشر، حتى يقول جاهلهم وهو لا يعرف، حتى حجج الفلاسفة الذين يتكلم بعقيدتهم، يقول: إذا كان له سمع وبصر ويد، فمن الذي خلقها له. عجب والله! وهل يثبت أهل السنة سمعًا وبصرًا ويدين مخلوقة؟ هل قالوا ذلك؟!

إنما يثبتون صفات لله ﷻ لائقة بجلاله ﷻ، ليست مخلوقة له، حتى يقول: من الذي خلقها له؟ فإذًا، لو قلت لله ﷻ حياة، وهو الحي الذي لا يموت، أتقول: من الذي خلق له هذه الحياة؟! أ لِأَجْل أن البشر أحياء أو الكائنات تحيا، والله ﷻ هو الحي الذي لا يموت، فيلزم من ذلك أن حياته مخلوقة؟! عجباً! ولا حتى حجج الفلاسفة ولا كلام الأشاعرة، ليس إلا كلام المعتزلة الخبيث، وحججهم حتى ليست هي التي يحتج بها، لا يعرف أن يأتي بالحجج، والعياذ بالله، ذاك الرجل المبتدع الضال الذي يتكلم في القنوات الفضائية عن تعطيل الأسماء والصفات، عن تعطيل صفات الرب ﷻ، ويجعل من يثبت صفات الرب مشبه وممثل، كما ذكرتُ يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، والعياذ بالله، يعلمون النصوص. الذي أثبت السمع والبصر واليدين القرآن الكريم، وأثبت العينين: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾، الذي أثبت الرضا والفرح وأن الله يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه، وأن الله قد رضي عن المؤمنين إذ يبايعون رسول الله ﷺ تحت الشجرة، الرسول ﷺ هو الذي أثبت ذلك، والقرآن أثبت ذلك، فأنت تكتم هذه النصوص وتحرفها، وكما ذكرنا كل طائفة تتمسك بشيء من الحق تكتم شيئًا من الحق وتأتي بباطل.

كما ذكرنا الخوارج يأتون بنصوص الوعيد: لعن الله من فعل كذا، من فعل كذا فجزاؤه جهنم، مثلاً من المعاصي والذنوب، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، فأين النصوص التي فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، ماذا يصنعون في هذه النصوص؟ يكتمون معانيها وإن تكلموا بألفاظها، لا يرضون بذلك.

أين نصوص الشفاعة المتواترة؟ يكذبون بها لأنها لا توافق باطلهم، فهم كذبوا بالحق، لبسوا الحق بالباطل، كتموا شيئًا من الحق ليمرروا الباطل، فالشيء من الحق عند الخوارج نصوص الوعيد، لبسوا إليها خلود عصاة الموحدين في النار، لزوم تكفير هؤلاء العصاة؛ لأجل أنهم متوعدون بالنار، ولا يلزم من ذلك، كتموا الحق وكذبوا به؛ كتمان أحاديث الشفاعة المتواترة، وكتمان نصوص الرجاء التي فيها فضل (لا إله إلا الله)، وهكذا كل طائفة من الطوائف المبتدعة التي تجد عندها شيئًا من الحق.

المرجئة تمسكوا بنصوص الرجاء وأحاديث فضل (لا إله إلا الله)، وأهملوا نصوص الوعيد، كتموا نصوص الوعيد، ولبسوا بهذا الحق الذي جاءوا به وهو فضل (لا إله إلا الله) ما اعتقدوه من الباطل من أنه: (لا يضر مع الإيمان معصية)، أين في كتاب الله: (لا يضر مع الإيمان معصية)؟! أين في كتاب الله: أن من أتى بـ(لا إله إلا الله) لا يمكن أن يدخل النار أبدًا؟! أين هذا؟! الذي في كتاب الله ﷻ المؤمن الكامل الإيمان الذي آمن وعمل الصالحات يدخل الجنة، ولكن من عمل السيئات كما أنه لا يخلد في النار، فهو قد يدخلها ويعذب فيها ثم يخرج منها؛ كما دلت عليه آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، ودلت عليه أحاديث الشفاعة المستفيضة المتواترة في خروج عصاة الموحدين من النار[1]، وهي تدل على أنهم قد دخلوها، فكيف تردون هذه الأحاديث؟! أحاديث الشفاعة هذه يردها الخوارج ويردها المرجئة.

---

(١) راجع (٢/ ٢٢٥).

كذلك القدرية لبسوا الحق بالباطل، يأتون بأدلة على إثبات أفعال العباد، وأن العباد فاعلون: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾، إثبات مشيئة للعباد، وإثبات قدرة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فقالوا: القرآن يثبت مشيئة للعباد واستطاعة وقدرة وأفعال يفعلها العباد، فهذا دليل على أن الله لا دخل له بأفعالنا، فهذا لبس الحق بالباطل، ورد الأمر بالإيمان بالقدر، وجعل أن كون العباد فاعلين دليل على أن الله لا يقدر على أفعال العباد ولا يخلق أفعال العباد ولا مشيئة له فيها، كلام باطل، كتموا النصوص التي تدل على خلاف ما يذكرون؛ إما لفظًا، وإما معنى، قال الله ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾. فأثبت مشيئة العباد، وأثبت فوقها مشيئة الرب، وأن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الرب، كتموا الحق وهم يعلمون، ولبسوا مكان هذا الحق المكتوم شيئًا من الباطل، وهو نفي القدر، نفي خلق أفعال العباد، نفي قدرة الله على أفعال العباد، نفي مشيئة الله لأفعال العباد.

الجبرية الغلاة في القدر أخذوا نصوص المشيئة الإلهية: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، هذا حق عندهم لبسوا معه الباطل: أننا لا دخل لنا بأفعالنا، أن البشر لا قدرة لهم ولا مشيئة، كتموا الحق الذي يدل على إثبات مشيئة العباد وفعل العباد لأفعالهم؛ حتى يقولوا بالجبر الباطل الذي هو أن العباد لا يقدرون على شيء، أن الله إنما يفعل بهم ثم يعذبهم على فعله بهم، نعوذ بالله، وقالوا: العباد ليسوا فاعلين أصلاً، وبعضهم يقول: لا حقيقة ولا مجازًا، وبعضهم يقول: فاعلون مجازًا فقط،

لا يفعلون حقيقة، مجازًا مثل: سقطت الورقة، تحركت المروحة، فالمروحة ليست فاعلاً، الحقيقة أنها حُركت لما ضغط على الزر. (مات الرجل) هذا فعل مجازي، لكن (ضرب الرجل أخاه) هل هذه مثل (مات الرجل)؟! هل هي مثل (سقطت الورقة)، ومثل (هاجت الريح)؟! طبعًا لا، لا قطعًا ويقينا. هذا الفعل الاختياري من البشر بمشيئة من العباد. وأهل السنة ماذا يصنعون؟

يجمعون الحق الذي عند هؤلاء والحق الذي عند هؤلاء ويكونون في الوسط؛ لذلك هم قالوا: تنزيه بلا تعطيل، إثبات بلا تمثيل في باب الأسماء والصفات.

وقالوا: بأن عصاة الموحدين منهم من يدخل النار، ولكن لا يخلدون فيها، لا يُكفّرون ولكن إيمانهم ناقص، يستحقون معه الوعيد، وفي القضاء والقدر يقولون بأننا فاعلون لأفعالنا، والله خالق تلك الأفعال، لنا مشيئة وقدرة، والله ﷻ هو الخالق لهذه القدرة والمشيئة. أمر واضح بيِّن العقل السليم يقبله، وهم - كما ذكرنا - أخذوا الحق الذي عند هؤلاء وتركوا الباطل، وأخذوا الحق الذي عند هؤلاء وتركوا الباطل، فاجتمع الحق عند أهل السنة فصاروا وسطًا في فرق الأمة كما أن الأمة وسط بين الملل، أهل الإسلام ماذا يصنعون في الأنبياء؟ يؤمنون بكل الأنبياء ولا يغالون فيهم، يعني: أخذوا الحق الذي عند اليهود في شأن المسيح وهو أن المسيح ليس بإله ولا ابن إله، وتركوا الباطل الذي عندهم وهو أن المسيح ابن زنا، والعياذ بالله، وأن أمه قالوا عنها بهتانًا عظيمًا. تركنا ذلك وأخذنا الحق الذي عند النصارى وهو أن المسيح له قدر عظيم نحبه ونجله، وهو رسول من عند الله،

وإن كانوا هم لا يقرون بذلك، وإن كانت نصوص الإنجيل تقول ذلك، وتركنا الباطل الذي عندهم من الغلو فيه، وأنه إله أو ابن إله، أو أنه أحد الأقانيم الثلاثة، هكذا الواجب ألا نترك شيئًا من الحق، نجمع الحق، نقبل الحق كله، ونقول به كله، ولا نكتم الحق، ولا نلبس به شيئًا من الباطل.

هذه القضية عظيمة الأهمية في كل مجالات الدين في الحقيقة؛ لأن لبس الحق بالباطل هو من أخطر أسباب الانحراف، لا يتمكن مبطل من إمرار باطله إلا بتلبيس هذا الباطل بشيء من الحق، ولا يتمكن من ذلك إلا بكتمان شيء من الحق الذي يخالف ذلك الباطل، وأهل الإيمان وأهل العلم وأهل السنة يقبلون الحق كله، ولا يكتمون شيئًا منه، ويجمعون الحق الذي عند هؤلاء مع الذي عند هؤلاء، ولا يمنعهم وجود باطل عند هؤلاء من أن يقبلوا الحق الذي عندهم، ولا يمنعهم وجود باطل عند أولئك من أن يقبلوا الحق الذي عندهم، فيقبلون الحق من كل من قال به، حتى ولو عنده باطل آخر، نرفض الباطل ونأباه، ونكفر بما يعبد من دون الله، ونكذب ما خالف الرسل، ونقبل ما وافق الرسل وما وافق الحق.

الْمسْألةُ الْخامِسة عشْرة بَعْدَ الْمِائةِ: قاعِدةُ الضّلالِ، وَهِيَ: الْقوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغيْرِ عِلْمٍ.

الـشـــرح:

أصل الضلال في العالم أن يتكلم الناس على الله ﷻ، أن يقولوا على الله ما لا يعلمون؛ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهذا يدل على أن القول على الله بغير علم ربما كان أعظم من الشرك، لهذا الترتيب، فحرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وهذا من الكبائر، والشرك بالله ﷻ أكبر الكبائر، قال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وعد بعض أهل العلم القول على الله بغير علم من أشد أنواع الشرك، وهو في الحقيقة كذلك إذا كان يتضمن كفرًا وشركًا، وتكذيبًا لما جاءت به الرسل عن الله ﷻ وعن أسمائه وصفاته أو عن أمره ونهيه وتشريعه، فإن من قال على الله ﷻ بغير علم لم يكن ضره مقتصرًا على نفسه، بل كان ضرره يعم من حوله من الناس ومن بعده كذلك، وهل حُرِّف دين الأنبياء، حرفه اليهود والنصارى، إلا من قول من قال على الله بغير علم، وتركوا ما أنزله الله في الكتب المنزلة، واحتكموا إلى آراء الرجال الذين تكلموا على الله بغير علم، ومعظم هذا الأمر إنما ينبع من التقليد الأعمى ومن دخول العلوم غير الإسلامية إلى المسلمين، حين يحصل لبس الحق بالباطل وكتمان الحق الذي يخالف ذلك الباطل الذي لبسوه بالحق ليمرروا به ذلك الباطل، فالتقليد للأحبار والرهبان واتباعهم إياهم فيما افتروا على

الله الكذب، وفيما حللوا وحرموا وأشركوا بالله ﷻ أمر معلوم عند أهل الكتاب، وقد قال ﷻ في وصفهم كما وصف المشركين بأنهم يقولون على الله ما لا يعلمون؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾، فهذه في المشركين، وقال ﷻ في أهل الكتاب: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فعلمنا أنهم إنما ضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، علمنا بذلك أن سبب القول على الله بغير علم اتباع هؤلاء الذين ضلوا وأضلوا وهؤلاء الذين قالوا على الله بغير علم، ومن يتأمل ما بأيدي اليهود والنصارى اليوم من الكتب وما يعتقدونه من العقائد، يعلم كيف حصل الانحراف، فإن كتبهم تتضمن قضية التوحيد كأول القضايا وضوحًا وظهورًا، ومع ذلك فإنما يقدمون على هذه الكتب القوانين التي سنّها الأحبار والرهبان، وهؤلاء - كما ذكرنا - أخذوا ذلك من مصادر أخرى غير الوحي المنزل لقلة علمهم، ونسبوا ذلك

إلى الله، فهذه الملة النصرانية أوضح دليل على ذلك، هذه الملة والديانة اليوم أصحابها يعترفون أنها جمع بين ما جاء به المسيح أو تعاليم المسيح وبين الفلسفة اليونانية وقوانينهم تؤكد ذلك، وهم تركوا كتابهم واتبعوا ما قاله هؤلاء، كما ذكرنا شيئًا مما لبسوا فيه الحق بالباطل في المرة السابقة.

فكان قولهم على الله بغير علم حين نسبوا له الصاحبة والولد ونسبوا أنه ثالث ثلاثة، وإن حاولوا الجمع بين النقيضين حين قالوا: نحن لا نقول بالتثليث، وهم يقولون به قطعًا ويقينًا، ويقولون بأن المسيح هو الله، هذا بلا نزاع بين طوائفهم على ذلك، ويقولون: هو ابنه؛ ولذلك وقعوا في التناقض، مثل ما ذكر في **الْمسْألةُ السّادِسةُ عشْرٍ بعْد الْمِائةِ: التّناقُضُ الْواضِحُ، لِما كذّبُوا بِالْحقِّ؛ كما قال تعالى:** ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥].

يعني: مضطرب.

❀ ❀ ❀

الْمسْألةُ السّادِسة عشْرة بَعْدَ الْمِائةِ: التّناقُضُ الْواضِحُ، لِمَا كذّبُوا بِالْحقِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥].

الشـــرح:

اختلط عليهم الأمر فصاروا لا يعرفون حقًّا من باطل، فالتزموا التناقض: كيف يكون هو الإله وهو في نفس الوقت غيره؟ ويقررون ذلك، فأنت إذا تأملت نصوص كلامهم التي قرروها أنهم يقولون بالأقانيم الثلاثة؛ لأنها لا يمكن فهمها في الحقيقة، إنما يعجزون عنها. أقول: قريبًا من شخصيات ثلاثة للإله، وأنه تبدى وتجسد في أشكال مختلفة، هذه الصورة الثلاثة، يحاولون تقريب ذلك إلى عوامهم بتعدد الصفات؛ لأن العقل البشري لا يقبل تعدد الذوات، مع كونها ذات واحدة، وهذا تناقض بيِّن، ولكن ماذا عساهم يفعلون في الصفات الأخرى، التي لم يجلعوا كل واحدة منها أقنومًا، وهم يقرون بتعدد صفات الرب غير صفة الكلام وغير صفة الحياة، كما يحاولون الزعم بأن الله وحياته وكلامه هي الأقانيم الثلاثة، وهذا باطل، ويحاولون أن يقولوا: إن الكلام هو الله، وتجسد هذا الكلام في صورة المسيح كما يزعمون عن يوحنا أنه قال: «**في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله**»، وهذا أوضح دليل على ألوهية المسيح لديهم، منسوب إلى يوحنا الصياد - يزعمون ذلك -، مع أن هذا الكلام متناقض، كان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله، ثم يزعمون أن الكلمة ليست إلا كلمة واحدة،

لماذا؟ أليس الله قد تكلم بكلام كثير؟! فلماذا صارت واحدة فقط منها هي هذا الأقنوم وأنتم تقولون: إن المسيح قد قال: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، ولكن بكل كلمة خرجت من فم الرب**». فهناك كلمات كثيرة، وكلمات الله عندهم لا تفنى، والإنجيل عندهم يزعمون أنه كلمة الله والتوراة كذلك، واليهود يقولون ذلك، فلماذا لم تصِرْ كل كلمة من هذه الكلمات أقنومًا ولا يقال بالتثليث إذًا، بل بعشرات الأقانيم وعشرات الآلهة؟ وهم ينصون على أن الأقنوم الثاني مساو للأول في الجوهر، حين يقولون عن أقنوم الابن إنه من جوهر أبيه، مولود من أبيه قبل كل الدهور إله من إله مساو له في الجوهر، إذًا هما جوهران، ذاتان، كلام وضّاح لا يحتمل، ويقولون: «**إله من إله**»، إذًا هما إلهان، لا يحتمل غير ذلك، ثم يجمعون ذلك إلى التناقض، يلتزمون التناقض حين يقولون في النهاية إله واحد. عجب والله!

ثم إنه كيف يكون في حال يختلف عن حاله الآخر؟ أيذهب علمه؟ ينقلون عن المسيح نقلاً واضحًا صريحًا: «أما وقت الساعة فلا يعلمها أحد في الأرض ولا في السموات، ولا الملائكة في السموات ولا الابن، لا يعلمها إلا الآب» عجباً! كيف يكون هو نفسه شخصيًا الذي تجسد وهو الإله الواحد كما تزعمون، ثم بعد ذلك لا يعلم وقت الساعة وهو ابن، وإنما يعلمها وهو آب، مما يؤكد أن هذا الكلام متناقض، فالتزموه التزامًا لا يعرفون التخلص منه، عندما يضيق بهم الأمر يقولون: «لا نفهم حكمة الله.. هكذا هي.. فلتكن كذلك غير مفهومة، حتى يُمْتلأ الإنسان بروح القدس فعند ذلك

يفهم». أما امتلأ إنسان قط بروح القدس عندكم حتى يُفهِم الناس هذه المعضلات؟! ومع ذلك فأنتم تقولون: إذا امتلأ بروح القدس، ألا يصلح أن يكون أقنومًا؟! فهذا روح القدس قد امتلأ به - كما تزعمون - الحواريون وامتلأ به كتاب الأناجيل من بعدهم، والرسل أصحاب الرسائل، رسل المسيح، امتلئوا بروح القدس، فكل هؤلاء ينبغي أن يكونوا آلهة وأقانيم، قد حل فيهم، تناقض عجيب الشكل، ومع ذلك لا يفكر في الأمر أحد، وإنما تنقل هكذا، التقليد واتباع العلوم الباطلة التي أخذوها من غير الوحي، وهذا حاصل وخطر عظيم أيضًا في هذه الأمة، فلو تأملت أهل البدع من أهل الضلال، تجد القول على الله بغير علم أصل ضلالهم فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وكذلك في القضاء والقدر، وكذلك في النبوات، أصول الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة وبين الأشاعرة وبين المتكلمين هي هذه المسألة، أعني: مسألة القول على الله بغير علم، لماذا؟ لأنهم يأتون بعلوم ليست من علوم أهل الإسلام، مخالفة للوحي جعلوها هي القاعدة، هي الأصل، سموها علومًا عقلية، سموها أدلة قطعية، هم فيها أنفسهم مختلفون اختلافًا أوضح من شمس النهار، ومع ذلك يجعلون ذلك أمرًا قطعيًّا. علم الكلام السخيف الذي ما دخل في عقيدة إلا أفسدها، حين أدخلوه بعد القرون الثلاثة الخيرية، التي ما علم أحد من أهل العلم أن واحدًا من هؤلاء الأئمة، ممن مدحهم النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم فالتابعين فمن بعدهم، تكلم في مسائل الاعتقاد بعلم الكلام، ولا أدخل الفلسفة في هذا الباب، وعدوا من تكلم بعلم الكلام مستحق للعقوبة، كما قال الشافعي رحمه الله: «**حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكلامِ أَنْ يُضْربُوا بِالْجرِيدِ والنِّعالِ، ويُطاف بِهِمْ فِي الْقبائِلِ**

والْعشائِرِ ويُقال: هذا جزاءُ منْ ترك الْكِتاب والسُّنّة وأقْبل على الْكلامِ»[١]، فصار علم الكلام عند المتأخرين قاعدة الإيمان، هو الذي تؤخذ منه العقيدة وصار الكلام بطريقة المتكلمين هو الذي تُتناول به عقيدة أهل الإسلام في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، مما أدى إلى الانحراف العظيم والانفصال بين الوحي وبين الواقع الذي يعيش به؛ لأنهم عزلوا نصوص الكتاب والسنة عن أن تكون مرجعًا وقالوا على الله بغير علم، وتحكموا على الله ﷻ، فقالوا: لا يجوز أن تكون له يد، ولا يجوز أن يكون له سمع، ولا يجوز أن يكون له بصر، ولا يجوز أن يضحك، ولا يجوز أن يرضى، ولا يجوز أن يرحم، والعياذ بالله، حتى الرحمة جعلوها ضعف وخور لا يصح أن يوصف بها الرب ﷻ، قالوا على الله بغير علم، من أين أتيتم بأن هذا لا يجوز؟ من أين قلتم إن هذا لا يصح في حق الله ﷻ، وقد نزل في القرآن وتكلم به ونطق به الرسول ﷺ، فكيف تزعمون أن هذا تجسيم أو تجسيد أو أنه كفر وشرك كما تزعمون؟! هذا كله سببه - كما ذكرنا - هذه العلوم الدخيلة التي في الحقيقة ليست علمًا، هي قول على الله بغير علم، والتقليد لمن أحسنوا بهم الظن، التقليد كما وقع في ذلك اليهود والنصارى عندما قلدوا أحبارهم ورهبانهم، ودخلت هذه العلوم فأفسدت عليهم اعتقادهم، والأهواء عضدت هذا الأمر فصار التناقض البين؛ ولذا تجد أهل البدع عندهم من التناقض من جنس ما عند أهل الكتاب، كما ذكرنا من قبل

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩)، وقال الذهبي عقبه: «لعل هذا متواترًا عن الإمام» وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٢).

يثبتون بعض الصفات وينفون البعض الآخر، أو يثبتون الذات وينفون الصفات، مع أنه يلزمهم فيه الصفات التي أثبتوها ما يلزمهم في الصفات التي نفوها، ويلزمهم في الذات ما يلزمهم في الصفات؛ لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، كما أثبتم ذاتًا لله ﷻ ليس كذوات المخلوقين، فلماذا لم تقولوا: له سمع ليس كسمع المخلوقين وبصر ليس كبصر المخلوقين؟ ولماذا أثبتم أنه سميع بصير دون أن تثبتوا له سمعًا وبصرًا، في حين قلتم: لو أثبتنا سمعًا وبصرًا لكان مخلوقًا، فلابد له من خالق؟! نعوذ بالله، كيف ذلك؟ لماذا لم تقولوا: إن اسم السميع واسم البصير، وإن سمى الله به الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، لا يلزم من ذلك أن يكون سميعًا كالسميع سبحانه ولا بصيرًا كالبصير سبحانه ولا أن ذات الرب تشبه ذوات المخلوقين؟ فلماذا إذًا نفيتم باقي الصفات الأخرى؟ لماذا نفيتم الصفات وأثبتم الأسماء، مع أن إثبات الأسماء لا يقتضي التشبيه، فكذلك إثبات الصفات يكون إثباتًا بلا تشبيه، بلا تمثيل، ويكون تنزيهًا بلا تعطيل، ننفي ما نفى الله عن نفسه من غير أن نعطل صفات الحق سبحانه؟ وكما ذكرنا سبب ذلك التقليد الأعمى العلوم الدخيلة التي دخلت على أهل الإسلام، فأفسدت عليهم قضية المرجعية، وهي أن لا يمكن أن نتكلم على الله إلا بما أنزله، نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

إذًا، مرجعية أهل الإسلام إلى ما نزل في الوحي هذا هو العلم الذي أنزله الله، لا نقول على الله بغير علم، لا نتكلم على الله ﷻ ما لا نعلم، هذا كان في قضية الكلام عن الرب ﷻ وأسمائه وصفاته وقضائه وقدره، علم الكلام

هو الذي أفسد على الناس ذلك، ثم كانت القضية بعد ذلك فيما يتعلق بالتشريع التشريعات المخالفة لشرع الله التي أدى التقليد الأعمى، ثم بعد ذلك الزندقة والتبعية لأعداء الإسلام في نبذ التشريع الإسلامي بالكلية، وقالوا على الله ﷻ بغير علم، فبدأ الأمر بالتقليد الأعمى للأئمة والتخريج على أقوالهم، ومعاملة نصوصهم كأنها أدلة من الكتاب والسنة، بل مقدمة عليها حاكمة على النصوص، جعلوا نصوص العلماء حاكمة على نصوص الكتاب والسنة، فصاروا يؤولون ويفسرون ويحرفون في الحقيقة بسبب تقليدهم لأئمتهم، يحرفون النصوص حتى ما نشئوا عليه من المذاهب، هذا أدى إلى نفرة الناس عن الأدلة وعدم تعظيمهم للعلم، حتى وجد بعد ذلك من رأى تلك التناقضات بين الآراء المختلفة والمذاهب المتناقضة، بلا ترجيح مرجح إلا أن هذا قد قاله فلان وذاك قد قاله فلان، فتجرءوا على نصوص الشريعة وزعموا أن الشريعة هي كل هذا التناقض والاختلاف، فيسعنا إذًا أن نترك ذلك كله، فنشأت أجيال الوضعيين الذين وضعوا بآرائهم ما هو تقليد للغرب في أمر الله ونهيه، وجعلوا ذلك تشريعًا ملزمًا يضاهئون به أحكام الكتاب والسنة، فكان قولاً على الله بغير علم حين ألزموا الناس بذلك، وحين زعموا أن الدين يأمر بالتزام ذلك، وإن كانوا في النهاية يريدون أن يقولوا: بل لا دخل للدين في شيء من حياة الناس، نسأل الله العافية، كما قالوا: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين. فكان هذا القول على الله ﷻ بغير علم هو مقدمة الزندقة والنفاق الأكبر، والعياذ بالله، كان هذا الذي حدث بسبب التقليد الأعمى وبسبب المصادر غير النقية، المصادر غير الإسلامية، التي أدخلت في العلوم فصار القول على الله ﷻ بغير علم، ثم ما

كان بعده من التزام التناقض؛ لأنهم كذبوا بالأدلة، كذبوا بالحق الذي بعث به النبي ﷺ.

تجد أهل البدع يكثر عندهم الخرافات، تكثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تجد كتبهم مشحونة بالحكايات بلا سند، بلا دليل، الأمر الفلاني حلال مشروع؛ لأن الشيخ الفلاني رأى في المنام كذا؛ ولأن الإمام الفلاني وقع في إلهامه كذا؛ ولأن الإمام الفلاني كان يفعل كذا، تجد هذا أوسع ما يكون عند الصوفية وعند الرافضة، وهو عند الرافضة أشد؛ لأنهم من أكذب الناس على الله، ولو تأمل متأمل مجموع ما عندهم من العقائد والتشريعات العملية، لعلم أن هذا في جملته دين آخر غير ما بعث به النبي ﷺ، والخرافات مبنية على بعضها البعض، فأنت تجد أن أعظم كتب الرافضة مثلاً (الكافي) علام بني؟ على زعم رجل أنه دخل السرداب، فجلس مع الإمام المهدي فأملاه هذا الكتاب، فصارت هذه الخرافة مصدرًا للتشريع عندهم، كل الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق وعن أبيه محمد الباقر وعن الأئمة كلها عندهم مقدمة على ما يجدونه عندهم من نصوص الكتاب والسنة، بل السنة عندهم مهجورة لا يعتبرون أو يعتدون بأحاديث أهل السنة كلها؛ لأنهم عندهم نواصب، فحرموا أنفسهم من مصدر الوحي، وزعموا أن الله ﷻ حين أمر العباد بطاعة رسوله ﷺ أمرهم بأمر من الخيال أو المحال لا يمكن الوصول إليه؛ لأن السنة قد ضيعت حين كفر حملتها - بزعمهم ظلمًا وزورًا - حين كفروا الصحابة رضي الله عنهم، فعند ذلك لم يعد هناك مجال للاحتجاج بنصوص الكتاب والسنة؛ لذلك نقول: المناهج المنحرفة خطر عظيم، وهي أصلها قاعدة الضلال: القول على الله ﷻ بغير علم، أن

تقولوا على الله ما لا تعلمون، تحاجون فيما ليس لكم به علم، والمصادر غير الإسلامية التي أدخلوها في الدين وهي ليست منه، والتقليد الأعمى للكبراء والسادة وهو أعظم أسباب انحراف الناس عن دين الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، قال ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥﴾، لما كذبوا بالحق وصار عندهم أشياء من الباطل لبسوا بها الحق وكتموا الحق، التبس الأمر، اختلط، مريج: مضطرب، يقولون القول ونقيضه، ويلتزمون التناقض، كما ذكرنا ذلك في اليهود والنصارى، وأهل البدع لهم نصيب بقدر بدعهم في الاضطراب والتناقض، نسأل الله العافية.

الْمسْألةُ السّابِعة عشْرة بعْد الْمِائةِ: الْإِيمانُ بِبعْضِ الْمُنزّلِ دُونَ بعْضٍ.

الشـــرح:

كما قال ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾، فهذه الآيات، وكذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فهم كفروا ببعض الكتاب، أولاً الكتاب الذي في أيديهم آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حين حرفوه عن مواضعه، وحين لم يعملوا به وتركوه بالكلية، فكان هذا التحريف للكم عن مواضعه وعدم العمل به هو انعدام الإيمان بهذا الجزء المنزل، ثم كان هناك عدم إيمان ببعض الكتب التي أنزلها الله، فاليهود كفروا بالإنجيل وكفروا بالقرآن، والنصارى كفروا بالقرآن الذي أنزله الله، وهم في حقيقة أمرهم كفار بالتوراة والإنجيل والقرآن؛ لأنهم لا يحكمون النصوص، ولكن يحكمون الآراء، وقد قال ﷻ عن الذين آمنوا ببعض

الرسل وكفروا ببعض: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾، وأجمع العلماء على أن من كفر بآية من كتاب الله ﷻ، فهو كافر بالله وبكتبه كلها؛ ولذلك نقول: اليهود والنصارى لم يؤمنوا بالتوراة ولا بالإنجيل، وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ﴾ وقال في الآية قبلها: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فبين ﷻ أنهم ليسوا مؤمنين بالتوراة: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنهم لم يحكموا التوراة فيما كان من خلاف بينهم وفيما ارتكبوه من أمور لم يحكموا التوراة فيها، كيف يحكمون النبي ﷺ وهم لا يؤمنون به؟! وذلك دليل على تناقضهم وعلى أنهم يؤمنون ببعض المنزل دون بعض؛ أما المؤمنون الصادقون فهم يؤمنون بكل كتب الله، الإجمال فيما علموه إجمالاً دون تفصيل، والتفصيل فيما علموه إجمالاً وتفصيلاً، المؤمنون يؤمنون بما أنزله الله ﷻ إجمالاً في الكتب المتقدمة كما نؤمن بالتوراة التي أنزلها الله على موسى، وبالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، وبالزبور الذي أنزله الله على داود، وبصحف إبراهيم وموسى، وإن كنا لا ندري على وجه التفصيل كل ما في هذه الكتب، لكن نعلم بعض ذلك فنؤمن به مما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ، كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ

بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾، فنحن نؤمن بهذا التفصيل؛ وكما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾، فما كان في سورة الأعلى من المعاني كان موجودًا في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، أو﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾، هذا في الصحف الأولى، وأما ما لا نعلمه فنؤمن به إجمالاً.

وهذه الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم نعلم أنها أقسام، فمنها ما نؤمن بأنه حق، وإن لم يلزم أنه حق بلفظه، لكن حق بمعناه، وهو ما جاء القرآن مصدقًا له من توحيد الله والإيمان برسالة رسله الكرام، وما وافق كتاب الله ﷻ وصدقه فهو حق لا نشك فيه ونؤمن به، ثم قسم آخر نعلم كذبه وزوره وبطلانه، مثل: صلب المسيح، فإن هذا وإن ورد فيما بين أيدي أهل الكتاب من الكتب، لكن قد قال ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وكذا في كل أمر خالف التوحيد وخالف ما جاء به الرسول ﷺ مما لا يمكن أن يكون منسوخًا من الأخبار مثلاً، فكل خبر يخالف ما جاء به الرسول نعلم أنه ليس من الوحي المنزل.

وأما ما كان غير ذلك فنسكت لا نصدق ولا نكذب؛ لا نصدق بشيء ربما كان باطلاً فنكون قد صدقنا بباطل، أو نكذب بشيء ربما كان حقًّا فنكون قد كذبنا بحق؛ لذلك نقول: أهل الإيمان يؤمنون بالكتاب المنزل كله إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، والقرآن هو المعلوم بالتفصيل كلمة كلمة وحرفًا حرفًا من لدن محمد ﷺ إلى زماننا هذا، وهذا كله معلوم بالضرورة عند أهل الإسلام، لا يفرقون بين بعض الرسل وبعض ولا بين

بعض الكتب وبعض، عندهم إيمان كامل بكل ما أنزله الله وبكل من أرسله الله ﷻ من الرسل، وهذا قاعدة الإيمان عند أهل السنة وعند أهل الإسلام (لا نفرق بين أحد من رسله)، هذا الإيمان ببعض المنزل دون بعض هل وقع فيه من ينتسب إلى الإسلام اتباعًا للجاهلية التي كان عليها من سبق من أهل الكتاب؟

نقول: نعم، قد وقع ذلك من أهل البدع حين يتمسكون بجانب من النصوص، ويتركون جانبًا آخر يخالف بدعتهم، وهذا مرده إلى لبس الحق بالباطل وإلى كتمان الحق مع العلم به وإلى القول على الله ﷻ بغير علم.

❀ ❀ ❀

الْمسْألةُ الثّامِنة عشْرة بَعْدَ الْمِائةِ: التّفْرِيقُ بيْن الرُّسُلِ.

الـشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾﴾.

بيّن الله ﷻ في هاتين الآيتين وجوب الإيمان بجميع رسل الله ﷻ والإيمان بمن أرسلهم، فإذا وقع التفريق في ذلك بأن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض الرسل، أو آمن برسول وكفر بمن أرسله، بمعنى أنه جعل لله شريكًا، أو جعل له صاحبة أو ولدًا، أو زعم أن هناك شفعاء دون إذنه، فقد كفر به، فلا ينفعه تصديق واتباعه للرسول، فضلاً أن يكون إيمانه بالرسول مختلطًا بباطل، كمن يؤمن بالرسول على أنه ابن لله أو أنه صورة من صوره أو أن الإله قد حل فيه، فهذا قد كفر بالذي أرسله، فمن فرق بين الله ورسله فهو كافر بالله ﷻ حقًا، وكذلك من أقر بالله ﷻ ربًّا خالقًا لهذا العالم، لكنه كفر بالرسل، سواء ببعضهم أو كلهم، كما هو حال كثير من الفلاسفة مثبتي البداء أن الله خلق العالم، يعتقدون أن الله بدأ خلق العالم، لكنهم لا يؤمنون بالرسل على أنهم رسل، لا يرون تشريعًا نزل من عنده ﷻ، أقصى أمرهم أن يقروا بوجود خالق لهذا الكون، لكن لا يرون له أمرًا ولا نهيًا ولا تشريعًا، فهذا كله من التفريق بين رسل الله ﷻ وبين الله ورسله، وهذا وقع في

المشركين وفي أهل الكتاب، وأهل الكتاب أُلْصِق بهم أمر التفريق بين الرسل، ذلك أن كل فريق منهم يؤمن بالرسول الذي يتبعه ويكفر بما وراءه، فاليهود آمنوا بموسى عليه السلام وكفروا بعيسى عليه السلام وكفروا بمحمد ﷺ، وإيمانهم بالرسل بين موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام مختلط، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وفريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون، إذا جاءهم الرسول بما لا تهوى أنفسهم، فإيمانهم بداود إنما كان بعد ما أعطاه الله عز وجل الملك، ومع ذلك نسبوا إليه من الفظائع ما يقدح في إيمانهم؛ وأما الرسل فيما بين موسى وداود وبين داود وعيسى فكما ذكر الله عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

وأما النصارى فكفرهم بالرسل مضاعف؛ لأنهم فرقوا بين الله ورسله، رغم أنهم يؤمنون بالرسل قبل المسيح عليه السلام، إلا أنهم كفروا بمحمد ﷺ، وإيمانهم بالمسيح مدخول، إيمانهم بالمسيح ليس إيمانًا صحيحًا؛ لأنهم آمنوا به على أنه ولد لله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، وعامتهم يقرون بأنه الإله وأن الله قد تجسد فيه، يقولون بالاتحاد بينه وبين الله، ومنهم من يقول بالحلول أن الإله قد حل بهذا البدن، بدن المسيح؛ ولذا كلهم يجزم ويعتقد أن المسيح هو الله، أعني: الفرق المعاصرة الموجودة؛ أما وجود الموحدين فقد كان وجودهم حاصلاً إلى زمن محمد ﷺ، لكن كانوا قلة مضطهدين، الأغلب الأعم الفرق الكبرى كلها تعتقد ألوهية المسيح؛ لذلك نقول: كان إيمانهم بالمسيح عليه السلام مدخولاً، آمنوا به على أنه ابن لله، وعلى أنه هو الله، وعلى أن الله ثالث ثلاثة، فكانوا يفرقون بين الله وبين رسله، ولم يؤمنوا بدعوة المسيح التي جاء بها من أن (لا إله إلا الله وأن عيسى رسول

الله)، فهم لم يؤمنوا بذلك، بل أطروا عيسى ابن مريم فوق منزلته، بالغوا في مدحه حتى جعلوه إلهًا يعبد من دون الله ومع الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**لا تُطْرُونِي، كما أطْرتْ النّصارى ابْن مرْيم، فإنّما أنا عبْدُهُ، فقُولُوا عبد اللّهِ، ورسُولُهُ**»(١)، أضافوا إلى ذلك الكفر بمحمد ﷺ، فهذا كله تفريق بين الرسل، آمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٥١﴾.

وهذه المسألة من أعظم المسائل، أعني: مسألة أنه لا يصح إيمان بالله ﷻ إلا بالإيمان برسله، ولا يصح إيمان بالرسل إلا بالإيمان بالله بلا شريك وإلا بالإيمان بالرسل جميعًا، ولقد ذكر الله ﷻ عن الأقوام المختلفة أنهم كذبوا المرسلين، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وإنما كذبوا رسولهم، وهذا حق لا شك فيه، فمن كذب رسولاً واحدًا فقد كذب جميع الرسل، لا ينفعه إيمانه ببعض الرسل وكفره بالبعض الآخر، كما لا ينفعه إقراره بوجوده الله لو كفر بالرسل جميعًا، أو قال: لم يحملوا شريعة إلى أهل الأرض، أو ظن أنهم مصلحون اجتماعيون، فإن هذا ليس إيمانًا بالرسل، هناك من يمدح محمدًا ﷺ ويصفه بالعظمة، ويرى أن أمر النبوة إنما هو أمر مكتسب، خليط بين الذكاء والقدرة على التخيل والتصور والقدرة على التخييل للناس، وهذا اعتقاد الفلاسفة الذين كفرهم العلماء، هذا الذي يعتقد أن الأذكياء من العالم يمكن أن يكونوا أنبياء؛ ولذا لم يعتقدوا بختم

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥٦).

النبوة لأن الذكاء لا ينقطع، ومن لم يعتقد أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، فهو كافر؛ ولذا كانت الفرق التي تتدعي النبوة لأحد بعد النبي ﷺ؛ كالقاديانية المشهورين بالأحمدية، وكذا البابية والبهائية فهم كفار بلا نزاع بين المسلمين.

نقول: الإيمان بالله ﷻ لابد فيه من التوحيد ولابد فيه من الإيمان بالرسل جميعًا، وخصوصًا خاتمهم محمد ﷺ الذي قال: «**والذي نفْسُ مُحمّدٍ بِيدِهِ، لا يسْمعُ بي أحدٌ مِنْ هذِهِ الأُمّةِ يهودي ولا نصراني، ثُمّ يمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بَالذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلاّ كَانَ مِنْ أصْحابِ النّارِ**»[1]، وهذا نص قاطع في هذه المسألة.

ولما كان الإيمان ببعض الكتب المنزلة والكفر ببعض كفرًا، فكذلك بلا شك الإيمان ببعض الرسل دون بعض، أو الإيمان ببعض دعوتهم ورد بعض، فمن ظن أن دعوة الرسل إلى التثليث، أو أن دعوة الرسل إلى الشرك بالله ﷻ، فهذا لم يؤمن بالرسل ولم يتبعهم ولم يؤمن بالله ﷻ، فالذي يفرق بين الله ورسله حين يؤمن بالله - أو هكذا يزعم - وهو كافر بالرسل، أو يؤمن بالرسل وهو مشرك بالله أو يدعي له ما لا يجوز، فقد فرق بين الله ورسله، وكذا من قال: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾.

مع أن القضية محسومة عند أهل الإسلام من قديم، إلا أن أصحاب زمالة الأديان ووحدة الأديان في زماننا وفي الأزمنة السابقة؛ من الباطنية الفرق

(١) سبق تخريجه (٢/ ١٩١).

الضالة المنحرفة أصحاب وحدة الوجود وأصحاب مساواة الملل، حاولوا في الماضي ولا يزالون يحاولون في المستقبل في هذه القضية، حتى قال قائلهم: الخلاف مع اليهود والنصارى في أمر النبوة، وهو لا يقتضي كفرهم، نعوذ بالله من الكفر.

من سوغ للناس تكذيب محمدٍ ﷺ، أو حتى ترْك اتباعه ولو كان مصدقًا به، لكن سوغ للناس ولو لآحاد من الناس الخروج عما جاء به محمد ﷺ فقد فرق بين الرسل، فهو كافر حقًّا، لا يختلف المسلمون في ذلك، والقضية قضية خطيرة، خصوصًا عندما تصبح هذه الدعوة دعوة عالمية، دعوة مساواة الملل وحوار الأديان وغير ذلك، التي لا يقصدون بها محاورة أهل الكفر ليدخلوا في الإسلام، بل إنما يبحثون عن القدر المشترك - كما زعموا - مع السكوت عن غيره؛ حتى تنشأ أجيال لا تعرف أن من خالف دين الإسلام فهو كافر، يأبون وصف الآخرين بالكفر، بل يقولون: الآخرون أو الآخر؛ حتى يهونوا هذه المسألة، وحتى توجد أمم أو أجيال قادمة لا تعرف أن الإسلام هو الحق دون ما سواه؛ لذا نقول: القضية بلا شك خطيرة، قضية التفريق بين الرسل، وينبغي أن تبين للناس، خصوصًا مع كثرة الإلحاح على مسألة وحدة الأديان وزمالة الأديان ومساواة الملل في وسائل الإعلام وفي خطابات الكبار والرؤساء، حتى رؤساء الدول الغربية إنما يدندنون حول هذه المسألة، مسألة مساواة الملل، ونعوذ بالله من ذلك، وجب التنبيه والتأكيد على أن من كفر بمحمد ﷺ كيف يكون مؤمنًا بحال؟! لابد من بيان هذا الأمر، ومن تدبر هذه المسألة علِم أن الحجة قائمة بهذه المسألة على كل من بلغته: (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ)؛ لأن هذا من المعلوم من الدين

بالضرورة أن الرسول ﷺ أرسل إلى كافة الخلق، وأنه جاء بذلك وعليه أمة الإسلام، فمن سوغ لأحد وجوّز له أن ينجو عند الله، وهو يكفر ويكذب محمدًا ﷺ، فهو شاك على أقل تقدير فيما يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله. كيف تشهد أنه رسول الله، وفي نفس الوقت تصحح مذهب ودين وملة، أو تسوغ ملة من يقول: هو رجل كذاب أو ساحر أو ليس برسول أو ليس بنبي؟! فمن فعل ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين، لا نزاع في هذه المسألة.

وكما ذكرتُ الحجة فيها قائمة ببلوغ أن محمدًا رسول الله ﷺ، فمن قال وهو يعلم عقيدة النصارى واليهود - والنصارى خصوصًا - في عبادة غير الله؛ لأن كثيرًا من الناس لا يدري شرك اليهود إلا بالتلازم أعني أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حين اتبعوهم في تبديل الشرع، وطائفة منهم هي التي تقول عزير ابن الله وليس كلهم، فهناك قد يتلبس الأمر على البعض ويظن أن اليهود موحدون، والحقيقة أنهم مشركون بتكذيبهم محمدًا ﷺ وبتكذيبهم القرآن.

نقول: من علم أن من دين اليهود والنصارى تكذيب محمد ﷺ ثم صحح مِلّتهم، كان ناقضًا للشهادة، كان ناقضًا لما أتى به من شهادة أن محمدًا رسول الله، وبالتالي يكون قد نقض شهادة لا إله إلا الله؛ لأنه بذلك قد فرق بين الله ورسله، ومن كان يعلم ويعرف أن من عقيدة النصارى عبادة المسيح من دون الله أو مع الله أو على أنه صورة من صور الإله، وهو يعلم أنهم يقولون: إنه ابن الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وكذا أنهم يقولون: إنه ثالث ثلاثة، ثم صحح ملتهم وجوز عقيدتهم، فهو مشرك

بالله ﷻ كافر بمجرد ذلك؛ لأن الحجة مقامة عليه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

الذي يُتصور من الجهل في ذلك أن لا يكون يظن أن النصارى يعبدون المسيح، أو يظن أنهم لا يكذبون محمدًا ﷺ، وإنما يقولون: هو رسول إلى العرب مثلاً، فيُبين له الأمر، يُبين له حالهم، وأن رسول الله ﷺ أرسل إلى الناس كافة، فإذا بُيِّن له فأصر على عدم تكفيرهم كان كافرًا، نعوذ بالله من ذلك.

وكذا تتلى عليه الآيات البينات، لو قال مثلاً: هم مخطئون وليس بكفار. تتلى عليه الآيات: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، وكذا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، تتلى عليه الآيات فإن أصر بعد ذلك أنهم ليسوا مشركين ولا كافرين، لم يكن مسلمًا.

وهذه القضية من أعظم القضايا فتنة في زماننا؛ لأن كثيرًا من الناس يُروّج عليه هذا الأمر، ومن أيام الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين وهم يمهدون الطريق نحو هذه العقيدة الفاسدة، والحقيقة - كما ذكرتُ - أنه وجد في الإسلام فرق تنتسب إلى الدين وهي تنتحل هذه النِّحْلة الكفرية بلا نزاع،

فأصحاب وحدة الوجود، أصحاب ابن عربي، ابن عربي قد صرح وكذا ابن الفارض في تائيته وكذا باقي القائلين بوحدة الوجود كصدر الدين القونوي وجلال الدين الرومي وأمثالهم، كلهم يصرحون بأن الملل متساوية، وأن من يعبد الوثن كمن يعبد الصليب كمن يعبد الله الواحد الأحد، وأن أتباع كل الملل يسوغ لهم أن يبقوا على ما هم عليه، والعياذ بالله؛ ولذا تجد ترحيبًا هائلاً من الغربيين من المستشرقين وكذا من الهيئات الرسمية بفكر ابن عربي وابن الفارض، وجلال الدين الرومي، وصدر الدين القونوي، وأمثالهم من يصرح بوحدة الأديان والملل.

وهم مصرون على تكذيب محمد ﷺ، وتكذيب ما جاء به من أنه لا يُعبد إلا الله، نعوذ بالله من ذلك، يعني: يصححون ملتهم رغم علمهم بتكذيبهم محمد ﷺ؛ لذلك نقول: هذا من مسائل الجاهلية الخطيرة؛ أما المشركون الذين بعث فيهم محمد ﷺ - عباد الأوثان - ففرقوا بين الله ورسله فأقروا بوجود الله سبحانه خالق السماوات والأرض وفرقوا بينه وبين رسله فلم يوجبوا اتباع الرسل، وإنما أوجبوا اتباع الكبراء والسادة؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾، وفي القصة المشهورة في إسلام أبي سفيان أنه قال: (**فذهبْتُ بِهِ إلى رحْلِي، فبات عِنْدِي، فلمّا أصْبح غدوْتُ بِهِ إلى رسُولِ اللّهِ ﷺ، فلمّا رآهُ رسُولُ اللّهِ ﷺ، قال: ويْحك يا أبا سُفْيان، ألمْ يأْنِ لك أنْ تعْلم أنّهُ لا إله إلّا اللّهُ؟ قال: بِأبِي أنْت وأُمِّي، ما أحْلمك وأكْرمك وأوْصلك، واللّهِ لقدْ ظننْتُ أنْ لوْ كان مع اللّهِ إلهٌ غيْرُهُ لقدْ أغْنى عنِّي شيْئًا بعْدُ، قال: ويْحك يا أبا سُفْيان! ألمْ يأْنِ لك أنْ تعْلم أنِّي رسُولُ اللّهِ؟ قال: بِأبِي أنْت وأُمِّي، ما أحْلمك وأكْرمك**

وأوْصلك! أمّا هذِهِ واللّهِ فإِنّ فِي النّفْسِ مِنْها حتّى الْآن شيْئًا. فقال لهُ الْعبّاسُ: ويْحك! أسْلِمْ واشْهدْ أنْ لا إله إلّا اللّهُ، وأنّ مُحمّدًا رسُولُ اللّهِ قبْل أنْ تُضْرب عُنُقُك. قال: فشهِد شهادة الْحقِّ، فأسْلم)[1]. فأسلم وقد حسن إسلامه بعد ذلك، ولكن المقصود أنهم كانوا يقرون بوجود الله وأنه الذي يتصرف في الكون ويدبره: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾.

فهذا دليل على إقرارهم بربوبية الله أو ببعض معاني الربوبية، لكنهم أبوا أن يوحدوه إلهًا معبودًا لا شريك له، وأبوا أن يتابعوا محمدًا ﷺ، حتى دعوا: «**اللّهُمّ أقطعنا لِلرّحِمِ، وآتانا بِما لا يُعْرفُ، فأحِنْهُ الْغداة**»[2]، يدعون الله أن يفصل بينهم وبين محمد ﷺ، حتى قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، من عتوهم وكفرهم يزعمون أنهم مستيقنون بعدم نبوته ﷺ، لدرجة أنهم يدعون لو كان هذا هو الحق من عند الله ﷻ أن يمطرهم الله بحجارة من عنده أو يأتيهم بعذاب أليم، فأمطر علينا حجارة من السماء، يدعون على أنفسهم كأنهم مستيقنون تمام اليقين أن محمدًا ﷺ لم يأت من عند الله، فهذا تفريق بين الله ورسله.

وقد ورث هذا الميراث كل الفرق الضالة المنحرفة التي وصلت إلى

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠٣)، والروض الأنف (٧/ ٢١٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٤).

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٢٠٩).

الشرك بالله، فإن ميراث الكافرين موروث لدى من أشرك بالله ﷻ، وهذا وإن زعم الإيمان بمحمد ﷺ، لكنه عبد غير الله مع الله؛ أشرك بالله، صرف له العبادة، دعاه، أو استغاث به، أو استنصره، أو طلب منه قضاء الحاجات وكشف الكربات، ودعا له الشفعاء من دونه، فهذا هو الذي ورث عقيدة المشركين، وكذا من غلا في النبي ﷺ حتى جعله لله ندًا، فإنه قد ورث ميراث النصارى في عدم إيمانهم بالمسيح عبدًا ورسولاً، وقد قال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرتْ النّصارى ابْن مرْيم، فِإنَّمَا أَنَا عبْدُهُ، فقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»(١)، فهو لا يرضى برفعه فوق منزلته التي جعله الله ﷻ فيها، فالذين غلوا فيه وجعلوا له تدبير الكون وجعلوه ﷺ يشارك الله ﷻ في علمه حتى قال قائلهم(٢):

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي منْ أَلُوذُ بِهِ ... سِواكَ عِنْدَ حُلُولِ الحادِثِ العمِمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مِعَادِي آخِذا بِيدِي ... فضْلا وإِلَّا فقُلْ يَا زلَّة الْقَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِك الدُّنْيا وضرَّتها ... ومنْ عُلُومِك عِلْمُ اللّوحِ والقلمِ

من علوم الرسول: علم اللوح والقلم، ومن جود الرسول: الدنيا وضرتها، وهي الآخرة، فسبحان الله! ما بقي لله إذا كانت الدنيا والآخرة من عطاء رسول الله ﷺ يعطيها لمن شاء، فماذا يبقى لله ﷻ؟! وإذا كان علم اللوح والقلم، علم الغيب الذي استأثر الله به، بل وتفاصيل كل ما يقع؛ من قطرة ماء تنزل من السماء، أو نقطة في بحر، أو ورقة في غابة من الغابات،

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥٥).

(٢) سبق عزوه (٢/ ١٩١).

أو خاطر يخطر في بال عبد من العباد عبر السنين، أن كل ذلك من علوم رسول الله ﷺ، نعوذ بالله من الغلو، وأي غلو فوق هذا؟!

نقول: هذا الميراث، ميراث الجاهلية، الذي ورثه أهل الغلو وأهل البدع الذين تابعوا من سبقهم في التفريق بين الرسل والتفريق بين الله ورسله، نعوذ بالله من الضلال.

الْمسْألةُ التّاسِعة عشْرة بَعْدَ الْمِائَةِ: مُخالفتُهُمْ فِيمَا ليْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

الـشـــرح:

المجادلة بالباطل حتى وهو لا يعلم، لكن يريد أن يكون له مشاركة في الجدال، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

انتحل اليهود والنصارى إبراهيم عليه السلام، كلٌّ منهم يدعي أنه من طائفتهم، مع كونهم يحصرون الهداية في طائفتهم، فلا يصح عند اليهود أن يوصف بالهداية إلا من كان يهوديًّا، ولد يهوديًّا من أم يهودية، حصروا الهداية في ذلك؛ وأما النصارى فيزعمون أنه لا يهتدي ولا ينجو إلا من قبل المسيح مصلوبًا مخلّصًا؛ فأين هذا في دعوة إبراهيم الذي تنتحلونه وتنتسبون إليه حتى زعمتم أنه على ملتكم، زعم اليهود أنه على ملة اليهود، كيف وما أنزلت التوراة إلا بعد إبراهيم؟! والنصارى يزعمون أنه على طريقتهم، كيف وعيسى ما أرسل إلا بعد إبراهيم بزمان وما أنزل الإنجيل إلا من بعده؟!

وقد يظن البعض أننا حين نقول: إن إبراهيم كان مسلمًا ترد علينا نفس الشبهة: فقد كان الإسلام بعد ذلك.

نقول: بل الإسلام دين جميع الأنبياء، الإسلام معناه: الاستسلام

والانقياد التام لأمر الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾. وأما الإسلام الخاص، أعني: التزام هذه الشريعة التي بعث بها محمد ﷺ، فهذا بعد بعثته ﷺ يستحيل أن يوجد من يتدين بهذا الدين بالإسلام إلا بمتابعته ﷺ؛ أما قبل بعثته فقد كان يمكن أن يوجد يهودي مسلم، ونصراني مسلم، وصابئ مسلم؛ لأن الله ﷻ ذكر ذلك عن هؤلاء، وقد وجد ذلك، يمكن أن يوجد، وقد كان إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلما، وما كان من المشركين.

فمن كان موحدًا من أهل الملل قبل أن تبلغه دعوة محمد ﷺ، من كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، فهذا له أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وهل هناك أنبياء دعوا إلى مسمى غير الإسلام؟

الظاهر أن هناك أسماء بالإضافة إلى اسم الإسلام، كقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، ولكن هذا لا ينافي اسم الإسلام؛ لأنهم دعوا إليه اسمًا وحقيقة، بالإضافة إلى وصف اختصوا به، وذلك كما قال ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ وهم موحدون لأنهم كما وصف الله هؤلاء: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

لكن اسم الإسلام أصبح خاصًا بهذه الشريعة بعد بعثته ﷺ، أعني: أنه لا يصح أن يكون هناك مسلم لا يتدين باتباع محمد ﷺ؛ أما قبل بعثته فيمكن

كأن لم تبلغه رسالته ﷺ، ولو أمكن وجود موحد من أهل الكتاب لم يسمع برسالة محمد ﷺ، لقلنا: نعم هذا إنسان ناج عند الله، كما قال النبي ﷺ في الثلاثة الذين لهم أجرهم مرتين: «**رجُلٌ مِنْ أهْلِ الْكِتابِ آمن بِنبِيِّهِ، وأدْرك النّبِيّ ﷺ فآمن بِهِ واتّبعهُ وصدّقهُ**»(١).

وفي الحقيقة هناك عدد محدود جدًا من فرق النصارى يقول بعدم ألوهية المسيح، لكن مسألة تكذيب محمد ﷺ واردة عليهم أو حتى عدم متابعته، لو صدقوه أنه رسول الله، لكن لم يلتزموا اتباعه، كما جاء حبران من أحبار اليهود وسألا النبي ﷺ: «**. . . وجِئْتُ أسْألُك عنْ شيْءٍ لا يعْلمُهُ أحدٌ مِنْ أهْلِ الْأرْضِ إلّا نبِيٌّ أوْ رجُلٌ أوْ رجُلانِ. قال: ينْفعُك إنْ حدّثْتُك؟ قال: أسْمعُ بِأُذُنيّ**». فأجابهما النبي ﷺ: «**فقبّلا يديْهِ ورِجْليْهِ وقالا: نشْهدُ أنّك نبِيٌّ، قال: فما يمْنعُكُما أنْ تُسْلِما؟ قالا: إنّ داوُد دعا اللّه، أنْ لا يزال فِي ذُرِّيّتِهِ نبِيٌّ، وإنّا نخافُ إنْ أسْلمْنا أنْ تقْتُلنا اليهُودُ**»(٢).

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يذكر في مناظرته مع طوائف من أهل الكتاب أنه ألزمهم بأنكم لو قلتم: إن محمدًا ﷺ كاذب، لكان ذلك فيه نفي وجود الرب أصلاً، وليس شركًا به؛ لأنه يؤيده بأنواع التأييد وينصره على من تزعمون أنهم أولياء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤)، واللفظ لمسلم: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ**».

(٢) أخرجه بهذه الزيادة الترمذي (٣١٤٤)، والطيالسي (٢/ ٤٨٣)، والطبراني في الكبير (٨/ ٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٨٧)، وأصله في مسلم (٣١٥).

الله، ويجري على يديه خوارق العادات، ويصدقه في كل خبر يخبر به عنه، فلو كان هذا كله كذبًا للزم عدم وجود إله لهذا العالم، وإلا كان إلهًا مضلاً للناس. فقالوا: نحن لا نقول إنه ليس برسول حاشا وكلا - هذا ابن القيم يحكي قولاً عن أناس في زمنه - ولكن نقول: إنه رسول إلى العرب(١).

وهذا متناقض، لو صدقتم أنه هو رسول من عند الله أيًّا ما كان، هو قد أخبر فيما أوحاه الله إليه، صدقتم هذا الكتاب الذي أنزله الله عليه وقلتم هذا كتاب حق تحتجُّون بآياته، وقد قال الله فيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وكذا قال النبي ﷺ: «**وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامّةً**»(٢)، فالقرآن ينص على أن محمدًا ﷺ رسول إلى الناس كافة، رسول إلى الناس جميعًا، فلو صدقتموه ولم تتبعوه كنتم كفارًا، حتى ولو زعمتم أنكم تنتظرون نبيًّا آخر، أو تنتظرون نزول المسيح أو غير ذلك، مع أن عندهم من أنواع الكفر أنواع متعددة، كل طائفة منها لها من أنواع الكفر أنواع متعددة،

---

(١) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمْ أَيْضًا مَخْدُوعُونَ، أَتَرَوْنَ أَنَّهُ آمَنَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْقُوَّادِ وَمِنْ رُؤَسَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ؟ فَقَالَ لَهُمْ بَعْضُ أَكَابِرِهِمْ: أَتَرَوْنَ كِتَابَكُمْ يَحْكُمُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ؟ فَقَالُوا لَهُ: اكْشِفِ الْكُتُبَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَجِيءُ مِنْ جِلْجَالَ نَبِيٌّ. فَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ نَفْسَهُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَنْزَلَهُ بِهَا رَبُّهُ وَمَالِكُهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَوْ عَلِمَتْ مِنْ دَعْوَاهُ الْإِلَهِيَّةِ لَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ وَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ أَعْظَمَ أَسْبَابِ التَّنْفِيرِ عَنْ طَاعَتِهِ، لِأَنَّ كَذِبَهُ كَانَ يُعْلَمُ بِالْحِسِّ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ وَاتِّفَاقِ الْأَنْبِيَاءِ). انظر: هداية الحيارى (٢/ ٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**». واللفظ للبخاري.

فالمخالفة فيما ليس لهم به علم، المجادلة بالباطل، هذا ظاهر جدًا عند اليهود وعند النصارى، وذلك أنهم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، فما شأن الأنبياء قبل ذلك؟! ما شأن كل من جاء قبل موسى؟! ولا شك أن الكتاب الذي بين أيديهم يشهد لأنبياء الله بالنجاة، ويشهد لمن تبعهم بالنجاة، فكيف تقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى؟!

كيف تزعمون أن اليهود بني إسرائيل فقط هم شعب الله المختار دون غيرهم، وأن الله لم يصطف أحدًا، وأنه لابد أن يولد يهوديًّا ويحصرون؟! ولذلك الديانة اليهودية أقل ديانة تنتشر، لا يمكن أن يتهود الإنسان، ممنوع التهود عندهم، الذي لم يولد يهوديًا أغلق عليه الباب، والعياذ بالله.

هم ستة ملايين لا يزيدون، في العالم كله لا يزيدون عن عشرة ملايين؛ لأنهم يمنعون الدخول، ليس عندهم أنه يمكن أن يكون هناك إنسان يأخذ من خبز الأولاد، لا يوجد كلب يأخذ من خبز الأولاد، كما زعموا بالكذب والزور.

والعجب أن النصارى يصدقونهم على ذلك، لكنهم فتحوا الباب للكلاب لمن أقر بأنه من الكلاب، حكيت لكم قبل ذلك أنهم يزعمون أن امرأة جريت وراء المسيح ليدعو لابنها بالشفاء، فقال: ليس حسنًا أن يأخذ خبز البنين ويرمى للكلاب، فقالت: يا سيدي، الكلاب أيضًا تأكل مما يلقيه إليها سادتها. فقال: ما أعظم إيمانك يا امرأة! اذهبي فقد شفي ابنك.

فالذي يقر بأنه كلب يأخذ من الذي يعطيه له اليهود، الذي يقر بذلك فهو

مؤمن إيمان عظيم، يكون تابع لليهود، كلب عندهم ينفذ ما يريدون، فهذا هو المقبول ويمر عندهم، والعياذ بالله.

ولذلك الإنسان يتعجب كيف يوالي النصارى اليهود هذه الموالاة العجيبة وحرص عظيم على كل مصلحتهم، وهم يكذبون نبيهم ويقولون: ابن زنا، والعياذ بالله، يعني: الواحد لا يقدر أن يتكلم بهذه الكلمات، والعياذ بالله؛ لأن الله قال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾، ويزعمون أنه كاذب، ويزعمون أنه صلب لأجل أنه ادعى الألوهية فيجب أن يصلب، كما حكم بذلك الكتاب، لابد أن يقتل وأنهم فعلوا ذلك به.

ومع ذلك يتبعونهم هذا الاتباع، يكذبون نبيهم ويكذبون كتابهم، ويتهمون أمه بالفاحشة، والعياذ بالله، ومع ذلك كالكلاب عندهم! عقيدة عجيبة، لكن تفسرها هذه القصة، أنهم من ألقى إليهم السادة بشيء، وأنهم كالكلاب عندهم فهؤلاء يكونون مقبولين عند الرب، وأظن أن الأمر أعمق من ذلك في التبعية لأجل الرياسة والملك الذي يحركه اليهود، وإلا فالباب لا يحتمل عقائد تقبل بدرجة من درجات العقل أبدًا، ليس هناك عقائد مقبولة، وإنما هي كما ذكرت: ملك ورياسة وجاه، اليهود مسيطرون على مفاتيحه في ظنهم، فلابد من رعاية مصالحهم، والعياذ بالله، نسأل الله العافية.

وعند النصارى المحافظين في هذا الزمان وعلى رأسهم بوش القديم الرئيس السابق، كان يقولون: إن نزول المسيح مرتبط بسيطرة اليهود على العالم. هذا وإن كان في الحقيقة كلام غير محتمل، فكيف يسيطر اليهود على العالم وهم يكذبون المسيح؟!

نسأل الله العافية، فكل هذا في المخالفة بما ليس لهم به علم - كما ذكرنا - منطبق على اليهود والنصارى في أوضح المقامات كما ذكرت، يعني: لا يقبل عقل سليم أبدًا أن كل الرسل قبل مجمع نيقية الأول - لا نقول قبل الإنجيل - الذين يزعمون أن نجاة الناس إنما هي بالصلب، إنما هذا الذي قرره مجمع نيقية الأول بعد ثلاثمائة وبضعة عشر سنة من المسيح أو في القرن الرابع الميلادي بعد أكثر من ثلاثمائة سنة؛ أما قبل ذلك فماذا كانت الدعوة؟! الأناجيل المكتشفة مسجلة بتواريخ قبل مجمع نيقية الأول في بحيرة طبرية وفي غيرها لا علاقة لها بقصة الصلب، لا تذكر قصة الصلب كقضية الفداء، إنما تذكر تعاليم المسيح فقط، تعاليم المسامحة والعفو مع التأكيد على التوحيد، وأناجيل مكتوبة قبل هذا المجمع العجيب، هو الذي جعل له كل الصلاحيات في تقرير العقيدة، في تقرير ما هو الكتاب المقدس، في إلغاء ما ليس بمقدس عندهم؛ لأن هذا المجمع كان معروضًا عليه أو كان في ذلك الزمن نحو سبعين إنجيلاً اختار منها أربعة فقط وألغى الباقي، فماذا كان شأن الأمم السابقة قبل هذا المجمع، وقبل تقرير هذه العقيدة، وعلى الأقل قبل مجيء المسيح، وليس هناك حرف عن أن الصلب فداء وأنه لا فداء بدون ذلك؟! يجادلون فيما ليس لهم به علم، ينتحلون إبراهيم عليه السلام وينتسبون إليه، وهم لا يفقهون أن هذا الأمر حجة عليهم بلا شك؛ لأن إبراهيم عليه السلام أنتم تتبعونه أو تقولون: إنكم تتبعونه ولم يكن عنده شيء من ذلك: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

أما الكفار من قريش فهذا من كذبهم وافترائهم أيضًا يفترون على الله الكذب ويجادلون فيما ليس لهم به علم، كما بين النبي ﷺ في قوله عنهم عندما رأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام داخل الكعبة، فقال: «**قاتلهُمُ اللّهُ، لقدْ علِمُوا: ما اسْتقْسما بِها قطُّ**»[1].

ومع ذلك كانوا يجادلون كثيرًا بالباطل دون علم، ومن كان من أهل الجهالة والضلالة من هذه الأمة من أهل البدع والانحراف ورث هذه الضلالات، ويخالف فيما ليس له به علم، ويجادل بالباطل مدافعًا عن البدع، فالخرافات والخزعبلات والأحاديث الضعيفة والمكذوبة التي يبني عليها أهل البدع - خصوصًا من الرافضة ومن الصوفية - عقيدتهم وأعمالهم، هذا من المجادلة والمخالفة فيما ليس لهم به علم، مجرد حكاية يجدونها في كتاب يبنون عليها أنواع الضلال والغلو في الأئمة والغلو في المقبورين، يحكون الحكايات العجيبة، من أين لكم علم بهذا؟! إنما هذا ميراث ورثوه ممن سبقهم من المشركين ومن أهل الكتاب، وسبحان الله كم يجادل بالباطل وفيما ليس له به علم أقوام من هذه الفرق كلها، وكل على قدر نصيبه فيما ورث من الباطل.

نسأل الله ﷻ أن يعافي المسلمين من كل بلاء، وأن ينجينا من شر الجهل والضلال.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٢٥٥).

الْمسْألةُ الْعُشْرُون بَعْدَ الْمِائةِ: دعْواهُمْ اتِّباع السّلفِ مَعَ التّصْرِيحِ بِمُخالفتِهِمْ.

الـشـــرح:

أهل الكتاب والمشركون كلٌّ منهم يدعي أنه يعظم سلفه من الأنبياء وأتباعهم، ويدعي أنه يتبعهم، واليهود معلوم أنهم يزعمون اتباع موسى ﷺ مع كونهم يكذبون بما أخبر به موسى وبما أوحى الله إلى موسى في التوراة من بعثة محمد ﷺ؛ كما قال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فالله ﷻ أوحى إلى موسى ﷺ وأخبره ببعثة محمد ﷺ وذكر وصفه في التوراة، وكما وصف الله ﷻ أتباعه ﷺ، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، هذه الآيات تدل على أن من ادعى متابعة موسى والتوراة، ومن ادعى متابعة المسيح والإنجيل، ثم هو يكفر بمحمد ﷺ، فهو كاذب في دعواه في كونه يتبع أسلافه المؤمنين الذين مدحهم الله ﷻ وأثنى عليهم،

كما أن النصارى يزعمون اتِّباع الحواريين ويعظمونهم، بل يغالون فيهم، وأخبر الله ﷻ عن الحواريين قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾، فهم مع تصريحهم بمخالفتهم يدعون متابعتهم، وهذا من أعظم التناقض، هذا الذي استوجب لهم ألا يلحقهم الله بالمؤمنين من أسلافهم، وأنه لا ينفعهم ادعاء المتابعة، وأن الإيمان بما أنزل الله ﷻ إلى جميع أنبيائه ورسله وما أوحى إليهم من كتبه شرط في صحة متابعة الأنبياء، كُلٌّ لا يكون متبعًا للأنبياء ولا لأصحاب الأنبياء من كذّب نبيًا واحدًا ومن كفر بكتاب أنزل الله ﷻ؛ ولذلك كان من كذب المسيح ﷺ من اليهود وكذب بالإنجيل كان كافرًا، باء بغضب من الله، ومن كفر بمحمد ﷺ منهم، باء بغضب على غضب، كما وصف الله ﷻ، فنحو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، هي فيمن سلف من المؤمنين والنصارى وكذا الصابئين الذين يوحدون الله ﷻ، وإن لم تعرف لهم شريعة، لكنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويوحدونه ﷻ.

المقصود: أن هذه فيمن آمن بالأنبياء ولم يبلغه خبر من تأخر منهم؛ فلذلك لم ينسب إليه، ما زال يسمى من الذين هادوا؛ لأنه لم يبلغه خبر رسالة المسيح، وما زال يسمى من النصارى؛ لأنه لم يبلغه خبر بعثة محمد ﷺ، أو كمن كان من اليهود بلغه كذب النصارى على المسيح من أنهم يدعون أنه جاء لأنه ابن الله وأنه هو الله وأنه ثالث ثلاثة؛ فمن كذب بهذا لم يكذب المسيح، وإنما الذي كذب المسيح هو من كذب رسالته، وكذب أنه جاء بالإنجيل من

عند الله ﷻ، من كذب أنه عبد الله ورسوله، واليهود يكذبون بذلك؛ فلذلك باءوا بغضب على غضب.

فنقول: من لم يبلغه خبر المسيح من اليهود، فكان موحدًا على شريعة موسى عليه السلام، ومن بعده من الأنبياء كان مقبولاً؛ أما من كان يعلم خبر المسيح ويعرف ما جاء به من عند الله ثم يكفر به، فليس متبعًا لموسى ولا لأتباع موسى، وكذا من النصارى ومن اليهود ومن الصابئين من بلغه خبر محمد ﷺ ورسالته، وأنه يدعو الناس إلى توحيد الله ﷻ، وأنه رسول من عند الله فكذب بذلك، فهذا لم يتبع موسى، ولم يتبع عيسى، وليس من أتباع موسى ولا من أتباع عيسى.

وأما مشركو العرب فكان عندهم من هذه المسألة أنهم يزعمون اتباع إبراهيم وإسماعيل، ويتشرفون بالانتساب إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومع ذلك فقد خالفوا فيما ابتدعوا من الشرك، خالفوا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين صوروهما يستقسمان بالأزلام، وهم يعلمون أنهما ما استقسما بها قط، كما أخبر بذلك النبي ﷺ[1].

لذلك هذا المرض مرض عضال خطير، وهو الاكتفاء بالادعاء، والظن أن ذلك الانتساب إلى من سبق من الأئمة والسلف كاف في تحقيق النجاة، وهذا قد تسرب إلى طوائف، كما ذكرنا كان من صفة أهل الكتاب والمشركين، ولم ينفعهم عند الله ﷻ، فقد تسرب هذا المرض إلى المتأخرين من هذه الأمة من أهل البدع والضلال والنفاق، ممن زعم متابعة

(١) سبق تخريجه (٢/ ٢٥٥).

السلف وزعم أنه على طريقهم، مع كونه يصرح بمخالفتهم، وبعضهم ينسب إليهم ما لم يقولوه، ولنضرب على ذلك مثالاً في قضية الأسماء والصفات من المعتزلة والأشاعرة، ممن يدّعُوا المتابعة لأصحاب النبي ﷺ، مع كونهم ينقلون عنهم أنهم ما تكلموا قط في تأويل الصفات، ويقولون: طريقة السلف أسلم، وهي ترك التأويل، وأحيانًا يكذبون في نقلهم ويقولون: هم يقولون بتفويض المعنى، يقولون بأن السلف يفوضون معاني الكلام، بحيث أن أسماء الله وصفاته ليست إلا حروفًا مجهولة المعنى، كلمات مبهمة كالكلام الأعجمي لا يفهم منه معنى على الإطلاق، ويزعمون أن هذا مذهب السلف وهم يعلمون أن السلف قد تكلموا في تفسير أسماء الله وصفاته، وتكلموا في إثبات هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى وأفعال الله ﷻ، لم يتكلموا قط في تحريفها باسم التأويل، ولم يتكلموا قط في تفويضها بالتجهيل، إنما فوض السلف الكيفية ولم يفوضوا المعنى، فكم من منتسب إلى هؤلاء ويزعم أنه من أهل السنة وأنه تابع للأئمة، ومع ذلك يخالفهم. فالكل ينتحل الأئمة الأربعة وينتحل أئمة الحديث، ينتحل الانتساب إليهم، ينتحلهم بمعنى: يدعي متابعتهم، مع كونه يجد في كتب السنة وفي كلام الأئمة ما يثبت منهج السلف في إثبات الأسماء والصفات كل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فإذًا لم تنفعهم هذه النسبة.

مثال آخر: في ادعاء الرافضة متابعة أئمة أهل البيت، وهم يدعون أنهم يحبونهم ويتابعونهم، وكم من نقول صحيحة هم الذين أثبتوه ليس فقط أهل السنة هم الذين يثبتونها، بل كتاب مثلاً يعتمدونه اعتمادًا تامًا، كتاب (نهج

البلاغة) المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع كونه ليس صحيح الإسناد إليه، ولكن هم يثبتونه، فيه من الحكم العظيمة والمواعظ الجسيمة بالإضافة إلى بعض المخالفات، لكن في الجملة فيه معان جيدة، وهذا الكتاب مليء بحب الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين ومعرفة فضلهم رضي الله عنهم مليء بنصوص كثيرة جدًا، فهم ينسبون ذلك لعلي بن أبي طالب، ومع ذلك يخرجون عما قاله علي رضي الله عنه بزعمهم، وكذا ينتحلون وينتسبون إلى جعفر الصادق ومحمد الباقر من الأئمة، وهم ينتسبون أصلاً ويسمون جعفرية من أجل انتسابهم إلى جعفر رضي الله عنه، والآثار التي تنقل عندهم وعند أهل السنة عن جعفر رضي الله عنه في حب الصحابة رضي الله عنهم، وخصوصًا الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، يقولون: جاءت نصوص في فضل الصحابة عن الأئمة تقية. كأن هؤلاء حتى مع خاصتهم يستعملون التقية، وهذا كلام باطل منكر، لكن هم يدعون متابعة من سلف من أئمة البيت، ومع ذلك يخالفونهم ويصرحون بمخالفتهم، وهذا من العجب!

وكذا من كان من الصوفية الذين ينتحلون مذهب أهل السنة، بل يقولون: نحن أهل السنة والجماعة. كما يُسمع الآن مثلاً ببعض الجماعات التي تسمى بأهل السنة والجماعة، وهي على منهج الصوفية، يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، وهم يخالفون أهل السنة، يخالفونهم في العقيدة بالغلو في الصالحين، هل كان عند الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم ما عند هؤلاء من الإشارات أو التصريحات بوحدة الوجودة أو بالحلول، أن الله عز وجل يحل في مخلوقاته؟!

هل قال أحد منهم مثلاً: (سبحاني سبحاني ما أعظم شاني)، كما تنقلون عن أئمتكم المبطلين؟!.

هل قال أحد من الصحابة والتابعين وأئمة السنة: لا إله إلا الله ما في الجبة إلا الله كما تنقلون عن أئمتكم؟! وتعتبرون من قال ذلك من الأئمة الكبار المظلومين في التاريخ كالحلاج مثلاً، ويعتبرون قتله على الزندقة مأساة ظالمة ظلمًا عظيمًا، وأنه قتل شهيدًا على أنه يصرح بالحلول، ويقول: لا إله إلا الله ما في الجبة إلا الله.

والأئمة الذين يقولون بوحدة الوجود ويصرحون بوحدة الملل هل تنقلون شيئًا عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك؟!

هل كان الصحابة رضي الله عنهم يبنون المساجد على القبور ويرفعون القبور، مع أنكم تقطعون وتجزمون أن الصحابة رضي الله عنهم إلى زمن تدوين الفقه.. الصحابة والتابعين ومن تبعهم لم ينقل عنهم حرف واحد في بناء المساجد على القبور، ولا في تعظيم القبور، ولا في الطواف بها، ولا في وضع صناديق النذور حولها أو عندها، ولا في السجود لها، ولا في دعائها، جزمًا ويقينا لا يستطيعون أن ينقلوا حرفًا واحدًا من ذلك بإسناد صحيح، وإنما هي حكايات مخترعة أتوا بها من عند أنفسهم، كما كونهم يزعمون وينتحلون الانتساب إلى السلف رضوان الله عليهم.

وفي زماننا هذا أيضًا هناك من ينتسب إلى السلف ويخالف منهجهم مخالفة بينة في أمر الشريعة، ويدعي أن منهج السلف هو الموافقة على ظلم الظالمين ومتابعة ومداهنة الخارجين عن شرع الله سبحانه وتعالى، بل هناك من يزعم

مثلاً أن قضية تحكيم الشريعة، وأن من حكم بغير ما أنزل الله على جهة التبديل للشرع والمنازعة لحكم الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ، وإلزام الناس بمخالفة شرع الله ﷻ وتحريم الرجوع إلى الشريعة على الناس، وأن من فعل ذلك عوقب وجرم، ومن دعا إلى ذلك عوقب وجرم في كثير من البلاد يصرحون بذلك، أن من دعا إلى تطبيق الشريعة يُعاقب بالسجن، في تركيا مثلاً هناك قانون ينص على أن من دعا إلى تطبيق الشريعة الإسلامية يُعاقب بالسجن ثماني سنوات، وإذا كان ضمن طائفة أو جماعة عوقب بالسجن مدى الحياة.

وسبحان الله! هناك من يقول: إن طريقة السلف أنهم يقرون مثل هذه الأمور أو لا ينكرونها، أو يقولون: هي كفر دون كفر. ويزعمون أن هذا كلام السلف، وهو كلام باطل قطعًا ويقينًا، ويثبتون الولاية لمن يحارب الدين بأنواع المحاربة، بما هو معلوم في المشارق والمغارب في كثير من البلدان يصرحون بمحاربة الدين، ويمنعون منه، ويصفونه بأن من التقاليد البالية ونحو ذلك، ومع ذلك يصفونهم بأعظم الأوصاف من الفخامة والسيادة والولاية، وربما سموهم: أمراء المؤمنين، وهم يسمعون كلامهم في الطعن فيما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب ومن السنة، ويزعمون بعد ذلك أن هذه طريقة السلف، ويتهمون من خالفهم بأنهم من الخوارج، وأنهم من المتطرفين وغير ذلك، وهذا كلام عجيب! مع كونهم إذا نقل الإجماع على أن السلف رضي الله عنهم، وأهل العلم متفقون على أن من خالف الشرع على سبيل الإلزام بمخالفة الشرع، كما قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر سخافات الياسق: (**فمنْ ترك الشّرْع الْمُحْكم الْمُنزّل على مُحمّدِ بْنِ عبد اللّهِ خاتمِ**

الْأَنْبِياءِ، وتحاكم إِلى غيْرِهِ مِن الشّرائِعِ الْمنْسُوخةِ كفر، فكيْف بِمنْ تحاكم إلى الياسا وقدّمها عليْهِ؟ منْ فعل ذلِك كفر بِإِجْماعِ الْمُسْلِمِين)[1].

إذا قيل لهم ذلك قالوا: هذا ليس صحيحًا، وهذا كلام مخالف لما يدعون من انتسابهم للسلف بلا شك، والسلف رضي الله عنهم ما شهد أحد منهم قط هذا الذي ابتدع في أزمنة التتار، ثم في أزمنة من بعدهم ممن يخالف شرع الله عز وجل، ما سمعوا ولا رأوا قط من يحكم بغير ما أنزل الله على جهة الإلزام بخلاف الشرع، وذلك من جنس من يقول: إنّ ضرب الوالدين ليس منهيًّا عنه أو هو ليس منصوصًا عليه، ولذلك إذا قلت له: قد قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، فكيف بالضرب الذي هو أغلظ؟! يقول: هذا ليس منصوصًا عليه، هذا المنصوص عليه فقط هو: ألا تقل لهما أف، ولكن الضرب ليس من ذلك، فهذا من العجب!

فالذي يقول: إن قول ابن عباس رضي الله عنهما في الحكم بغير ما أنزل الله: **كفر دون كفر**، ويعمم هذا على جميع أنواع الحكم بغير ما أنزل الله، فهو مبتدع في حقيقة الأمر، مخالف لإجماع أهل العلم هذه المسألة.

قول ابن عباس رضي الله عنهما على العين والرأس ونحن نقول به، ولكن فيما قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما ذلك، في نحو ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك، لا فيما خالفه بالقطع واليقين، وليس في زمن ابن عباس رضي الله عنهما ولا بعده بقرون متطاولة من كان يجعل الفرنجة أو شريعة اليهود أو شريعة النصارى أو شريعة الوثنيين

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٣٩).

شريعة ملزمة لأهل الإسلام؛ يحرم عليهم التقاضي إلى شرع الله، ويلزم القضاة والحكام وغيرهم بالتزام ما خالف الشرع، ويُعاقِب من التزم الشرع في ذلك، لو أن قاضيًا حكم على مجرم ثبتت جريمته بالبينة الشرعية بحد من حدود الله ﷻ، حاكموه وعزلوه، ووقائعهم في ذلك كثيرة، هل وجد هذا في زمن ابن عباس رضي الله عنهما فضلاً عمن بعده، حتى يقال هذا من هذا النوع، هذا من جنس قياس من قالوا: إنما البيع مثل الربا - والعياذ بالله - لمجرد وجود مكسب، لمجرد وجود تشابه من جهة ما، لمجرد الاشتراك في الاسم، في أن هذا يحقق مكسبًا لصاحبه أو مشابهة له في وجه من الوجوه.

لذلك نقول: هذه المسألة من جهة الحكم العام، أعني: لا من جهة الفتوى، من جهة الفتوى أن فلانًا بعينه هذا قد كفر أو لم يكفر، هذه مسألة اجتهادية مبناها على استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، بناء على مناقشة أهل العلم أو أهل القضاء الشرعي - حين يوجد أو إذا وجد - لهذا الذي اتُهم بكفر أو ردة، وينظر في إزالة الشبهة عنه واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وقد يجد البعض هذا الأمر قد انطبق وقد يجد البعض غير ذلك، بعد أن تتم هذه الأمور عند ذلك يكون الباب فيه اجتهاد؛ وأما إذا كان الذين يؤصل للمسألة، الذي يدّعي الانتساب للسلف ويجعل أن كل حكم بغير ما أنزل الله هو من هذا النوع، كفر دون كفر فقط، فهذا كلام باطل منكر، ولو في حكم واحد، أعني: لو أن إنسانًا - على سبيل المثال - رأى أن الزنا ليس بجريمة ويصرح بذلك، أقول هذا الكلام مثلاً طلبته الدول الأوروبية من تركيا أن تسنه في قوانينها، وأن تصرح بأن الزنا ليس جريمة، هذا نوع واحد فقط، هذا مقتضاها الاستحلال بلا شك ومنع العقوبة بالكلية، كانت تركيا عندها

من العهد الأتاتوركي بقايا من أن الزنا بدون تصريح والزنا من المرأة المتزوجة، طبعًا الزنا عندهم منقسم إلى بغاء مقنن، كما كان هو موجودًا في الدول المصرية قبل الثورة، كان هناك شيء اسمه البغاء، مهنة رسمية ولها دفاتر ومحاضر في الشرطة، وبيوت دعارة مقننة مسموح لها بممارسة البغاء، يتم الكشف على البغايا دوريًّا، حتى يمنع من انتشار الأمراض ونحو ذلك، فكان هذا الأمر رسميًّا، هذا الأمر كان موجودًا في الأتراك، والزنا في القانون الفرنسي القديم قبل العهود المعاصرة، والتي أخذت منها معظم قوانين الدول التي كان يحتلها الغرب في فترات الاحتلال، تنص على أن الزنا هو زنا المرأة المتزوجة فقط، قبل تغير الفكر الأوروبي إلى اعتبار أن بدن المرأة من حقها وحدها، لا سلطان لأحد عليها، كانوا يرون أنها إن كانت متزوجة فللزوج حق؛ ولذا الزنا في ذلك القانون كان يعاقب عليها بالسجن من ستة أشهر إلى سنتين، وظل هذا إلى عهد قريب في عهد الحكومة التركية الحالية، ولكن شرط انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي كان إلغاء هذا القانون؛ لأن أوروبا بأسرها لا تعترف أصلاً بأن الزنا جريمة، لا من متزوجة ولا من غير متزوجة، بل ترى أن معاشرة الرجل لامرأته بغير رضاها اغتصاب، مثل اغتصاب الرجل الأجنبي للمرأة، رجل اغتصب امرأة يعاقب رجل اغتصب زوجته يعاقب كذلك بنفس الجريمة، هذا عندهم شيء واحد، فالبرلمان التركي أقر هذا الأمر وألغى تجريم الزنا من القانون التركي، نقول: هذه مسألة واحدة، يقول: الزنا ليس جريمة، الزنا مباح في هذه البلاد بالتراضي بين الطرفين، من متزوج وغير متزوج، فهذا الكلام لا شك أنه من جهة النوع كفر ناقل عن الملة، لا يشك في ذلك مسلم، في حقيقة الأمر مثل

هذا الكلام المجادلة فيه من أعظم المجادلة بالباطل، وهو استحلال وزيادة أحيانًا في بعض النقاط.

التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث في آخر تعديل لقانون الأحوال الشخصية في تونس الذي صدر منذ سنوات قليلة موافقة لتوصيات مؤتمرات المرأة والسكان التي تنظمها الأمم المتحدة، والتي فرضت على كل الدول الموقعة على هذه الاتفاقيات الالتزام بسن التشريعات المناسبة، التي تحقق قرارات هذه المؤتمرات الناصة على مساواة الرجل بالمرأة، آخر تعديل للقانون التونسي، وقد كان منذ قديم، منذ أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة قد نص على مساواة الرجل والمرأة في الميراث، وأن الذكر يرث مثل الأنثى، وقد كان بعض البقايا في قانون الأحوال الشخصية متمثلاً في اعتبار ذمة الزوجين المالية منفصلة، وأن الزوجة بعد طلاقها من زوجها لا ترثه كالقوانين الأوروبية، أوروبا تعطي المرأة التي ظلت مع زوجها مدة معينة أنه إذا مات بعد الطلاق ولو بعد سنين تشاركه في ماله، وأنه إذا طلقها قاسمته الثروة، مع أن الذمة المالية منفصلة في شريعة الإسلام بالقطع واليقين، كل منهما له ماله الخاص، وبعد الطلاق لا يوجد رابطة بينهما إلا فترة العدة، إن كان الطلاق رجعيًّا، فكان بعد البقايا من هذه القوانين التي تعدها أوروبا هضم للمرأة، فكان التعديل الأخير الذي قال من سنّه وأقره: إنه قد آن لتونس أن تترك التقاليد البالية التي كانت تكبل وضع المرأة وتهضم حقوقها، وقد سبقنا قبل ذلك في هدم هذه التقاليد عندما سننّا المساواة بين الذكر والأنثى، نقول: هذا الحكم فقط - مساواة الذكر بالأنثى - توريث من لا يستحق الإرث بهذه الطريقة، وهو يعلم قطعًا ويقينًا أن الشريعة الإسلامية ليس فيها

شيء من ذلك، بل هي تخالف ذلك قطعًا ويقينًا، وأنها تورث بالقرآن للذكر مثل حظ الأنثيين في الأبناء، فإذا كان الأمر كذلك في هذه المسألة طالما صارت حكمًا عامًا، فهذا - والعياذ بالله - مناقض لكتاب الله ﷻ وجحد له في الحقيقة، ولا يصدر إلا من مكذب للقرآن العظيم أو مجوِّز ومستبيح، بل موجب كما ذكرنا، هذا أغلظ من جنس الضرب بالنسبة إلى أف، الذي يوجب خلاف الشريعة يخالف أشد ممن يجيز مخالفتها ويبيح مخالفتها، والنصوص القانونية والدستورية التي تتناول هذه المسائل وغيرها من مخالفة الشريعة تنص على الجواز وعدمه، يقولون: «لا يجوز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها، وإذا عاشرها بعد علمه بالزنا سقط حقه في المطالبة بإقامة الدعوى القانونية، ويسقط حقه كذلك إذا زنا في منزل الزوجية» فهذا نص يقول: لا يجوز، ويقول: (تعاقب بمدة لا تزيد على سنتين ولا تقل عن ستة أشهر، وللزوج أن يوقف تنفيذ العقوبة في أي وقت).

كلام في منتهى الوضوح أنه يتبنى وجهة النظر الغربية في أن الحق هنا حق شخصي فقط، ليس هناك حق لله ﷻ، أو ما يسمونه في التشريعات المعاصرة حق المجتمع لما يقول: كل من واقع أنثى بغير رضاها، وسِنّها يزيد على الثامنة عشر - وكان قبل ذلك ستة عشر - فهذا يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة، وإذا كان باختطاف فيعاقب بالإعدام.

مسألة كل من واقع أنثى، لم يقل زنى؛ لأن الزنا عندهم وضع معين، وهذا النص القانوني يعتمد عليه المحامون الذين يدافعون في قضايا الاغتصاب إذا أثبتوا أن هذا الفعل قد وقع بالتراضي، من قال بها واعتقدها وصححها وألزم الناس بها، الذي هو أغلظ هذه الأمور كما يقول سماحة الشيخ محمد بن

إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فهذا من الكفر الناقل عن الملة بلا شك[١].

وكما ذكرت قد يكون هناك من هو مكره أو جاهل، أو قد يكون هناك من هو متأول، فهذه موانع التكفير، ليست من موانع التكفير أنه يكون يقول: أنا أستحل هذا الأمر، حتى يقول ويأتي آخر ليضيف، وهكذا يستمر بهم الحال، حتى يصلوا إلى إبليس، فلا يتم القول بكفر أبدًا، ولا إبليس شخصيًّا، والعياذ بالله.

فمن يقول مثلاً: إنه لابد وأن يكون مستحلًّا للحكم بغير ما أنزل الله.

نقول: فإذا زاد على الاستحلال الإيجاب؟! إذا كان يوجب على الناس مخالفة شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويلزمهم بذلك في التشريع العام ويسن معاقبة من يخالف، فهذا ليس مما نقل عن السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتمسك بمن قال: إنه لابد أن يكون مستحلًّا.

نقول: نعم، هذا الذي ألزم الناس بخلاف شرع الله مستحل وزيادة، وإنما نقول ذلك من جهة الحكم العام، أعني: النوع؛ وأما بالنسبة للشخص المعين فلابد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، كما هو معلوم، لكن أصل المسألة تأصيلها، يدّعون اتباع السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم يخالفونهم ويصرحون

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة محمد بن إبراهيم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، (١٢/ ٢٨٤، رقم ٤٠٦٥) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من الكفر الاكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الامين على قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

بمخالفتهم في مثل هذه الأمور، ويزعمون أنهم هم الأولى بهذه المتابعة، وهذا أيضًا متكرر في كثير من الأمور، يزعمون اتباع السلف في أخلاقهم وفي دعوتهم، وهم يخالفون مخالفة بينة، لا يكفيك الانتساب، لا يكفيك أن تكون منتسبًا إلى السلف، وأنت تخالفهم، وأنت سلوكك أو قولك أو دعوتك أو منهجك يخالف ما ثبت عن السلف رضي الله عنهم، ولا يصلح وجود بعض المشابهة أو الموافقة فيما تقول وفيما يقول السلف في إثبات وصف السلفية لكل من انتسب إلى ذلك، حتى ولو خالف في غيرها وأكثر منها في أمور غير التي وافق فيها، بل وأكثر منها وأخطر وأجل فيما يدّعي، فمثلاً من يوافق السلف - على سبيل المثال - في قِصر القميص، ولكنه يخالفهم في أسلوب الذم والتجريح والطعن في الناس بلا بينة، والاتهام بالتهم الباطلة، فنقول: هل موافقتك في تقصير القميص تكفي في إثبات انتسابك للسلف، وأنت تخالفهم في طعن الناس في دينهم وأعراضهم وسبهم ولعنهم، وغير ذلك مما نهى عنه السلف رضي الله عنهم.

هذه جملة من مخالفات من تسرب إليه ذلك المرض من أهل البدع ومن أهل المخالفات للسلف رضي الله عنهم، مع الدعوى بأنهم يتبعون السلف رضي الله عنهم.

الْمسْألةُ الْحادِيةُ والْعِشْرون بَعْدَ الْمِائةِ: صَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ منْ آمن بِهِ.

الـشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾، فبين سبحانه أن أهل الكتاب يصدون عن سبيل الله من آمن به، يريدون صرف الناس عن دين الله ﷻ، وهذا الصد عن سبيل الله قد يكون مباشرًا بالنهي عن الدخول في الإسلام والأمر بضد الإسلام، وهو الكفر، بالدخول في أي ملة خلاف ملة الإسلام، وفتنة من آمن بالله ﷻ واتبع هذا الدين، فيكون بالقول ويكون بالفعل صدًّا مباشرًا عن الإسلام، فكل محاولة لصرف الناس عن دين الله ﷻ ونهيهم عن الدخول في هذا الدين أو أمرهم بالخروج منه، فإن ذلك من الصدِّ عن سبيل الله، وهو من الكفر الظاهر، نعوذ بالله من ذلك.

وقد ذكر الله ﷻ أنواعًا من الكفار من المشركين من الأمم السابقة ممن صدوا عن سبيل الله؛ كما قال ﷻ عن شعيب عليه السلام: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يبغون السبيل عوجا، فهم يصدون عن سبيل الله بأن قعدوا على كل طريق يأتي الناس منه ليصلوا إلى شعيب عليه السلام، يحذرونهم ويتوعدونهم بالعقوبات إذا آمنوا بشعيب عليه السلام، وهكذا كان المشركون أيضًا في زمن رسول الله ﷺ يصدون عن سبيل الله ﷻ بالتحذير من الدخول في هذا الدين، وبإنفاق الأموال في حرب المسلمين؛ كما

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

فكان التحذير من اتباع رسول الله ﷺ ديدن المشركين، كان المشركون يسيرون خلف رسول الله ﷺ يتهمونه بأنه الصابئ، وأنه الساحر، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وبين الرجل وأبيه، وبين الرجل وابنه، وبين الأخ وأخيه، وأنه أتاهم بما لا يعرفون، يسيرون خلفه يحذرون منه، وهذا كله من الصدِّ عن سبيل الله، يحذرون من لم يدخل في الدين حتى لا يدخل، ويخوفون من دخل حتى يخرج منه، وذكر الله ﷻ قصة أصحاب الأخدود الذين فتنوا الناس عن دين الحق، وحفروا لهم الأخاديد وأوقدوا فيها النيران، وأمروا الناس: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها. فاقتحم الناس وفعلوا، وهذا من أعظم الصد عن سبيل الله، وذكر ﷻ حال فرعون في صده عن سبيل الله ﷻ وقتله السحرة؛ لأنهم آمنوا بموسى ﷺ، أمنوا بالله رب العالمين، وآمنوا بنبيه ورسوله موسى ﷺ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم أجمعين؛ ليصد الناس عن سبيل الله.

وفي هذا الزمان، بل وفي كل زمان رؤوس الكفر يصدون عن سبيل الله ﷻ بأن يسعوا إلى صرف الناس عن دين الإسلام وتشويه صورة هذا الدين، كما فعل من سبقهم، يريدون صرف الناس عن الدين بتشويه صورة الإسلام وصورة المسلمين، وإثارة الشبهات المضلة حول هذا الدين، وإغواء الناس بالشهوات؛ حتى يرغبوهم في تركه واتباع دين سواه، والصد عن سبيل الله

يشمل كل هذه الصور من الشبهات والشهوات التي غرض أصحابها صرف الناس عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والمنافقون يصدون عن سبيل الله ﷻ بالقول والفعل، كما فعل من سبقهم، وذلك رغم أنهم دخلوا في هذا الدين ظاهرًا، إلا أنهم يريدون صرف الناس عنه وإيقاع الخصومة والعداوة بين أبناء هذا الدين؛ ليتمكنوا من صرفهم عنه، وبالفعل إذا تمكنوا من مكان ما وأرض ما، ساموا الناس سوء العذاب؛ ليصرفوهم عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكل هذا من الصد عن سبيل الله مباشرة، النوع المباشر. وأهل البدع يصدون الناس عن السنة، ويصدون الناس عن اتباع سلف الأمة، ويشوهون صورة من التزم طريق الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

فالتحذير من العقائد الصحيحة التي عليها أهل الإيمان، أهل السنة والجماعة، التحذير من هذه العقائد الصحيحة والحث على العقائد الباطلة والفاسدة هو من الصد عن سبيل الله ﷻ، ودعاة العلمانية الذين يريدون فصل الدين عن الحياة وعن الدولة على الأخص، هؤلاء أيضًا يصدون عن سبيل الله، وإذا تمكنوا من بعض المسلمين صدوهم بالفعل بأنواع الأذى والتعذيب والاضطهاد والقتل والسجن الذي يمارسونه لصرف الناس عن دين الله سبحانه وتعالى، وما القرارات الظالمة التي تمنع مظاهر الالتزام بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ كاللحية، والنقاب، وفي بعض البلاد يصل الأمر إلى الصلوات، النهي عن الصلاة في المساجد، وربما تخريب هذه المساجد كما يفعل اليهود وكما يفعل من والاهم، بأن يكره امتلاء المساجد بالمصلين ويفرح إذا قل العدد فيها وخربت وصارت مهجورة لا يعرفها أحد، كل هذا من صور الصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى، وهو صد مباشر كما ذكرنا؛ لأنهم ينهون

عن الطاعة مباشرة، وإن كان المنافقون يتدثرون بأن بعض هذه الأشياء ليست طاعة، وإن كانت الأدلة - حتى التي أجراها الله على ألسنتهم - تؤكد بطلان ما يزعمون، وأنهم يعلمون أحقية ما يصدون الناس عنه، وكذلك صرف الناس وصدهم عن التحاكم إلى شرع الله ﷻ وعقوبة من يدعو إلى ذلك وعقوبة من يحاول تطبيق ذلك، حتى لو كان بعيدًا عن أيديهم وسلطانهم، لكنهم يسعون إلى معاقبة كل من سولت له نفسه أن يفكر في إقامة شرع الله ﷻ، فلابد وأن يقع هؤلاء جميعًا ضمن من صدوا عن سبيل الله ﷻ.

وهناك صور أخرى دون الصورة المباشرة بيّن الله ﷻ نوعًا من الصد عن سبيل الله في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾، من فعل ذلك فله العذاب العظيم؛ لأنه حين حلف كاذبًا فإنه ساع في تشكيك الناس في أحقية أدلة الشرع، الشرع قد أقام الأمور على البينة وعلى الأيْمان في مواطن مختلفة وعلى الاعتراف كذلك، فإذا سعى إنسان باليمين الكاذبة، اليمين الغموس، في أن يأخذ حقًّا لمسلم أو لغيره بيمين فاجرة هو فيها كاذب، فهذا يشكك الناس في أحقية أدلة الشريعة، يجعلهم لا يثقون في التحاكم إلى الشرع، وربما لجئوا إلى السياسات الجائرة؛ لأنهم يرون الناس يحلفون فيستحقون، وهذا صد عن سبيل الله، وإن لم يكن صاحبه كافرًا.

راسل أحد أمراء عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو يحيى بن يحيى الغساني، (**ولي الموصل لعمر بن عبد العزيز: الحرب، والخراج، والقضاء، وكان محدثا متفقها فصيحا بليغا، قال: ولاني عمر الموصل، فوجدتها من أكثر**

بلاد الله تعالى سرفا ونقبا، وكتبت إليه أعلمه حال البلد، وأسأله: آخذ بالظنة فأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة؟ فكتب إلي: أن خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله تعالى. قال يحيى: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد، وأقلها سرفا وتقبل)[1].

فكم من الناس يفقه مثل فقه عمر رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أن الأمور إذا أقيمت بشرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا هو الصلاح، ولا يمكن صلاح بغير هذا، لكن كثير من الناس يقول: لو طبقنا الشريعة، لو طبقنا الشرع لأكل الناس بعضهم أموال بعض؛ لأنهم ربما لا يتمكنون من البينات فيحلفون فيستحقون، فلابد أن نعامل الناس بالسياسات التي يتعامل بها أهل الظلم؛ حتى يتمكنوا من أخذ الحقوق. يظنون أن هذا حق، يظنون أن هذا وسيلة للوصول إلى الحق، وهذا فيه من أنواع الظلم والفساد ما لا يعلمه إلا الله، ومن فساد الرعية والراعي بعد ذلك أضعاف أضعاف ما يظنون من الصلاح.

فكان ما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ من الصد عن سبيل الله من خلال اليمين الكاذبة، التي هي في حقيقة الأمر كبيرة من الكبائر، ربما لم تصل إلى الكفر، ولكن هذا نوع من الصد عن سبيل الله؛ لأن سبيل الله هو شرعه وما أمر به، واجتناب ما عنه نهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن فعل بفعله ما يؤدي إلى انصراف الناس عن الطاعة وعن إقامة الحدود والحقوق التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا صد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) انظر: إكمال تهذيب الكمال (١٢/ ٣٨٦).

وكذا اختلاف المسلمين فيه نوع من الصد عن سبيل الله، وذلك أن الناس إذا رأوا أهل الطاعة يختلفون ورأوهم متفرقين أوزاعًا، يقول قائلهم: لو كان هؤلاء على حق، لاجتمعت كلمتهم. فربما تركوا الحق ومن خالفه شبهة لديهم بسبب الاختلاف الواقع، وهذا أمر مشهود معلوم، مع أن كثيرًا من أمور الاختلاف قد لا يكون الأمر فيها واضحًا للطرفين، وربما كان هناك نوع من التعدي من بعض الناس دون البعض الآخر، ومع ذلك فهذا نوع من الصد عن سبيل الله، وإن لم يكن مباشرًا، وإن لم يصل إلى درجة الكفر، لكنه من أحوال أهل الجاهلية في التفرق والاختلاف، الذي ينشأ عنه انصراف الناس عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ولذلك دخل في ذلك أهل البدع جميعًا؛ الاعتقادية منها والعملية؛ لأنهم حين خالفوا الحق أظهروا صورة الالتزام بالدين عند الناس بالصورة المختلف فيها، فلا يدري الناس من الحق من المبطل؛ لأن ليس عندهم علم بالبينات، فيترتب على ذلك انصراف الكثيرين عن الالتزام، وفي زماننا كم يترك كثير من الناس الالتزام بالدين بالكلية من أجل أن الإسلاميين قد اختلفوا، وهذا الاختلاف في الحقيقة يتحمل وزره أهل البدع والضلال وأهل الشهوات كذلك وأهل التنافس على الدنيا، فإن التنافس على الدنيا فيه من الصد عن سبيل الله ﷻ؛ لأن الناس يتركون طاعة الله، يقولون: هؤلاء الذين تأمروننا أن نتبعهم يقتل بعضهم بعضًا، ويسفك بعضهم دماء بعض، وينتهك بعضهم حرمات بعض، ويتنافسون على المال والجاه والنساء وغير ذلك. فيتركون الالتزام بالكلية، نسأل الله العافية.

لذلك نقول: هذا يدخل في الصد عن سبيل الله، وإن لم يقصد صاحبه الصد، وإن لم يقصد من فعله أن يكفر الناس بالدين وأن يخرجوا منه، ولكن له نصيب من حال أهل الجاهلية، وكل محاولة لصرف الناس عن دين الله ﷻ مباشرة تدخل في النوع الأول، وكل فعل أو قول يترتب عليه تشكيك الناس في الالتزام بالدين أو صرفهم عن إقامة حقوقه وحدوده، هو أيضًا من الصد عن سبيل الله، وإن لم يبلغ ما بلغ النوع الأول، إلا أن يقصده صاحبه الذي فعله، يقصد صرف الناس عن دين الله ﷻ.

ولذلك نقول: إن هذا الأمر لابد أن يحذر كل واحد منا على نفسه، ربما صد عن سبيل الله وهو لا يشعر، وربما ظن نفسه يقيم الدين، ولكنه إذا حث الناس على أمر مخالف لشرع الله، فهذا يستلزم بالضرورة صدهم عن سبيل الله ﷻ؛ لأنه إذا أمرهم بأمر يخالف الشرع، فقد نهاهم عن موافقته، هذا يستلزم أنه صدهم عن سبيل الله ﷻ الذي يحبه ﷻ ويرتضيه، فلابد أن يكون الإنسان على علم بما شرعه الله ﷻ، وعلى التزام به عمليًّا وخلقيًّا وسلوكيًّا؛ لأنه إذا خالف قوله عمله كان صدًّا عن سبيل الله ﷻ، لابد أن يكون على علم بمواطن الشبهات والبدع والضلالات، التي يترتب عليها انصراف الناس عن الدين، وقد وصف الله ﷻ المنافقين فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾، فهذا النوع من الصد عن سبيل الله، الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وكذا فعل المنكر علانية وترك الواجب علانية، ومنع إقامة حدود الله ﷻ علانية، كل ذلك من الصد عن سبيل الله من آمن به، وما أكثر أنواع الصد عن سبيل الله ﷻ ومحاولة

صرف الناس عن الالتزام بالدين.

وهذا يبين خطر هذه المسألة، ويبين كثرة انتشارها في العالم منذ أزمنة بعيدة، وصاحب هذا الصد عن سبيل الله من أوجب الناس عقوبة، وأن يُلحق بأمثاله ممن صد عن سبيل الله ﷻ ممن سبق.

الْمسْألةُ الثّانِيةُ والْعِشْرون بَعْدَ الْمِائَةِ: مُودّتُهُمْ الْكُفَرَ وَالْكافِرِينَ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۚ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

هذا وقع من اليهود حين أحبوا المشركين من قريش وغيرها ممن خالف النبي ﷺ، وأظهروا مودتهم لهم وأظهروا حبهم لما هم عليه، وتفضيلاً لباطلهم وشركهم رغم علمهم كراهية في الإسلام، وكذلك وقع مثل هذا الأمر من رؤوس النفاق؛ كما قال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فبين ﷻ أنه لا يجتمع الإيمان مع مودة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقربين: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال النبي ﷺ: «**أوْثق عُرى الْإِيمانِ أنْ تُحِبّ فِي اللهِ، وتُبْغِض فِي اللهِ**»[1]،

(١) أخرجه أحمد (٣٠/ ٤٨٨)، والطبراني في الصغير (١/ ٣٧٢)، وفي الأوسط (٤/ ٢٧٦) وفي الكبير (١٠/ ٢٢٠)، والطيالسي (٢/ ١١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠، ١٧٢، ٧/ ٨٠).

فضد ذلك نقض لعرى الإيمان، فمن أحب الكافرين وأبغض المؤمنين، فذلك من علامات نفاقه، وإذا صرح بذلك كان كافرًا، إذا صرح أنه يحب الكافرين لكفرهم أو رغم كفرهم، يقول: ولا يضر أنهم كفار، أو كذبوا الله ورسوله أو أشركوا بالله، لا يضر ذلك فنحبهم رغم كفرهم، لا أثر لدينهم في أمر المودة والمحبة، فهذا يناقض القرآن صراحة، والعياذ بالله من ذلك، وينقض هذه العروة التي هي أوثق عرى الإيمان، ولم يتبرأ من هؤلاء الكافرين الذين وجب عليه أن يبغض كفرهم وأن يبغضهم؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

فبين الله ﷻ حرمة الإسرار بالمودة للكفار، فضلاً عن إظهارها، ولو كان ذلك ليس نابعًا من حب الكفر، وإنما يظهر ذلك لحماية أهل أو ولد أو حفظ مال عندما يظهر مودة الكفار لمصلحة دنيوية، فبين الله أن من فعل ذلك فقد ضل سواء السبيل، وبين الأسوة الحسنة في هذا المقام في إبراهيم والذين

معه الذين تبرءوا من قومهم وصرحوا بالعداوة والبغضاء أبدًا، حتى غاية واحدة لا يصلح أن يوجد غيرها: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ ولم يجعل الأسوة في قول إبراهيم لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؛ لأن ذلك إنما كان عن موعدة وعدها إياها، فلما تبين له أنه عدو لله حين مات على الكفر، تبرأ منه، إن إبراهيم لأواه حليم، كما وصفه الله ﷻ.

فتبين بهذا أن هذا المقام، مقام الحب والبغض، هو أوثق عرى الإيمان، ولابد أن ننتبه فيه إلى أربعة أنواع من المسائل:

- مسألة حب الكافرين.
- وبغض المؤمنين.
- وحب المؤمنين.
- وبغض الكافرين.

فالأولى والثانية من علامات الكفر والنفاق، أعني: مسألة حب الكافرين كما ذكرنا من أحب كفرهم أو أحبهم على كفرهم من أجل كفرهم، مثل من يحب أعداء الإسلام ممن يخالف دين الله ﷻ من أهل الغرب مثلاً من أجل أنهم عندهم التحلل من الشريعة، وهو يود أن يكون التحلل من الشريعة سمة أهل بلده، يحبهم لأنهم تخلصوا من الالتزام من الدين، يحبهم لأنهم تركوا مرجعية الشرع، يقول: هذا هو التقدم، هذا هو الحضارة، يحبهم لأنهم ألغوا الحدود الشرعية، وألغوا الجهاد، وألغوا الحب والبغض على أساس الدين، يرى فيما شرعه الغرب من التساوي في ادعاء مساواة الملل يراه هو

التقدم، يحبهم لأنهم تركوا شرع الله وتركوا دين الله ﷻ، وكثير من الناس يحب الكفر الذي هم عليه لشهوة دنيوية أو لشبهة باطلة، إذا أشرب في قلبه حب الشرك كما قال ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾، فقد يُشرب الإنسان حب الشرك، وإن لم يفعله، وإن لم يصر على ما كانوا عليه، قد كان حب عبادة العجول، عبادة الآلهة، من دون الله مشربة في قلوب طوائف من بني إسرائيل، أشربوا حب ذلك، كما ظهر منهم في قولهم لموسى عندما رأوا من يعكفون على أصنام لهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ﴾، كثير من الناس يتمنى التحلل من الدين، وربما لم يتمكن من أجل روابط اجتماعية أو أوضاع أو أنه سوف يفقد مكانة ومنزلة، ولكنه في حقيقة الأمر يكره هذا الدين، ويحب الكافرين على كفرهم، ويسمي الدين خزعبلات وخرافات القرون الوسطى، وشريعة الغاب ونحو ذلك، تظهر في فلتات اللسان، ولولا أنه في وسط مجتمع مسلم ينادي عليه بالكفر لو صرح، فهو ما زال يتسمى باسم الإسلام، ولكنه في الحقيقة يصرح بحب الكفر وحب الكافرين، ويعظمه ويرضى به، ويرى أنه لا فرق بين الحق وبين الباطل، بين الدين الذي جاء به الرسول ﷺ وبين دين من كذبه وخالفه وأشرك بالله، ودعا لله صاحبة أو ولدًا، وادعى أن الله - ﷻ عما يقولون علوا كبيرًا - هو شخص بعينه، يعبد من دونه أو يُعبد على أنه هو الله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ﴾، فهناك من يصرح بحبه لهذه الملل ومساواته لها بالإسلام، فهذا في النوع الأول من علامات الكفر والنفاق، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين: «**أهْلكك حُبُّ**

يهُود»[١]، فحب الكفر وحب الكافرين لكفرهم أو رغم كفرهم - وهذه درجة أقل - يحبهم ويقول - لأجل أمر آخر -: أنا لا أحب ما هم عليه، ولكن الذي هم عليه أمر خاص بهم، لا يعني عندي أن أبغض أحدًا أو أكرهه من أجل عقيدته، وهذا أكثر انتشارًا بكثير من النوع الأول، كثير من الناس يقول: إن العقيدة أمر شخصي للإنسان، الحب والبغض اختيار لنا، ليس لأحد أن يأمرنا بأن نحب أحدًا أو نكره أحدًا، نحن الذين نختار، وربما فضلوا واختاروا حب أقربائهم وأهل وطنهم وأهل لسانهم وقومهم من أجل هذه الروابط دون المؤمنين، فلا يحبون المؤمنين البعيدين عنهم أو الذين ليسوا من أهل وطنهم أو قومهم، فهذا - والعياذ بالله - من علامات النفاق أيضًا.

وهذا خطر عظيم انتشر انتشار النار في الهشيم، الذين يحبون الكفار ويقولون: لا نعبأ ولا نهتم بأنهم قد كفروا، هذا شأن شخصي وحرية شخصية، والحب والبغض ليس مبنيًّا على الدين، ويجعلون كره الناس لأجل كفرهم وشركهم أمرًا من ازدراء الأديان، كما يقولون تهمة وجريمة. يجعلونها تهمة وجريمة، ويجعلون أن وصف دين ما بأنه كفر وباطل وضلال سبٌّ يوجب العقاب، ولو كان هذا عليه من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المئات من الأدلة، وقد حكيت لكم من كان يتهم غيره ويقول: أنت متهم بتكفير أهل الملتين من اليهود والنصارى، ونعوذ بالله، صارت تهمة أن يكون مبغضًا لأهل ملة من الملل ولا يكون محبًّا لهم، رغم أنهم يظهرون الكفر والتكذيب للرسول ﷺ وللقرآن العظيم، ويظهرون الشرك بالله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦١٤)، والبغوي (٢/ ٣٧٦)، وابن كثير (٤/ ١٩٥).

هذه المسألة الأولى: مودة الكافرين، ومودة الكفر وحبه.

أما المسألة الثانية: فهي بغض المؤمنين، قد قال النبي ﷺ: «**آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ**»(١)، وقد قال علي رضي الله عنه: «**والّذِي فلق الْحبّة، وبرأ النّسمة، إنّهُ لعهْدُ النّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إلِيّ: أنْ لا يُحِبّنِي إلّا مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضنِي إلّا مُنافِقٌ**»(٢). فمن أبغض المؤمنين لإيمانهم، وأبغض المطيع لطاعته، وأبغض المصلي لصلاته، وأبغض المحجبة لحجابها، وأبغض الصائم لصيامه، وأبغض قارئ القرآن لقراءته، فهذا مبغض لدين الله، كره ما أنزل الله، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾، فذكر الله ﷻ أنهم ارتدوا. لماذا؟ لأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر. فكيف بمن أطاعهم في الأمر كله؟! والعياذ بالله.

وقال ﷻ عن الكفار: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾، فمن كره شرع الله ﷻ، كره إقامة الدين، صار يكره ما أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ، كان كافرًا منافقًا على حسب ما يُظهر، وطبعًا هذا الأمر بعد أن تصله الأدلة، ويعلم أن هذا مما جاء به النبي ﷺ، بخلاف جاهل لا يدري أن هذا مما أمر الله به فربما أبغضه لجهله، ولكن هذا أصلاً من خصال النفاق،

---

(١) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨).

سوف يفترق الحال في النوع والعين عند وجود جهل أو تأويل، لكن حقيقة الأمر أن من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، فقد كفر شيئًا مما أنزله الله من الوحي، وإنما يطبق على الشخص المعين بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، لكن كون إنسان مثلاً يبغض الرجم، كما هو حال أهل أوروبا ومن يوافقهم من المنافقين يصفون هذه العقوبات الشرعية بأنها اعتداء على حقوق الإنسان، ومن الناس من يوافقهم على ذلك ويقول: هذا كان في القرون الوسطى ونحو ذلك. وقد علمت أن بعض المسلمين كان يُمتحن من أجل الحصول على جنسية بعض هذه الدول الغربية، يأتون له بصور بعض مثلاً من يُرجم أو يجلد، ويقولون: ما رأيك في هذا؟ أترى بمثل هذا؟! فإن قال: إنه يعتقد صحة ذلك، لم يعطوه أبدًا ما يريد، وإن وافقهم وقال: إنه لا يرض بمثل هذا مجرد الرضا أو أنه يكره مثل هذا، فإنهم يوافقون على اعتباره من بني جنسهم وإعطائه الجنسية، رغم أن كل الأوراق تكون سليمة قبل ذلك، لكن يبحث هذا الكافر عن من يبغض ما شرعه الله ﷻ، ومن يبغض ما جاء به النبي ﷺ، أمر الجهاد مثلاً قد وصف الله ﷻ المنافقين بكراهية الجهاد، فقال ﷻ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. بلغ حال الناس في زماننا أن صاروا يكرهون الجهاد من غيرهم، ليس لأجل الأموال والأنفس التي تتعرض للخطر، فهم لا يريدون إنفاق الأموال ولا تعريض نفوسهم للقتل أو الجرح، وإنما ربما يكونون متعاطفين مع المسلمين بالخارج؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، عندهم نوع من التعاطف مع المسلمين، إن انتصروا فهذا

يسعدنا، ووصل الحال إلى ما هو أسوأ من ذلك، هؤلاء أصبحوا يكرهون من ينصر الدين في أي مكان، يكرهون إقامة ما أمر الله به من الجهاد في أي موضع من العالم، ويتعاونون ضد من يقوم بذلك، يكرهون أن يُجاهد غيرهم بالمال أو بالنفس، فهذه أعظم الجرائم مقدمة على غيرها موالاة لأعداء الله ﷻ.

نقول: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول أو أبغض مؤمنًا لإيمانه أو مسلمًا لإسلامه أو مطيعًا لطاعته، فهذا مبغض لما جاء به الرسول ﷺ، فيكون هذا كفرًا ونفاقًا، نعوذ بالله من ذلك.

أما الواجب فهو المسألة الثالثة والرابعة، أعني: إذا هدمنا هذا الباطل مِن مودة الكافرين، فمن نحب؟ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، فنحن نتولى، نحب، من أخص معاني الولاء الحب، كما أن من أخص معاني البراء البغض، فالواجب أن نحب الله، حب العبادة، ونفرد الله ﷻ بحب العبادة، وأن نحب الرسول ﷺ في الله ﷻ؛ لأن الله أمر بحبه، وأن نحب المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، فهذا هو أوثق عرى الإيمان، قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، فهذه الولاية تقتضي الحب، وقال النبي ﷺ: «**ثلاثٌ منْ كُنّ فِيهِ وجد بِهِنّ حلاوة الإِيمانِ: أنْ يكُون اللّهُ ورسُولُهُ أحبّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وأنْ يُحِبّ المرْء لا يُحِبُّهُ إِلّا لِلّهِ، وأنْ يكْره أنْ يعُود فِي الكُفْرِ كما يكْرهُ أنْ يُقْذف فِي النّارِ**»[1]. وفِي رِوايةٍ: «**لا يجِدُ أحدٌ حلاوة**

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

الإِيمانِ حتّى. . . » إلى آخِرِهِ[(١)].

تضمن هذا الحديث هاتين المسألتين: من نحب؟ نحب الله ورسوله والمؤمنين. ومن نكره؟ نكره الكفر والكافرين، هذه سمة أهل الإيمان؛ كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾، صفات سوف تجدها ظاهرة جلية في الكفار والمنافقين وفي المؤمنين، التفاوت والتباين، سوف تجد في صفات الكافرين والمنافقين حب الكفر والكافرين، وبغض الإيمان والمؤمنين، وبغض الإسلام وما جاء به النبي ﷺ، ومن قام بذلك، ومن عمل بذلك ونادى به.

وسوف تجد في صفات أهل الإيمان حب المؤمنين وبغض الكافرين، وهذا أمر قلبي في الأصل يظهر في الأقوال والأعمال، والنصرة تتفرع على مسألة المحبة؛ لأن الإنسان إنما يتولى وينصر من تولاهم بقلبه، فإذا نصر المؤمنين، نصر الدين، فهذا هو المؤمن، وإذا نصر الكافرين ونصر الكفر ونصر النفاق، فهو بين كافر ومنافق؛ كما وصف الله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ إلى آخر الآيات.

وهذا كله يدلنا على هذه المعاني العظيمة التي صارت غائبة عن أكثر من

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

يتكلم في مسألة الحب والبغض، ومسألة الولاء والعداء، لابد أن نكون على بينة من أمرنا، وأن نحذر من مسالك أهل الجاهلية، الذين كان حبهم وبغضهم على غير دين الله ﷻ.

بعض النسخ فيها: «**مودّتُهُمْ الْكُفْر والْكافِرِين**»، وهذه سبق شرحها، و«**مودّتُهُمْ لِكُفْرِ منْ آمن**»: ذكر الله ﷻ صفة اليهود في هذه المسألة في قوله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾. مودتهم لكفر من آمن، ودوا أن يكفر المؤمنون، وهذا دليل على عدم حبهم لله ﷻ، هذا دليل على أنهم لا يدينون دين الحق طاعة لله ولرسله، وإلا فلا شك أن كل مؤمن يحب ظهور الدين، ويحب انتشار الإسلام، ويحب علو كلمة الله ﷻ، ويحب دخول الناس في هذا الدين؛ لأن هذا من مقتضى حبه لله ﷻ، كيف يتصور أن يحب المؤمن ربه، ثم هو يكره أن يدخل الناس في طاعته ودينه؟! وكيف يكره أن يؤمنوا؟! وكيف يود أن يكفر من آمن؟! ليس هذا ممكنًا، لا يحصل حب الكفر ممن آمن وثبت له حكم الإيمان والإسلام إلا من إنسان ناظر لنفسه معجب بنفسه يريد أن يتفضل على الناس، وعلم أن الناس يفضلون أهل الدين فأراد أن يتميز هو بهذا الأمر، حتى ولو كان ذلك مسخطًا لله ﷻ، حقيقة الأمر بيّنها القرآن، أن هذا الأمر من أهل الكتاب هو بسبب الحسد، الحسد في الدين، حسد المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، ولا شك أن هذا أمر ظاهر في اليهود والنصارى، بل وفي المشركين، يحقدون ويحسدون، يحقدون على أهل

الإسلام ما آتاهم الله من فضل بعثته محمدًا ﷺ، وما آتى الله محمدًا من الكتاب العظيم، والوحي الشامل الكامل الذي جعل الله ﷻ الحجج على صدقه كالماء والهواء كثرة وسهولة؛ يعرفها كل أحد، وجعله أكثر الأنبياء تابعًا، وهو سبحانه وتعالى أيده بأنواع التأييد، فيحسدون أهل الإسلام ويحسدون نبي الإسلام على كل ذلك حسدًا من عند أنفسهم، رغم أنه قد تبين لهم الحق، المؤمن يحب هذا الدين، ويحب علوه وظهوره وانتشاره، ويبغض الكفر والكافرين، ويرجو أن يدخل الناس في الدين ويحب ذلك؛ أما من يرغب في بقاء الكفار على كفرهم، ومن يرغب في أن يكفر أهل الإيمان والإسلام وأن يصيروا إلى الردة ويتحايلون على ذلك، كما وصف الله سبحانه وتعالى اليهود أيضًا: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فهم يحتالون ويمكرون؛ حتى يرجع المسلمون عن دينهم، وهم يحبون بقاء الكفار على الكفر كما وصف الله ﷻ حالهم في قولهم للكفار، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾، يظنون أنهم بذلك يتميزون، وأنهم بذلك يكونون هم شعب الله المختار دون غيرهم، وهذا عين الضلال، والعياذ بالله، فكيف يودون أن يكونوا وحدهم هم شعب المختار؟! كيف يختارهم الله وهم يكرهون انتشار التوحيد، بل ويسعون إلى نشر الكفر، ولا يرون أن يدخل أحد في هذا الدين؟! اليهود أخص الناس بهذا، والعياذ بالله؛ لأنهم لا يرون أن هذا الدين قد جعل لأحد غيرهم؛ وأما باقي الأمم فإنما خلقت في صورة البشر تكريمًا لبني إسرائيل ألا يخدمهم من هو في صورة البهائم، يرون أن الأمم قد خلقت لكي تكون

عبيد العبيد لهم، ولكن لكي يخدم الناس في صورة بشر أفضل أو أكرم لهم من أن يخدموهم في صورة البهائم؛ أما هم فهم كالكلاب، وقد سبق أن ذكرنا ما ينسبونه كذبًا وزورًا للمسيح، والعجب أن النصارى يصدقونهم أن امرأة قالت للمسيح أو أنها طلبت أن يدعو لابنها أن يشفى هذا الولد أو البنت، فقال لها: ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويُرمى للكلاب. فقالت: يا سيدي، والكلاب أيضًا لهم نصيب مما يلقيه لها سادتها. فقال: ما أعظم إيمانك يا امرأة! اذهبي فقد شفي ابنك أو قضيت حاجتك.

القصة موجودة في الإنجيل عندهم، ونسأل الله العافية، ولكن انظر إلى تلك العصبية الجاهلية المتأصلة في اليهود أنهم يرون أنفسهم هم البنين، وأن باقي الأمم هم الكلاب، وليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب، وننزه المسيح ونجزم أنه ما قال ذلك، وهذا إنما نابع من قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، هذا الدين الذي خلق الله ﷻ الخلق من أجله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ كيف يُقال: إنه خبز البنين فقط؟!

إنه إنما هو لأجل البنين، لا ينبغي أن يرمى لغير إسرائيلي أو لغير من كان من غير اليهود، نعوذ بالله من ذلك، الله ﷻ خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه؛ فلذلك رأى بنو إسرائيل عصبية وجاهلية وكبرًا في أنفسهم أن دينهم لا يصح أن يدخل فيه أحد، مع أن دين التوحيد هو الدين الذي جاءت به كل الرسل قبل بني إسرائيل، قبل إسرائيل نفسه، كلهم كانوا على التوحيد، فكيف يتصور أن هذا الدين، التوحيد، لا يدخل فيه إلا من كان من بني إسرائيل؟!

فاليهود لا يرون أنه يمكن أن يتهود أحد، لابد أن يولد يهوديًّا من أم يهودية، يرون ذلك كبرًا وعلوًّا، لما جاء الإسلام بهذا الخير العظيم، وفتح الباب أمام الأحمر والأسود لكي يدخلوا في رحمة الله ﷻ بهذا الدين، حسدوا المؤمنين، والشرائع التي جاء بها محمد ﷺ لا يمكن أن تُقارن بأي شريعة سبقت، فضلاً عن الشرائع التي وضعها الناس بآرائهم بغير مستند من شريعة الله، ثم كان ما أيده الله ﷻ به من المعجزات الباهرات؛ العقلية، والحسية، والمعنوية، بكل أنواع الدلائل، فدخل الناس في دين الله أفواجًا شرقوا بذلك ورأوا أن الاصطفاء والاجتباء في هذه الأمة أعظم؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾، رأوا أن الأمة التي كانوا يلفظونها قد صارت خير الأمم فحسدوا، شرقوا، لم يسع لديهم أن تكون أمة العرب ومن تابعها على هذا الدين، أمة الإسلام خيرًا منهم، وهم يخصون أنفسهم بهذا الدين، ولذلك ارتأوا وكادوا أن يحرفوا الملل الأخرى وأن يدخلوا الناس في أنواع الكفر، قديمًا فعلوا ذلك، بولس المسمى ببولس الرسول الذي حرف النصرانية الحقة، الإسلام في الحقيقة الذي جاء به عيسى ﷺ، حتى صار الديانة التي يدين بها عامة النصارى المنتسبين إليه ديانة ممسوخة، تجمع بين المتناقضات بما لا سبيل إلى الجمع بينه بحال من الأحوال ولا سبيل إلى فهمه، بل كل من يفهم كلامهم يجزم بأنه متناقض، وأنهم جمعوا بين المتناقضات؛ بين محاولة الانتساب للمسيح الداعي إلى التوحيد المحض وأنه رسول الله، وبين تأليهه وبين زعم أنه جاء ليصلب من أجل خلاص العالم، تناقضات عجيبة الشكل، لا يتصور أن تكون أبدًا نزلت من عند

الله ﷻ، والاختلافات هم يعجزون عن حلها، حتى في الكتب التي بين أيديهم، كل ذلك بسبب رجل يهودي الأصل يريد أن يضل الناس، وحاولوا كذلك مع أهل الإسلام، عبد الله بن سبأ يهودي حاول - بعد أن أظهر الدخول في الإسلام - محاولات متعددة بدأت أولاً في التفرقة بين الصحابة رضي الله عنهم وإشعال نار الفتنة، والسبئية أتباع عبد الله بن سبأ كانوا هم وقود الفتنة التي وقعت بين الصحابة، الذين أشعلوا النار، واتفقوا - بعد أن كاد الصحابة على الاجتماع - على أن يقتل كل فريق من ينتشر في الفريقين، وأن يقتل كل فريق من بجواره من الناس وينادي غدر الفريق الآخر، بعد أن علموا أن الصحابة إذا اجتمعوا واتفقوا سوف يصلون إلى مكرهم ويوقفونهم عن هذا الكيد ويبطلونه وتعود الكلمة واحدة، اجتمع هذا الرجل الخبيث مع أعوانه وأمرهم أن ينقسموا في العسكرين: عسكر طلحة والزبير، وعسكر علي، بعد أن كانت المراسلة بين الطرفين قد وصلت إلى نتائج عظيمة، واتفقوا على ما كان يراه علي من تسكين الأمور والاجتماع على الخليفة المبايع عليه أمير المؤمنين، ثم النظر بعد ذلك في قتلة عثمان، فهم الذين كانوا ضمن الثوار، عبد الله بن سبأ وأتباعه ضمن الثوار الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه مظلومًا شهيدًا، ثم بعد ذلك اتفق عبد الله بن سبأ - كما ذكرنا - أن ينقسم أتباعه فريقين: فريق في عسكر طلحة والزبير رضي الله عنهما، وفريق في عسكر علي رضي الله عنه، فيقتل كل طائفة منهم من بجوارهم من المسلمين، وينادون الذين في عسكر علي رضي الله عنه: غدر طلحة وغدر الزبير رضي الله عنهما، والذين في عسكر طلحة والزبير رضي الله عنهما يقولون: غدر علي رضي الله عنه، وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم يستحيل أن يكونوا من أهل الغدر.

وقع ذلك وأنشب القتال بالليل، فكانت وقعة الجمل المؤلمة التي قتل فيها الآلاف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بسبب هؤلاء، ثم كانت فتنة عبد الله ابن سبأ أعظم من ذلك عندما حاول نفس محاولة بولس الرسول، رسول الشيطان - أنا أسميه بما يسمونه ليعرف وليس إلا رسولاً للشيطان بالفعل - حاول نفس المحاولة في تأليه غير الله عز وجل فادعى عبد الله بن سبأ أن عليًّا هو الله، لمس غلوًّا من أتباع علي رضي الله عنه في حب علي، كرد فعل لمن يناقضه ويخالفه، وشعروا بأنه قد ظُلم في كثير من الأمور ولم يعط حقه، فحصل نوع من الغلو فكانوا متشيعين له، فلمس هذا الغلو فأعلن أول بدعة مكفرة بإجماع أهل الإسلام، مع كون صاحبها ينتسب إلى الإسلام، وإن كانت بدعة الخوارج قبل ذلك، إلا أن الخوارج لم يكفرهم علي رضي الله عنه؛ أما السبئية أوحى إليهم شيطانهم ورئيسهم عبد الله بن سبأ بأن عليًّا هو الله، وأنه قد حل في ذات علي، وهذا الذي عندما بلغ عليًّا رضي الله عنه لم يستطع أن يتحمل مثل هذا، فطلب عبد الله بن سبأ، هذا الذي قال بألوهيته، وهو الذي يريده ويطلبه، فهرب منه عبد الله بن سبأ، وأدرك أتباعه فأمسك بهم فدعاهم إلى التوبة، وقال: ويْحكُم أنا عبْد مثلكم. وأنه يعبد الله عز وجل، فأبوا إلا أن يعتقدوا أنه هو الله. فقال: أُحْرِقكم بالنار. فقالوا: أنت إذًا الله؛ لأن الرسول قال: «**لا يُعذِّبُ بِالنّارِ، إلّا ربُّ النّارِ**»[1]، فحرقهم علي رضي الله عنه، نسي وغفل عن أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التحريق بالنار، أو بعد أن ذكر بهذا رأى أمرًا فظيعًا،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٧٣)، وأحمد (٢٥/ ١٢١)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٨٥) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٨، ١٦٠)، والبيهقي في السنن (٩/ ٧٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٣٣٩)، وأبو يعلى (٣/ ١٠٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٢١٤).

حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما لما بلغه تحريق علي لهؤلاء الشيعة الغلاة المؤلِّهين له، قال: لو كنت مكانه لأمرت بقتلهم ولم آمر بحرقهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا يُعذِّبُ بِالنّارِ، إلّا ربُّ النّارِ**»، فقال علي رضي الله عنه مستحسنًا رأي ابن عباس معتبرًا أن ما وقع منه كان زلة من الزلات بسبب شدة نكارة ما وجد، فقال: ويح ابن عباس لبحاث عن الهنات. اعتبرها هنة، اعتبرها زلة من الزلات[1] وقال[2]:

لمّا رأيْتُ الأمْرَ أمْرًا مُنكرًا ... أجّجتُ نارِي ودعوتُ قَنْبَرا

(قنبرًا) هذا كان غلامه، عبده الذي أمره أن يوقد النار التي أدخل فيها هؤلاء السبئية، وظلت هذه البدعة بعد ذلك موجودة وإن لم تكن منتشرة، لم تقبل الانتشار في وسط أهل الإسلام كما انتشرت بدعة بولس الكفرية في وسط النصارى؛ لأن الإسلام - بفضل الله - قد حفظه الله عز وجل بحفظ كتابه وبوجود الطائفة المؤمنة الظاهرة على الحق، لا يضرها من خالفها أو خذلها، حتى تقوم الساعة، ولم يقبل ذلك إلا المخذولون، وهم موجودون في زمننا، وتجدهم أشد أعداء الإسلام، أشد من اليهود والنصارى، الطائفة العلوية النُّصيْرِيّة، الذين يؤلهون علي بن أبي طالب، وهم كفار نوعًا وعينًا، ودائمًا فتش عنهم في أسوأ الجرائم، وسوف تجد علاقة بينهم وبين اليهود

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢)، وفيه: «**أُتِيَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٧٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣١٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٣/ ٤٧٦).

وثيقة، ولا يزال في زماننا اشتراط أن يكون كبار قادة الجيش في تركيا من الطائفة العلوية، والحزب الحاكم في سوريا أيضًا من الطائفة العلوية، رغم أن من يترأس هذه البلاد لابد أن يكون سنيًّا في الظاهر، فأعلنوا التزامهم بالمنهج السني، ولكن في حقيقة الأمر لا يزالون على ما هم عليه، لما مات رئيسهم السابق دفنوه في جبل العلويين؛ لأنهم على طريقتهم، مازال قادة الجيش السوري لابد وأن يكونوا من هذه الطائفة، ونسأل الله العافية.

ومن هؤلاء الباطنية الذين يظهرون أنهم مسلمون أو من أهل السنة تبدو وتلمح أنواع كفرهم البواح، أما سمعتم منذ أيام تصريحات لمفتيهم - والعياذ بالله - يفتيهم بكفر فظيع، نعوذ بالله من ذلك، يقول في تصريحات عجيبة تلقفتها الصحف ووكالات الأنباء: لو أن محمَّدا أمرني أن أكفر باليهودية والنصرانية لكفرت به. والعياذ بالله، هذا من الكفر البواح الذي لا خفاء فيه، وهو زندقة فوق زندقة، نفاق أكبر، ردة عن الإسلام بلا تردد، يعني: كيف ينسب ذلك إلى الإسلام، فضلاً عن أن ينسب إلى السنة؟!

لكن هذه الطائفة طائفة عجيبة، كما ذكرنا هم أعوان اليهود، والعياذ بالله، اليهود هم الذين اصطنعوا هذه البدعة الكفرية، والعياذ بالله.

المقصود: أن اليهود هذه الصفة صفة دائمة فيهم، محاولة جر الناس إلى الشرك والكفر، وتحريف الملل، وتحريف الشرائع الإلهية؛ حتى يعتقد الناس العقائد الكفرية، نجحوا مع النصارى نجاحًا كبيرًا باهرًا، بالنسبة إلى ما يريدون أعني، وضيقوا على أهل التوحيد المسالك، حتى صار أهل التوحيد في النصارى كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، حتى قبل بعثة

النبي ﷺ لم يعد هناك أمل في انتصار أهل التوحيد إلا ببعثته ﷺ، قال النبي ﷺ: «**وإِنّ اللّه نظر إِلى أهْلِ الْأرْضِ، فمقتهُمْ عربهُمْ وعجمهُمْ إِلّا بقايا مِنْ أهْلِ الْكِتابِ**»(١).

لم يجد شيخ سلمان رضي الله عنه ذلك الراهب الموحد أحدًا يرشده، يرشد سلمان رضي الله عنه أن يكون معه على نفس الدين، يقول: لا أعلم أحدًا بقي على هذا الدين غيري، ولكن قد قرب زمان نبي مهاجره بيثرب أو كما أوصى سلمان، فذهب سلمان إلى المدينة ليلقى النبي ﷺ بعد ذلك بفضل الله عز وجل(٢).

حاصروا أهل التوحيد وصار ظهور أهل التوحيد مستحيلاً إلا ببعثة النبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾، أيدناهم ببعثة محمد ﷺ، أصبحوا ظاهرين به، لولا ما بعث الله محمدًا ﷺ لما كان للتوحيد وجود ولا قائمة في العالم، لضاع دين الأنبياء جميعًا، الله أحيا دين الأنبياء في العالم ببعثة محمد ﷺ؛ أما اليهود فحريصون تمام الحرص على نشر الشرك، ولو تأملت المذاهب الكفرية التي تنتشر في العالم من إنكار وجود الله، ومن الإباحية، ومن الشيوعية.

نظرية داروين التي أخرجت كثيرًا من البشر إلى الإلحاد المحض بإنكار وجود الله، (داروين) هذا معروف أنه يهودي، وهم - كما ذكرنا - يستحلون

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢١٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٨٢)، وودلائل النبوة للأصبهاني (١/ ٢٥٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٩٦).

أن يكفروا العالم، أن يجعلوا الناس يكفرون بالله، ويودون أن يكفر الناس وألا يوجد من يوحد الله، حسدا من عند أنفسهم كبرًا وعلوًّا، والعياذ بالله.

(ماركس) مؤسس الشيوعية الملحدة و(لِينِين) الذي قاد الثورة الشيوعية البلشفية، التي أهلكت من البشر ما يربو على عشرين مليونًا، غير الذين قتلوا في الحروب، عامة المقتولين من المسلمين، نسأل الله العافية.

و(ستالين) هذا القائد الفظيع الذي سفك من الدماء ما لا يعلمه إلا الله، كل هؤلاء رؤساء الدولة الشيوعية، ومؤسسو والعياذ بالله.

(فرويد) ذلك العالم النفسي الذي ينسبون إليه الطب النفسي الحديث الذي يقول: إن الجنس هو المحرك الأساسي لدى البشر، وأن الشهوة الجنسية الإرادة المحركة لكل تصرفات البشر. تصور خبيث للغاية، هذا أيضًا يهودي، عُد مِن وراء الجرائم المتعددة اليهود في إضلال البشرية.

الوجودية التي لا تعترف إلا بالمحسوس وتنكر الغيب بالكلية، وبالتالي تنكر وجود الله، مذاهب منتشرة في وسط أوروبا انتشارًا ضخمًا جدًا، (جان بول سارتر) مؤسس هذا المذهب، يهودي أيضًا، كمية هائلة من الكفر - والعياذ بالله - اليهود ينشرونها، نعوذ بالله منهم ومن شرهم.

نقول: هذا لماذا؟! بأنهم يودون أن يكْفر العالم، أن يبقوا بعيدًا في غياهب الوثنية، بعيدًا عن التوحيد، لا يرون ذلك عيبًا، بل يرون ذلك أمرًا حسنًا، نعوذ بالله. قارن بين هؤلاء وبين خير أمة أخرجت للناس، بين من يدعو إلى الله ﷻ الأحمر والأبيض والأسود، لا فرق بين أحد من البشر إلا بناء على توحيد الله ﷻ، كل البشر لهم أهلية الدخول في هذا الدين،

ولهم أهلية التقدم فيه، ولو كان عبدًا حبشيًّا، ولو كان مولى، إذا فقه في كتاب الله وعلم سنة رسول الله ﷺ، ويكفي أن تعلم أن من أئمة الدين عند أهل الإسلام بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، إلى جانب أبي بكر رضي الله عنهم، وهو أفضلهم بلا شك، وهو عربي، لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، تعلم أن من الموالي الذين صاروا أئمة في الدين: الحسن البصري، سعيد بن جبير، مجاهد، عكرمة، كانوا عبيدًا، كانوا موالي أو آباؤهم، تحولوا إلى أئمة من أئمة المسلمين، ليس لهم نسب شريف، ومع ذلك صاروا علماء وأئمة في الدين، الكل يجلهم إلى يومنا هذا، عمر رضي الله عنه عندما يستدعي بعض عماله فيسأله: كما روى مسلم عنْ عامِرِ ابْنِ واثِلة أبِي الطُّفيْلِ: «**أنّ نافِع بْن عبد الحارِثِ، لقِي عُمر بْن الْخطّابِ بِعُسْفان، وكان عُمرُ، اسْتعْملهُ على مكّة، فقال عُمرُ: منِ اسْتخْلفْت على أهْلِ الْوادِي؟ قال: اسْتخْلفْتُ عليْهِمْ ابْن أبْزى، قال: ومنِ ابْنُ أبْزى؟ قال: رجُلٌ مِنْ موالِينا، قال عُمرُ، فاسْتخْلفْت عليْهِمْ موْلًى، قال: إِنّهُ قارِئٌ لِكِتابِ اللّهِ تعالى، عالِمٌ بِالْفرائِضِ، قاضٍ، قال عُمرُ، أما إِنّ نبِيّكُمْ ﷺ قال: إِنّ اللّهَ يرْفعُ بِهذا الْكِتابِ أقْوامًا، ويضعُ بِهِ آخرِين**»[1]، إذا قارنّا يعني حب الصحابة رضي الله عنهم لدخول الناس في الإسلام ونشرهم لهذا الدين، بفضل الله دخل الناس بالملايين وإلى يومنا هذا بقوا، قارن بين هذا وبين الحقد اليهودي وبين صفات اليهود الإجرامية، وأضف إلى ذلك أن اليهود يودون لو كفر المؤمنون: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾، صفة إبليس، والعياذ بالله، وإبليس هو

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤٦).

الذي أراد أن يخرج الأبوين ومكر بهما وخدعهما؛ حتى يخرجهما من الجنة، يريد أن يعصي الناس ربهم ويريد أن يكفروا، والعياذ بالله، وهو الذي خدع ابن آدم الذي قتل أخاه، وسول لقوم نوح عبادة الأوثان، كل هذا لأنه يريد أن يكفر الناس ويود أن لو كفر المؤمنون، تجد صفات اليهود صفات إبليس الحسد، والعياذ بالله، حتى ولو كانوا يعلمون الحق: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ﴾، وقد أتى ﷻ بأمره بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون؛ وأما من كان مستضعفًا فهو يعمل بالعفو والصفح إلى أن يأذن الله بالفرج، لكن فليحذر على نفسه من موافقة هؤلاء الذين ودوا كفر المؤمنين، إذا كانوا يريدون كفر العالم فهم يريدون أيضًا كفر المؤمنين، يودون ويحبون كفر المؤمنين، نعوذ بالله من ذلك، كل مؤمن يكره أن يكفر أي أحد ولا يرضى أن يكفر أي أحد، وإن كان قد وقع من بعض أهل الإيمان أن يتمنى أو يدعو ببقاء كافر على كفر؛ لكي ينتقم الله ﷻ منه من شدة عداوته للدين، فهذا ليس كراهية لانتصار الدين، بل هو في حقيقة الأمر؛ لأنه يعلم أن هناك من البشر من لا يصلحون في حقيقة الأمر لهذا الدين، فمن شدة غيظه من بعض الكفار يدعو الله أن يكون هو من هذا الصنف لا رضا بالكفر ولا محبة له، ولكن لأنه ليس أهلاً للإيمان، فيدعو أن يجعله الله منهم، كما قال موسى عليه السلام وهارون في دعائهما على فرعون وملئه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾؛ لأنه علم أن هؤلاء ليسوا أهلاً للإيمان، فدعا عليهم بما أعلمه الله من شأنهم؛ لكي

يكون ذلك من أسباب هلاكهم وعذابهم في الدنيا والآخرة، وليس ذلك مودة للكفر، ولكن ضنًّا بالإيمان على أمثال هؤلاء الذين لا يصلحون له؛ وأما من لا نعلم عنه ذلك ولا ندري بوحي ولا بغيره أنه يموت على الكفر أو أنه مؤهل للكفر لطغيانه وجبروته، فهذا لا يمتنع أن ندعو له بالهداية، ونرجو له الخير، نسأل الله ﷻ أن يعافينا من كل بلاء.

فمن صفات الجاهلية أن يود أن أحدًا على الإيمان أن يرجع إلى الكفر، والعياذ بالله، وتجد هذا الأمر موجودًا في بعض أهل الضلال من الزنادقة والمنافقين، ممن يود لو ترك الناس الالتزام بالدين، يريدون نشر الفواحش، يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، يحبون أن يكون الناس في الكفر والزندقة، والعياذ بالله، كل داع لنشر الانحراف: البدعة، الضلالة، كل داع لنشر الكفر والنفاق، يريد أن ينصرف الناس عن هذا الدين عقيدة أو عبادة أو معاملة، له نصيب من هذه الصفة من صفات أهل الكتاب الذين يودون كفر من آمن، كل من يحب أن يعود الناس بعيدًا عن الالتزام، كما تجد أنهم يقلقون جدًا إذا كثر من يصلي، يقولون: أين أيام زمان حين كان الناس لا دخل لهم بالتدين، والناس كلهم كانوا على طريقتهم - والعياذ بالله - لا يلتزمون ولا يرجعون إلى مرجعية الكتاب والسنة ولا يقولون بما يسمونه تخلفًا، والعياذ بالله؟! يتحسرون إذا رأوا الحجاب منتشرًا، يقولون: أين أيام الحرية والتقدم عندما كانت الشواطئ مليئة بالفتيات المرتديات للباس البحر؟ والله قد قرأت ذلك في إحدى وكالات الأنباء تطير الخبر بأن الإسكندرية يتأسفون عليها، أصبح عامة البنات فيها محجبات، بعد أن كانت في أيام الماضي في الثلاثينات والأربعينات الشواطئ مليئة بالفتيات

الحسناوات يلبسن ملابس البحر وينزلن البحر مع الرجال، ويتحسرون على ضياع هذه الأيام، وأن الكثيرين قد ودعوا الإسكندرية بعد أن حزنوا على ذلك الانتشار للدعوة السلفية وغيرها من الدعوات المتطرفة، التي جعلت الحجاب هو صفة ملازمة لكثير من الفتيات. وسبحان الله! مع أن الحجاب الذي يكرهونه هذه الكراهية ليس هو الحجاب الشرعي في الحقيقة، صحيح - بفضل الله - تجد الآن معظم الفتيات قد غطين رؤوسهن، لكن ما زال التبرج موجودًا، نعم قد يظن بمن كشفت شعرها في زماننا هذا أنها ليست مسلمة في الأغلب الأعم، ومع ذلك لا يزال الأمر يحتاج إلى تغيير جذري في الحقيقة، لكن انظر إلى الحسد والحقد وكراهية التزام الناس بالدين، تجد كثيرين يتحسرون أن الناس الآن أصبحوا يقرءون الكتب الصفراء، وقد كانوا في الماضي يقرءون لـ «طه حسين» والفلاسفة الغربيين، وأنهم كانوا يتبعون الأفكار الغربية، ويتحررون في كل تعاملاتهم من التخلف والرجعية، كم كانت هذه الكلمات تقال منذ سنوات وإلى يومنا هذا، يحاولون بكل طريق صرف الناس عن الدين، من ميراث الجاهلية الذي ورثوه من إخوانهم اليهود، والعياذ بالله، وكما وصف الله أن المنافقين إخوان اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، فهم إخوانهم فيما يريدونه بأهل الإسلام من البعد عن الدين، ومن ترك هذه العقيدة الحنيفية ومن ترك العبادة ومن ترك السلوك الإسلامي، يقلقهم أن يكثر الناس في الاعتكاف في رمضان، قلقون قلقًا شديدًا من كثرة من يصلي القيام، يقولون: ظاهرة خطيرة، ظاهرة لابد من دراستها. تجد العالم يحلل أن إقبال الناس على صلاة القيام في رمضان،

وأن هناك مساجد يحضرها عشرات الألوف وربما أكثر، ويقولون: إن هذا الأمر مزعج؛ لأن التمثيليات والأفلام التي كانت تجمع الناس في الماضي صارت تهجر الآن بسبب صلاة القيام، مع أن الأمر لم يصل بعد إلى ما يقولون، ولكن انظر إلى كراهيتهم لالتزام الناس بالدين، يكرهون الصلاة، يضيقون ذرعًا بأن الناس قد صار لهم ميل إلى توحيد الله ﷻ، ويبحثون في الأسباب التي تؤدي إلى امتثال الناس أمر الصلاة، والله بلغني عن بعض من كان في بعض المؤسسات أنهم كانوا - إذا كان في فترة الاختبار ينظرون من يصلي في المسجد، فإذا وجدوه يصلي في المسجد كان متعرضًا للفصل من هذه المؤسسة، وكذلك يجعلون الزيارة التي يقوم بها الأهل لهؤلاء شبه المحبوسين في الحقيقة في هذه المؤسسة، أنها تكون في وقت صلاة الجمعة حتى يترك الطلاب صلاة الجمعة، وحتى يترك الأهل صلاة الجمعة، وطول المدة، أثناء الصلاة، قبل المدة بنصف ساعة وبعد الجمعة بنصف ساعة الموسيقى تصدح في المكان؛ حتى لا يتمكن الناس من أن يصلوا، وقلق شديد، من يحافظ على صلاة الجماعة يوضع تحت المراقبة الشديدة، وربما أبعد وأعلن فشله بسبب ذلك، تجد عجبًا، نسأل الله العافية.

الرافضة يتميز بهذا الحقد والحسد على أهل السنة، وود أن يكفر أهل السنة ويخرجون عن سنيتهم وعن دينهم بالكلية، حقد وحسد غليظ وشديد، وهم فعلاً أشباه وأتباع عبد الله بن سبأ بدرجة ما؛ لأنه الذي أسس هذا الغلو في آل البيت، نسأل الله العافية، فكل هذا ميراث اليهود، ميراث الذين ودوا لو كفر أهل الإيمان.

الْمَسَائِلُ: مِنْ الثّالِثةِ والْعِشْرِينَ بعْد الْمِائةِ إِلَى الْخامِسةِ والْعِشْرِينَ

بَعْدَ الْمِائةِ: الْعِيَافَةُ، والطَّرْقُ، وَالطِّيَرةُ.

الـشـــرح:

ثبت الحديث في سنن النسائي بإسناد جيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الْعِيافة، والطّرْق، والطِّيرة مِن الْجِبْتِ، قال عوْفٌ: الْعِيافةُ: زجْرُ الطّيْرِ، والطّرْقُ: الْخطُّ يُخطُّ فِي الْأرْضِ، والْجِبْتُ، قال الْحسنُ: رنّةُ الشّيْطانُ**»(١) وهذا الحديث يبين أنواعًا من ادعاء علم الغيب، أنواعًا من السحر والكهانة يستعملها أهل الدجل والفساد من السحرة والكهان، وأمثالهم ممن يدعون علم الغيب، ويستعملون ما يدّعونه ذلك في أعمال كهانتهم وسحرهم وخداعهم للناس، فنوع من ادعاء معرفة ما يترتب على أعمال العباد في المستقبل الْعِيافةُ(٢) أن يزجروا طيرًا - يهشه كما في اللغة الدارجة الطير - وينظر إلى أي اتجاه ذهب، فإن ذهب يمينًا تفاءل وتوقع أن يكون هذا الأمر ناجحًا، وربما دفعه ذلك إلى الاستمرار فيه والإقدام عليه؛ وأما إذا زجر الطير فانصرف الطير شمالاً تشاءم وانقطع عن الأمر، واعتبر ذلك علامة على أن الفساد سيحصل له إذا صار في هذا الأمر، وهذا نوع من التفاؤل والتشاؤم بالطيور، وهو من الطِّيرة، زجر الطير، وكذلك التفاؤل والتشاؤم

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٤)، وأحمد في المسند (٢٤/ ٢٠٨)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٥٠٢).

(٢) الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادات العرب، وكثير من أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفًا. إذا زجر وحدس وظن. انظر: مادة (عيف) في: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٣٠)، ولسان العرب (٩/ ٢٦١).

بأسماء الطيور وأحوالها، وقد كثر في الناس التشاؤم بالبومة والغراب، وصوت البومة عندهم ميت يموت، وكذا صوت الغراب خراب يأتي على من سمع صوته عندهم، ويتفاءلون بالحمام ويقولون هو رمز السلام، وينسبون إلى الإسرائيليات، أو يأخذون من الإسرائيليات أشياء من ذلك أن نوحًا عليه السلام أرسل غرابًا ليعرف له ما حدث على الأرض فوقع على جيفة ولم يرجع، فأرسل حمامة فرجعت بغصن الزيتون، ومن هنا صار عندهم أن حمامة تحمل غصن زيتون هو رمز السلام، وكل هذا من الإسرائيليات وليس من دين الله عز وجل، فالتفاؤل والتشاؤم بالطيور هو أصل الطيرة المذمومة، وإن كانت العيافة - كما ذكرنا - نوعًا خاصًّا منها، متعلق بكيفية اتجاه الطير إذا زجره يتجه يمينًا أو شمالاً؛ وأما الطِّيرة فهي التفاؤل أو التشاؤم عمومًا بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان، لا يستثنى من ذلك إلا الفأل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا عدْوى ولا طِيرة، ويُعْجِبُنِي الفأْلُ. قالُوا: وما الفأْلُ؟ قال: الكلِمةُ الطيِّبةُ**»[1]، والتفاؤل والتشاؤم بشخص بعينه إن لم يكن تفاؤلًا باسمه، فهو من الطيرة المحرمة، كما يقولون: فلان لما أتصبّح بوجهه لا يكون في اليوم بركة، وفلان لما أتصبّح بوجهه يكون الرزق واسعاً، لا، إلا أن يتفاءل بأن يكون الشخص الذي يأتي إليه في أول النهار اسمه حسن، فهذا الذي يمكن أن يتفاءل به.

الطيرة مأخوذ من الطيور - كما ذكرنا - من جهة موقع الطير واسمه وجهة تحركه، وكل ادعاء لعلم الغيب من دون الله سبحانه وتعالى ادعاء كاذب باطل:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وقال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾؛ ولذا كان التفاؤل والتشاؤم بالطيور مرده إلى شيء من الكهانة، وهو محاولة علم شيء من الغيب، بالإضافة إلى أثر ذلك في القلب، والله سبحانه وتعالى لم يجعل هذه الأشياء التي يتفاءلون بها أو يتشاءمون بها أسبابًا، لا شرعًا ولا قدرًا، ونحن نعلم أن الأسباب نوعان:

النوع الأول: عرف دليله بالشرع، مثل: مداواة المرضى بالصدقة، مثل: شرب ماء زمزم؛ لحصول غذاء وشفاء، مثل: طلب سعة الرزق ببر الوالدين وطلب طول العمر بصلة الأرحام، أو كلاهما يعني، صلة الأرحام وبر الوالدين يزيد في العمر ويبارك الله به في الرزق، قال النبي ﷺ: «**منْ سرّهُ أنْ يُبْسط لهُ فِي رِزْقِهِ، أوْ يُنْسأ لهُ فِي أثرِهِ، فلْيصِلْ رحِمهُ**»[1]، وقال ﷺ في ماء زمزم: «**ماءُ زمْزم، لِما شُرِب لهُ**»[2]، وقال: «**إنّها مُباركةٌ، إنّها طعامُ طُعْمٍ**»[3]، . . . . . .
وفي الحديث: «**داوُوا مرْضاكُمْ بِالصّدقةِ**»[4]، وهذا كله من الأخذ بالأسباب

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٢٣/ ١٤٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٧٣، ٥/ ٦٣)، والطبراني في الأوسط (١/ ١١٦، ٢٥٩، ٤/ ١٣٩، ٦/ ٢٩)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٤٥٥)، والبيهقي في السنن الصغرى (٢/ ٢٠٣)، وفي الكبرى (٥/ ٢٤١، ٣٣١) وفي الشعب (٦/ ٢٩، ٣٠)، والحاكم (١/ ٦٤٦)، وحسَّنه ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٠).
(٣) سبق تخريجه (٢/ ٩٣).

الشرعية، الإيمان والتقوى سبب لحصول الخيرات والبركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾، فالتكذيب والفسوق والعصيان سبب لحصول البلايا والمحن والزلازل والفتن، وإن كان كثيرًا من الناس لا يفقه ذلك؛ لذلك نقول: هذه الأسباب أسباب شرعية للخير والشر؛ كما قال ﷻ: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾، الشر الذي يصيبكم ليس بسبب دعوة الرسل، بل سبب الشر هو معكم، كفركم وردكم لدعوة الرسل هو سبب لحصول الشر والسوء والفساد عليكم، وإن كان هذا كله من عند الله ﷻ خلقًا وإيجادًا، فهو من العباد تسببًا وكسبًا، ومن الله خلقًا وإيجادًا، طائركم معكم: بسبب ما عندكم من الكفر وما أنتم مقيمون عليه من تكذيب الرسل، وهو من الله خلقًا وإيجادًا؛ كما قال الله ﷻ عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾، فذكر الله ﷻ أن طائرهم عند الله، الشر الذي أصابهم وهم ينسبونه إلى التطير بموسى، هو من عند الله خلقًا وإيجادًا، لو تابوا إلى الله ﷻ لرفع العقوبات عنهم، ولكن أبوا واستكبروا فأنزل الله بهم بأسه ﷻ، وأنواع عقوبته متتابعة، ألا إنما طائرهم عند الله: ما أصابهم من الشر هو بقدر الله، ما أصابهم من أنواع النكال هو بأمر من عند الله ﷻ، فصح بذلك أن طائرهم معهم وطائرهم عند الله، ومثل هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

---

(١) أخرجه البيهقي (٣/ ٥٣٦)، والطبراني في الدعاء (ص٣٥)، وفي الأوسط (٢/ ٢٧٤) وفي الكبير (١٠/ ١٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٤، ٤/ ٢٣٧).

يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾، مثل: تشاؤم المصريين بموسى ومن معه، قالوا: هذا بسبب المتطرفين وبشؤم موسى ومن على ملته، فكان هناك من العرب من إذا دخل في الإسلام فأصابته مصيبة يتطير بالدين، ويقول: هذا بسبب متابعتي لهذا الدين وتركي دين الآباء والأجداد وعبادة الأوثان فيعود إلى ذلك، وإذا أصيب بالخير إذا ولدت امرأته ذكرًا، وأنتجت إبله، وكان المطر كثيرًا والأرض فيها من الخصب، قال: هذا دين حسن. ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾، بسبب اتباع النبي ﷺ، اتباع هذا الدين، كانوا أحسن أو أقل شرًا من قوم فرعون؛ لأن قوم فرعون: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾ يقولوا: ﴿لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾، يقولون: إن هذا بجهدنا، بعزة فرعون، بتخطيط هامان، بحسن إدارة أهل المملكة، ينسبون لأنفسهم الفضل؛ وأما عند الشر يتشاءمون بموسى ومن معه؛ وأما أهل الجاهلية فإن تصبهم حسنة يقولوا: هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا: هذه من عندك، قال ﷻ: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ خلقا وإيجادا، ثم قال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا * مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾، هو الذين منّ بها، وهو الذي أوجدها، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خلقها، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، الله قدرها عليك بسبب ذنبك، وهذا خطاب للمكلف وإن كان خطابًا للنبي ﷺ فبصفته إماما للناس، فما أصابك من سيئة فسبب نفسك وهو ﷻ الذي خلقها وقدرها.

فنقول: الطيرة بالإضافة إلى أن هذا طعن في أمر الأسباب، فالأسباب - كما ذكرنا - إما أسباب شرعية عرف دليلها بالشرع، كما ذكرنا أمثلة على ذلك، وأن الكفر والفسوق والعصيان سبب للبلايا والمحن، وأن الإيمان

والطاعة والتقوى سبب لحصول الخيرات بأدلة الشرع، هناك نوع آخر من الأسباب، وهو الأسباب القدرية الكونية التي تعرف بأن الله جعل هناك سنة ماضية تجري عليها أمور الخلق في جلب النفع ودفع الضر، فاقتضت حكمة الله ﷻ أنهم يدفع عطشهم بشرب الماء، ويدفع جوعهم بأكل الطعام، وأنهم يكتسبون الأموال بأنواع العمل المباح والمحرم أحيانًا، وأنهم يشفون من الأمراض بأخذ العلاج، وهو - كما ذكرنا - في أمر الأسباب الشرعية، هو كذلك في الأسباب الكونية.

النوع الثاني الأسباب الكونية: الله ﷻ أمر بأخذ الأسباب الحلال وترك الحرام، وجعل للعباد أرزاقًا هو الذي ﷻ يقدرها، وإن كان هذا بأسباب يأخذ العباد بها، فالواجب أن يأخذ الإنسان ما حل ويدع ما حرُم؛ كما قال النبي ﷺ: «**إِنّ رُوح الْقُدُسِ نفث فِي رُوعِي أنّ نفْسًا لنْ تمُوت حتّى تسْتكْمِل رِزْقها، فاتّقُوا اللّه وأجْمِلُوا فِي الطّلبِ، ولا يحْمِلنّ أحدكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يطْلُبهُ بِمعْصِيةٍ، فإِنّ اللّه لا يُنالُ ما عِنْدهُ إِلّا بِطاعتِهِ**»[1].

هذه الأسباب الكونية منها الحلال - كما ذكرنا - ومنها المحرم، ومنها الواجب في أن يتناول الإنسان من الأسباب ما يحفظ حياته، فلا يجوز له

---

(١) روي بألفاظ متقاربة عن عدد من الصحابة، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه الطبراني في الكبير (٧٦٩٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٤٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه البزار (٧/ ٣١٤، ٣١٥)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٢٨٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

مثلاً أن يمتنع من الطعام والشراب حتى يهلك ويموت، أن يكون منتحرًا قاتلاً لنفسه، هذه سنة الله؛ ولذلك كان حرامًا أن يستعمل الإنسان مثل هذه الأسباب المحرمة.

فهذه قاعدة الأسباب؛ إما سبب شرعي، وإما سبب كوني قدري، كيف يعرف السبب الشرعي؟ بالدليل الشرعي.

كيف يعرف السبب الكوني القدري؟ بجريان العادة، بالتجربة كما نقول، لكن أن يدعي إنسان أن شيئًا من الأشياء سبب بلا دليل شرعي ولا جريان سنة كونية ولا جريان عادة اقتضتها حكمة الله ﷻ في الكون، فهذا كذب على شرع الله وكذب على قدره، وهو ذريعة إلى الدرجة الأشد من الطيرة، أو في أنواع أخر من الأسباب متعلقة بقاعدة الأسباب، وهو أن يعتقد أن غير الله يملك الضر والنفع، أن الضر والنفع يكون من عند غير الله؛ فيكون مشركًا في الربوبية؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾، وهذا أمر لا بد أن يوقن به كل مسلم، هذا من مقتضى ربوبية الله ﷻ أنه وحده مالك النفع والضر، فمن اعتقد مع الله ﷻ شريكًا يملك الضر والنفع؛ إما استقلالاً، أو مشاركة، أو على سبيل النيابة من الله، فإن ذلك كله من عقائد أهل الشرك، والعياذ بالله، مع أنهم إذا سئلوا أقروا بأن النفع والضر من عند الله، ولكن اتخذوا وسطاء يعبدونهم من دون الله لجلب نفع أو دفع ضر، وكان صرف العبادة لهؤلاء الوسطاء شركًا في الإلهية، كما كان اعتقاد أنهم يملكون النفع والضر شركًا في الربوبية

وفي الأسماء والصفات، في التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي؛ لذلك كانت الطيرة شركًا؛ إما شرك أصغر حين يعتقد في الأشياء أنها أسباب لعدم وجود دليل شرعي ولا قدري، ما العلاقة بين الحمامة وتوقف المعركة مثلاً؟! ما العلاقة بين البومة وبين موت الإنسان؟! ما العلاقة بين نعيق الغراب وخراب البيت؟! ما العلاقة بين رقم ثلاثة عشر وبين أن تكون الزيجة موفقة أو غير موفقة؟! ما العلاقة بين أن يعقد صفقة إذا وجدها تعقد مثلاً على ثلاثة عشر ألفا لم يمضها تشاءم بهذا الرقم، وإذا وجدها على رقم سبعة تفاءل وأمضى ذلك؟! ما العلاقة بين حدوة الحصان وجلب الحظ؟! ما العلاقة بين نجمة البحر - ذلك الكائن البحري - وبين حصول الرزق؟!

كل هذا لا سبب شرعي ولا سبب قدري كوني، ومن يدعي أنه جرب ذلك فهو إنما من جنس كلام الكهان، والعياذ بالله، ليس أمر التجربة بحاصل لواحد أو اثنين، إنما ذلك حينما يصير أمرًا عامًا، سنة ماضية في خلق الله ﷻ، كما ذكرنا مثلاً قرص الأسبرين يؤدي إلى زوال الصداع، أقراص خفض ضغط الدم، كل مرة نقيس الضغط لواحد نجده عاليًا، فيأخذ قرص من ذلك ينزل الضغط، هذه سنة الله.

عنده حرارة فنعطيه أقراصًا خافضة للحرارة أو حقنة خافضة للحرارة تنزل درجة الحرارة، هذه أمور سببية ظاهرة؛ أما ادعاء أن مثلاً نجمة البحر تنزل الحرارة، أو أن الحظاظة التي يلبسها الشباب تأتي بالنفع له أو تجلب الحظ له، أن الفلفل الأحمر يدفع الحسد، أن فردة الحذاء المعلقة في السيارة ترد العين وتلطم وجه من نظر إليه نظرة سيئة، خزعبلات، وكذا رسمة الكف عندما تدفع في عينه في ظنهم؛ لأجل أنه إذا نظر يجد الكف يخطبه فينظر في

الناحية الأخرى، والعياذ بالله، خزعبلات وخرافات اخترعها الناس، وللأسف لا تزال موجودة، التعاويذ الفرعونية التي انتشرت في زماننا، إحياء لتجارة بائرة في العاديات يسمونها، يجلسون بجوار معابد الفراعنة - والعياذ بالله - يروجون للتعاويذ الفرعونية، تضعها في السيارة والتاكسي للحفظ والصيانة، نعوذ بالله، والجعران الأزرق، فالفراعنة أصلاً مولعون بعبادة الحشرات والثعابين والعجول، يعني: جهالة فوق جهالة، وضلال فوق ضلال، فالحمد لله الذي عافانا.

وهناك منافع لبعض الأشياء التي وردت أدلة شرعية بها، من كونها فيها نفع، مثل قول النبي ﷺ مثلاً: «**عليْكُمْ بِالسّنا والسّنُّوتِ، فإِنّ فِيهِما شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ إِلّا السّام، قالُوا: يا رسُول اللّهِ وما السّامُ؟ قال: السّامُ: الْموْتُ**»[1] ورغب في التلبينة مثلاً[2]، وقال عن الزيتون: «**عليْكُمْ بِهذِهِ الشّجرةِ الْمُباركةِ زيْتِ الزّيْتُونِ، فتداوْوا بِهِ فإِنّهُ مصحّةٌ مِن الْباسُورِ**»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٧)، والطبراني في مسند الشامين (١/ ٣١)، والحاكم (٤/ ٢٢٤)، والطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٢٨٣، ٢/ ٥٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٧)، ومسلم (٢٢١٦) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ**».

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢١٠)، والكبير (١٧/ ٢٨١)، وفي مسند الشاميين (١/ ٥٠)، الطب النبوي للأصبهاني (٢/ ٤٨٣).

فمثل هذه الأمور ليست من هذا الباب، وثبتت منافعها الطبية فعلاً.

نقول: فالتطير كما قال النبي ﷺ: «**الطِّيرةُ شِرْكٌ، الطِّيرةُ شِرْكٌ، ثلاثًا، وما مِنّا إلّا، ولكِنّ اللّه يُذْهِبُهُ بِالتّوكُّلِ**»(١).

إما شرك أكبر إذا اعتقد أن الطيور أو الأرقام أو الحيوانات والحشرات تجلب نفعًا أو تدفع ضرًا بذاتها أو مع الله، فهذا شرك في الربوبية، وطلب الخير أو دفع الشر منها شرك في الإلهية، وهذا من أمور الجاهلية ولا تزال منتشرة في زماننا، كما ذكرت لكم مجموعة مما لا يزال كثير من الناس يستعمله، ونسأل الله العافية.

النوع الثاني: الطيرة تكون شركًا أصغر، إذا اعتقد أن النفع والضر من عند الله، ولكن هذه الأشياء قال: إنها أسباب أو حتى علامات، وكل ذلك ادعاء علم غيب وخرق لقاعدة الأسباب، أنها إما أسباب شرعية، وإما أسباب كونية، وكذب على الشرع وكذب على القدر، وكلاهما محرم، سبب وذريعة إلى الشرك الأكبر فيكون شركًا أصغر، فهذه في مسألة الطيرة، وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه: «**وما مِنّا إلّا، ولكِنّ اللّه يُذْهِبُهُ بِالتّوكُّلِ**»، (**إلا**): أي إلا من تطير، فإنه لم يقصد التطير الشركي أنه يقع فيه الصحابة مثلاً، وإنما قصد أنه قد يقع في القلب نوع من ذلك بدرجة ما، فوقوع الخواطر في القلب لابد أن يقاومها الإنسان، فإذا قاومها وتوكل على الله ولم يمض أو يُرد بناء على ما رأى أو سمع، فإن ذلك لا يضره شرعًا، يذهبه الله عنه بالتوكل عليه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣١٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

وتفويض الأمر إليه؛ ولذا كان المشروع ألا يبني الإنسان مضيه في أمر أو رد نفسه عنه على ما رأى من أمور يتطير بها الناس، قال النبي ﷺ: «**إِنّما الطِّيرةُ ما أمْضاك، أوْ ردّك**»[1].

وأما الفأل: الكلمة الطيبة، فهذا مستثنى من هذا الباب، هو يشبهه في الظاهر عند الكثيرين أنه يسمع الكلمة الطيبة فيستبشر، كان النبي ﷺ يحب أن يسمع الكلمة الطيبة، ويكره أن يسمع الاسم القبيح، ليس تشاؤمًا، ولكن لأنه يكره الأشياء القبيحة، كما هو في فطرة الإنسان السوي أن يرتاح إذا رأى منظراً جميلاً، ويكره المنظر السيئ، فهو يحب مثلاً اسم (سهل) ويكره اسم (صعب) ويكره اسم (حرب) ويحب (سلمى) و(سالم) ونحو ذلك، وكان يحب أن يسمع من ينادي غيره إذا خرج في سفره أو في طريقه: يا ناجح، أو يا راشد. هو في حقيقة الأمر ليس من باب الطيرة أصلاً، وإن أشبهه في الظاهر، فاستثناه لذلك النبي ﷺ، وقال: «**لَا عدْوى وَلَا طِيرة، وَيُعْجِبُنِي الفأْلُ. قالُوا: وَمَا الفأْلُ؟ قَالَ: الكلِمةُ الطيِّبةُ**»[2]، وذلك لأن مرد ذلك إلى حسن الظن بالله، وهو أن الله ﷻ قدّر لنا أن نسمع الكلمة الطيبة ليعظم رجاؤنا في فضل الله عند سفرنا أو توجهنا أو عملنا أو نحو ذلك، راجين فضله ﷻ متوكلين عليه، دون أن يمضينا أو يردنا مجرد سماع كلمة أو رؤية طائر أو نحو ذلك، فهذا في باب الطيرة.

أما والطّرْقُ: فقد فسره (عوف) بأنه: «**الْخطُّ يُخطُّ فِي الْأرْضِ**»، نوع من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٣) مِنْ حَدِيثِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
(٢) سبق تخريجه (٢/ ٣٤٦).

التكهن[١]، أشبه شيء به في زماننا قراءة الفنجان وضرب الودع على الرمال حتى تخط خطوطًا، ويتأمل بعد ذلك هذا العراف والكاهن هذه الخطوط، يقولون بالصوف أحيانًا وبالقطن وبالحصى، يرمي حصيات - كما ذكرتُ - الودع، ويدعي أن هذا سوف يكون له في المستقبل كذا من المال، كذا من الرئاسة، كذا من الوظيفة، يشرب - المطلوب أن يُعرف له الغيب - قهوة ثم يقلب الفنجان بعد أن يشرب، ثم بعد ذلك ينظر الناظر المتكهن في الخطوط التي حصلت من البن، فيفسرها، يقول له: أمامك سكة سفر، أمامك صرة فلوس، يدعي له أنواع من الأمور تحدث له، وهذا يصدقها وهو نوع من الكهانة، وكل ذلك من أحوال أهل الجاهلية التي كانت موجودة.

الخط يُخط في الأرض، يقول له: اعمل خطوطاً غشوائية، ثم يحلل هذه الخيوط بزعم أنه يعرف الغيب، وقد بيّن ﷺ في الحديث الصحيح: «**كان نبِيٌّ مِن الْأَنْبِياءِ يخُطُّ، فمنْ وافق خطّهُ فذاك**»[٢]، وهذا في الحقيقة نوع من التعجيز؛ لأننا لا نعرف من هو هذا النبي، لا اسمه ولا زمنه ولا مكانه ولا شريعته ولاشيئًا عنه إطلاقًا، ولا نعرف كيفية خطه، كان معجزة له بالوحي، علمه الله ﷻ أن جعل له علامات يعرف بها أشياء تكون معجزة له، كما أخبر النبي ﷺ بالوحي أنه سيفتح المسلمون بيت المقدس بعد موته، ثم يأتي فيهم طاعون يأخذ فيهم كقعاص الغنم[٣]، وأخبرهم أنهم سينفقون كنوز

---

(١) قال أبو السعادات: هو الضَّربُ بالحصَى الذي يفعله النساء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ** =

كسرى وقيصر في سبيل الله[١]، هذا وحي ألقاه الله في نفس النبي ﷺ.

إنه كان نبي من الأنبياء جعل الله له علامات يعرف بها أمور الغيب معجزة له بالطرق يطرقه، بالخط يخطه في الأرض، ولكن - كما ذكرنا - لا نعلم كيف كان يخط، ولا من ذاك النبي ولا زمنه، ولا ما تشريعاته، لا نعرف شيئًا على الإطلاق، فأصبح مستحيلاً أن نعرف هذا الطرق، فهذا - كما ذكرت - تعجيز، مثل قول ابن عباس رضي الله عنهما لنجد الحروري لما سأله عن قتل الغلمان، قال: فلاتقتل الغلمان، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الغلمان إلا أن تعلم ما علم الخضر من الغلام. يعني: لما تعرف أن هذا الغلام إذا كبر سيكون كافرًا ويفعل كذا وكذا، فعند ذلك فاقتله، فهذا المقصود منه التعجيز؛ لأن هذا مستحيل أن تعرفه، فإياك أن تقتل أحدًا، كما نهي النبي ﷺ عن قتل الغلمان[٢]، فهذا من هذا الباب، والله أعلى وأعلم.

= فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١٢) وفيه: «.. أَنَّ نَجْدَةَ، كَتَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ، عَنْ خَمْسِ خِلَالٍ، فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْلَا أَنْ أَكْتُمَ عِلْمًا مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ، كَتَبَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ: أَمَّا بَعْدُ، فَأَخْبِرْنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَهَلْ كَانَ يَضْرِبُ لَهُنَّ بِسَهْمٍ؟ وَهَلْ كَانَ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ؟ وَمَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ؟ وَعَنِ الْخُمْسِ لِمَنْ هُوَ؟ =

وادعاء عم الغيب المطلق، مفاتيح الغيب الخمس التي لا يعلمها إلا الله، كفر بالله وتكذيب للقرآن وادعاء صفة من صفات الربوبية، وهو علم الغيب؛ وأما الغيب النسبي فيمكن أن يطلع عليه الجن، أعني: أمر قد وقع وحدث بالفعل، ليس من مفاتيح الغيب الخمس، من اطلع عليه عرفه، وقد يكون هناك من البشر من اطلع عليه ومن الجن من اطلع عليه، والبشر قد يبحثون بالأسباب الظاهرة، وهذا مشروع لهم فيما يجوز أن يُبحث عنه دون تجسس، كمقتول قتل ثم بحثوا عنه بالأسباب الظاهرة: أين كان؟ من قابله؟ أخذوا بصمات. كل هذا ليصلوا إلى القاتل، لم يصلوا إلى نتيجة، قيدت القضية ضد مقتول، هناك طائفة تذهب إلى من يفتح المندل، ويدعي الاتصال بالجن، وغالبًا ما يكون له قرين من الجن يعاونه بما يقدمه له من تقربات؛ أحيانًا من الشرك، وأحيانًا من المعاصي؛ حتى يدله على ذلك، يأتون بطفل صغير مثلاً ينومه أو يغمض عينيه ثم يستدعي ذلك الصاحب من الجن والرئي من الجن، غالبًا ما يتلبس بالصبي، ويأتي الجن بالأخبار والجن له اطلاع وسرعة حركة، فيصف الطفل أو يصف الجني على لسان الطفل أو المرأة الذي يسأل عنه فاتح المندل، الكاهن الذي يدعي ذلك، وكثيرًا ما يكاد يصف أشياء يبحثون عنها فيجدونها صحيحة؛ ولأن هذا من الغيب النسبي كما ذكرت، فهذا أمر محرم إلا أن يكون معه شرك أكبر، كمن

= فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ " وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بِهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيُحْذَيْنَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَأَمَّا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ، فَلَا تَقْتُلِ الصِّبْيَانَ»، والحديث الذي أخرجه مسلم (١٧٣١، ١٧٤٤).

يتقرب إلى الجن بذبح أو سجود، أو بإهانة مصحف؛ حتى يأتي له بالخبر، يقول له: ماذا ترى؟ وهو مغمض عينيه ويقول: أرى فلان ابن فلان يجر الجاموسة المسروقة ويدخل بها الدار. فالجن يأتي بالخبر ويتمثل له، يمثِّل له الصورة، الجن قادر على التمثل في الصور، يقول له: المقتول موجود في دار فلان، فلان قتل هذه البنت الصغيرة وأخذ حلقها، والحلق موجود في المكان الفلاني، والبنت مدفونة تحت مترين في الغرفة الفلانية في الدار الفلانية. فذهبوا وبلغوا البوليس - وأنا أعرف القصة بهذا - بعد ما عجزوا فيها في بلد في كفر الزيات - فتح المندل هذا كان في بورسعيد - وبعد ذلك حضر البوليس وحفروا، فأخرجوا الجثة ووجدوا الحلق موجودًا بالفعل، مثل هذا من عمل الشيطان، ومن وسائل الكهان المحرمة.

فادعاء علم الغيب النسبي محرم إن كان يقترن بشرك أو كفر أكبر، كان كفرًا، والعياذ بالله.

فالأسباب المدعاة أنها أسباب لا شرعًا ولا قدرًا، وسؤال الجن عن الغيبيات، ولو كانت نسبية محرم وشرك أصغر؛ لأنه ذريعة إلى الأكبر، والتنويم المغناطيسي ليس تنويمًا، إنما هو استعانة بالجن للتلبس بهذا الشخص أو نوع من خداع الأبصار المحضة.

قول النبي ﷺ: «**إنّ الْعِيافة، والطّرْق، والطِّيرة مِن الْجِبْتِ**»، يعني: من عمل الشيطان، من صوت الشيطان، من رنة الشيطان، من أمر الشيطان، الجبت: هذا الشرك الذي يأمر به الشيطان من ادعاء صفات الرب ﷻ لبعض المخلوقين من القدرة على الضر والنفع، أو من التسبب في ذلك كذبًا على

الله، على شرعه وقدره، أو من ادعاء علم الغيب، وكل ذلك من صوته وأمره ورنته، الصوت الذي يأمر به ويحث الناس على الفساد والكفر والمعاصي وأنواع الفسوق، نعوذ بالله من ذلك.

فكل هذه من مسائل الجاهلية التي ما زالت موجودة عند أهل الكتاب وعند من انتسب إلى الإسلام وعند المشركين، وكلما انتشرت علوم الكتاب والسنة، ذهبت هذه الخرافات والخزعبلات، وذهب أيضًا التسبب المحرم أخذ الأسباب المحرمة الباطلة في ادعاء معرفة الغيبيات أو في ادعاء جلب النفع ودفع الضر، وكلما قل نصيب الناس من علوم الكتاب والسنة، وكلما ازدادت البدع كلما ازدادت هذه الخرافات والضلالات وانتشرت في الناس.

❀ ❀ ❀

الْمسْألةُ السّادِسةُ والْعِشْرون بَعْدَ الْمِائَةِ: الْكِهَانَةُ.

الـشـــرح:

الكهانة: ادعاء علم الغيب بأسباب ومقدمات يدعيها الكاهن أو المتكهن وهي تشمل ادعاء علم الغيب المطلق، الذي لم يقع ولا يعلمه إلا الله، وهو أمور المستقبل التي قال الله ﷻ عنها: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، وقال ﷻ في بيان أمور مفاتيح الغيب الخمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾، وبيّن النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في حديثه المشهور في الإسلام والإيمان والإحسان، قال: «**أخْبِرْنِي عنِ السّاعةِ قال رسُولُ اللّهِ ﷺ: ما الْمسْئُولُ عنْها بِأعْلم مِن السّائِلِ هُنّ خمْسٌ لا يعْلمُهُنّ إلّا اللّهُ**»[1]، فدل ذلك على أن علم الساعة مع الخمس الأخرى التي استأثر الله ﷻ بها، لا يعلمها إلا الله.

فالنوع الأول من الكهانة: ادعاء علم الغيب بهذه الأمور التي تشمل ما يحدث في غد.

والنوع الثاني من الكهانة: ادعاء علم غيب نسبي غاب عن بعض العباد وعلمه بعضهم، فإن علم البشر لا يحيط بالموجودات التي وقعت،

---

(١) حديث جبريل عليه السلام، سبق تخريجه (١/ ٨٤).

فعندما يضيع شيء أو يُسرق أو تضل دابة، فالبعض قد يلجأ إلى الكهان لمعرفة مكان الضالة والشيء المسروق، وهذا إذا كان بمقدمات ظاهرة كالبحث عن خط سير هذا الشيء المسروق أو البحث عمن لقي الإنسان المفقود أو نحو ذلك أو أخذ البصمات أو النظر فيمن دخل أو خرج أو نحو ذلك، فهي أسباب ظاهرة لا يحرم البحث عن هذه الأشياء من خلال هذه الوسائل، النوع الثاني: يأخذ وسائل مخالفة، أسباب يدعيها الكاهن من النظر في النجوم، من سؤال الجن، من ما يسمى بفتح المندل، مقدمات وأسباب يدعيها الكاهن، وقد يقال عنه: عراف، وقد يقال عنه: كاهن، وقد يقال عنه: رمال، يعني: من خلال الرمل والودع، يدعي أنه يعرف مكان الضالة والشيء المسروق ونحو ذلك، فهذا نوع من الكهانة أيضًا، وإن كان دون الأول، لكن هو داخل في ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «**منْ أتى عرّافًا أوْ كاهِنًا، فصدّقهُ بِما يقُولُ، فقدْ كفر بِما أُنْزِل على مُحمّدٍ ﷺ**»(١).

وهذا الحديث حمله أكثر العلماء على النوع الثاني، أعني: الغيب النسبي؛ ولذا منهم من قال: كفر دون كفر، ومنهم من قال: نتوقف في ذلك. والتوقف في حقيقة الأمر ليس قولاً ثانيًا، وإنما هو موافق للقول الأول، وهو

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند (٢/ ٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه بنحوه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٢٣)، والدارمي في سننه (١١٣٦). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧): (وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين، أخرجهما البزار بسندين جيدين)، وأخرجه أبو يعلى (٩/ ٢٨٠) بِسَنَدٍ جَيْدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا.

كفر دون كفر، ولكن لا يريد التقليل من شأن هذا الذنب العظيم، فيأمر بترك الحديث على ما ذكر من باب الزجر والتخويف، كما كره طائفة من السلف فيما ورد عن النبي ﷺ: من فعل كذا، فليس منا أو فأنا بريء منه، أو برأ من الله أو نحو ذلك، يأمرون أن تترك على ظاهرها ولا يقال: ليس على طريقتنا ولا برأ من فعله ونحو ذلك؛ حتى يكون لها الزجر الذي أراده النبي ﷺ بإطلاقه هذا الأمر؛ لذلك نقول: في الحقيقة ليس هذا بقولين، وإنما هما قول واحد، ولكن أراد أحدهما ألا يفتح باب التهوين من وعيد الكهانة في حس السامعين، فأمر أن تطلق ولا تفسر إلا أن تتلى الأحاديث: قال ﷺ: «**منْ أتى عرّافًا أوْ كاهِنًا، فصدّقهُ بِما يقُولُ، فقدْ كفر بِما أُنْزِل على مُحمّدٍ** ﷺ» وفي الحديث الآخر: «**منْ أتى عرّافًا، فسألهُ عنْ شيْءٍ، فصدّقهُ، لمْ تُقْبلْ لهُ صلاةٌ أرْبعِين يوْمًا**»(١).

وهذا ظاهر جدًا في عدم التكفير، مع كونه من أعظم الكبائر، فهو دليل على أن المقصود بـ«**فقدْ كفر بِما أُنْزِل على مُحمّدٍ** ﷺ»، هو الكفر دون كفر؛ لأن الكافر لا تقبل له صلاة لا أربعين ولا فوق الأربعين، لا تقبل له صلاة أبدًا ما دام في كفره: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، فدل ذلك على أن الكافر حابط العمل بالكلية، لا أيامًا ولا شهورًا ولا حتى سنين، الكافر حابط العمل مهما كان، فتقييد «**منْ أتى عرّافًا أوْ كاهِنًا، فصدّقهُ بِما يقُولُ، فقدْ كفر بِما أُنْزِل على مُحمّدٍ** ﷺ» تقييد ذلك بقوله ﷺ: «**لمْ تُقْبلْ لهُ صلاةٌ أرْبعِين يوْمًا**»، دليل على تحديد مدة

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) من طريق نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي عن النبي ﷺ، وليس فيه: «**فَصَدَّقَهُ**».

معينة أن هذا ذنب كبير لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، كونه ﷺ قد ذكر أربعين ليلة دليل على أنه لم يقصد الخروج من الملة، فتفسر تلك الرواية بهذه، والله أعلى وأعلم.

أما النوع الأول: أعني ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فهذا قد نص طوائف من العلماء على كفر من ادعاه، وقد نقل القرطبي: أن من جزم أن السماء تمطر غدًا، فهو كافر. وكذا من يقول: الساعة تقوم في اليوم الفلاني، فإن هذا مصادمة للقرآن العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قال ﷻ: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وآيات كثيرة تثبت أنه لا يعلم الغيب فيما يأتي إلا الله ﷻ، ومن زعم لمخلوق صفة الرب ﷻ، كان مشركًا - والعياذ بالله - في أسماء الله وصفاته، وهذا التفصيل هو الصحيح في هذا الباب، فإن كثيرًا من الشراح عندما يتكلم عن الأحاديث يذكر القولين: في أن هذا كفر دون كفر، أو أنه يُسكت عنه، ولا ينبه أن هذا في النوع الثاني من الكهانة فقط، أعني: في ادعاء علم الغيب النسبي الذي غاب عن البعض وعلمه الباقون، وليس في ادعاء ما لا يعلمه إلا الله، في ادعاء علم ما لا يعلمه إلا الله، وقد أخبر النبي ﷺ والأنبياء قبله عن أحداث في المستقبل، لكنها لم تخرجها عن كونها غيبًا، أخبروا بأمور هي معجزات للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لتكون معجزة دالة على صدقهم، كما أنهم أخبروا بأمور غيبية في أحداث القيامة ما قبلها وما بعدها، وكل ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فهل من اختلاف؟!

نقول: ليس هناك اختلاف بحمد الله ﷻ، فإن الرسل وإن أخبروا عن أمور غيبية كما ذكر ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ

ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾، فهذا الاستثناء يدل على أن الرسل تخبر بأمور غيبية، لكن هل معنى ذلك: أن هذه الأمور الغيبية قد خرجت عن وصفها بكونها غيبًا؟ نقول: لا، فإن الرسل أخبروا بهذه الأمور الغيبية؛ إما مع بقاء شيء من الإجمال فيها، بحيث لا تخرج عن كونها مما لا يعلمه على وجه التفصيل الكامل من وقت الوقوع وكيفية الوقوع وغير ذلك من التفاصيل إلا الله، وهذا أمر معلوم في أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ وفي قيامها وفيما يكون عليه أحوال الناس في الآخرة، وهذا أمر يجب الإيمان به ولا يسع أحدًا أن يكذبه، ولكن متى يقع ذلك؟ لا يعلم ذلك إلا الله. قد يرتب النبي ﷺ بعض الأمور، مثل مايقول: «**اعْدُدْ سِتًّا بيْن يدي السّاعةِ: موْتِي، ثُمّ فتْحُ بيْتِ المقْدِسِ، ثُمّ مُوْتانٌ يأْخُذُ فِيكُمْ كقُعاصِ الغنمِ**»[1] وهكذا. فذكر أشياء مرتبة، وليس في هذا إخراج لها عن كونها غيبًا، فإن الرسول ﷺ لم يخبر متى يموت ولا متى يفتح بيت المقدس، ولكن رتب فقط، فلا يزال هناك غيب؛ وأما ما أخبر به النبي ﷺ تفصيلاً مما يقع في المستقبل فقد أخبر بأشياء من ذلك، وكذا علم الملائكة بما يفعله العباد، فإنهم قد كتبوا بأمر الله ﷻ والإنسان جنين في بطن أمه ما يفعله العبد تفصيلاً من عمل، يقال له: «**ثُمّ يبْعثُ اللهُ ملكًا فيُؤْمرُ بِأرْبعِ كلِماتٍ، ويُقالُ لهُ: اكْتُبْ عملهُ ورِزْقهُ وأجلهُ وشقِيٌّ أوْ سعِيدٌ**»[2]، فيكتبون عمل الإنسان والظاهر أنه

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٥٦).
(٢) سبق تخريجه (١/ ٤٢٤).

تفصيل، فكيف يقال: لا يعلمهن ملك مقرب ولا نبي مرسل، لا يعلمهن إلا الله؟!

نقول: هذه الأمور التفصيلية التي أخبر بها الرسول ﷺ والرسل قبله، ومن ضمنها ما يدخل في المفاتيح قطعًا، أعني: بأي أرض يموت فلان، وقد كان ﷺ يقول في ليلة بدر، أو في اليوم الذي قبلها: «**هذا مصْرعُ فُلانٍ غدًا، إنْ شاء اللهُ، قال: فقال عُمرُ: فوالّذِي بعثهُ بِالْحقِّ ما أخْطئُوا الْحُدُود الّتِي حدّ رسُولُ اللهِ ﷺ**»(١).

نقول: هذا الأمر التفصيلي معلق على مشيئة الله ﷻ، إن شاء الله ﷻ أمضاه وإن شاء لم يمضه؛ ولهذا ظل هذا الأمر غيبًا كذلك، ظل ضمن وصف هذه الأشياء بأنها لا يعلمها إلا الله، المفاتيح الخمس، فالرسول ﷺ كان يقول: «**هذا مصْرعُ فُلانٍ غدًا، إنْ شاء اللهُ**»، والملك يكتب ما أمره الله ﷻ أن يكتب، وهو معلق على مشيئة الله أن ينفذ هذا القضاء، فإن الكتاب كتابان: كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

فهذا الكتاب الذي بأيدي الملائكة، مما فيه أعمال العباد تفصيلاً وذكر صفاتهم وأحوالهم، هي مما دخل في غير أم الكتاب؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**مِنْ أحدِ الْكِتابيْنِ هُما كِتابانِ يمْحُو اللّهُ ما يشاء مِنْ أحدِهِما** ﴿وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] **أيْ جُمْلةُ الْكِتابِ**»(٢)، فهذا الذي يمكن فيه المحو ويمكن فيه الإثبات، أن يُمضى الأمر على ما كتب الله أول مرة،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩، ٢٨٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (١/ ٤٢١).

ويمكن أن يُمحى لأن ذلك معلق بمشيئة الله ﷻ، أن يمضي هذا الذي أمر الملك بكتبه، والله أعلم.

مِن هنا كانت الكهانة في حقيقة الأمر ادعاء لصفة من صفات الربوبية؛ ولذا كان الكاهن والرّمّال والمنجم والعراف، كل منهم داخل في معنى الطواغيت، وإن كانت كلمة الطاغوت المأخوذة من الطغيان، فكل من طغى فهو طاغوت لا يلزم منها التكفير لمن فعل ذلك، فقد علمنا الخلاف في كفر الكاهن ومن صدّقه، فالكاهن الذي يدعي معرفة الغيب النسبي الذي وقع في جزء من الأرض أو جزء من العالم، ولم يدعِ الغيب المطلق فهو طاغوت، وإن لم يكن خارجًا من الملة؛ لأنه لم يدع صفة الرب ﷻ، الغيب مِن مثل معرفة الشيء المسروق والدابة الضالة ومعرفة مثلاً الإنسان المفقود أو نحو ذلك، هذا من الغيب الذي يمكن أن يطلع عليه البعض، ويمكن أن يكون الرِّئْي من الجن يبلغه به ونحو هذا، والكاهن الذي يدعي معرفة الغيب المطلق، ما يقع في المستقبل، إن كان جازمًا بما يقول، فقد كفر، وإن كان يقول ذلك على جهة الظن والتخمين، وإذا سئل واستفصل منه، أكد أنه يقول ذلك ظنًّا، ليس بمستيقن منه، فهذا لا يكفر وإن كان قد ارتكب كبيرة من الكبائر؛ لهذا قلنا: إن لفظ الطاغوت - وإن شمل هؤلاء - لا يلزم منه تكفير الشخص بعينه، وقد سبق كذلك في الكلام على السحرة والخلاف بين أهل العلم في: هل يكفر الساحر، أم لا؟ وذكرنا أن جماهير العلماء يفصلون في الحكم، وإن كان المشهور أن التفصيل قول الشافعي، لكن حقيقة الأمر أن أتباع المذاهب الأخرى يفصلون أيضًا[1]؛ فإن كان السحر بأدوية وتدخين،

(١) راجع (١/ ٢٤٣).

ولم يستحله صاحبه، لم يكن كافرًا، الذي عمله لم يكن كافرًا، وقد يكون مستحلاً له، أو قد يكون متضمنًا سحره شيئًا من الكفر؛ من عبادة الكواكب، وعبادة الشياطين، صرف العبادة لغير الله، وادعاء أن النجوم السيارة هي التي تتحكم في الكون، فهذا إما شرك في الربوبية، أو شرك في الإلهية، أو شرك في الأسماء والصفات، أو في الأنواع الثلاثة كلها؛ ولذلك قلنا: هناك إذًا اختلاف في أن الساحر كافر، أم لا؟ على نوع السحر المذكور.

نقول ذلك حتى نعلم أن الساحر والكاهن كلاهما من رؤوس الطواغيت، وكذا الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والذي يبدل شرع الله، والشيطان. إذا قلنا: هؤلاء رؤوس الطواغيت، لا يلزم أننا قد حكمنا بكفر العين لكل واحد ممن وقع منه ذلك، هذا نقوله في هذه المسألة أولاً، لكن كما ذكرنا مسألة أن الكهانة كبيرة من الكبائر على أي حال، وأن صاحبها العراف والكاهن والمنجم والرمال، كل هؤلاء حسب النوع الذي أتوا به، وحسب ادعائهم العلم، يمكن أن يقال: فيهم من هو كافر كفر أكبر، وفيهم من هو كافر كفر دون كفر، وكذا فيمن يأتيهم من الناس ويستفصلهم ويستخبرهم عن أمور الغيب، الغيب المطلق، مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، أو الغيب النسبي عن مكان الضالة والشيء المسروق ونحو ذلك.

«**منْ أتى عرّافًا أوْ كاهِنًا، فصدّقهُ بِما يقُولُ، فقدْ كفر بِما أُنْزِل على مُحمّدٍ ﷺ**»[1]، يشمل النوعين، والله أعلى وأعلم. وإن كان المشهور حمله على النوع الذي هو غيب نسبي وعدم الحكم بكفره كفرًا ناقلاً عن الملة.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٦٢).

أما الكهانة قبل بعثة النبي ﷺ فقد كان هناك قدر يُعرف فيما يقع في المستقبل، وهو في الحقيقة صار من جهة ما من الغيب النسبي، أعني: أن أحاديث النبي ﷺ في استراق الجن السمع، أن الله ﷻ إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء كسلسلة على صفوان فيصعقون - فيكون أول من يرفع رأسه جبريل - أو فيخرون لله سجدًا، يصيبهم الغشي، يتغشاهم من أمر الله ﷻ ما يتغشاهم من شدة الخوف من ربهم ﷻ، من شدة خوفهم من رب ﷻ يخافون أن يكون قد نزل أمر بإهلاك العالم أو القيامة أو نحو ذلك: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾، فيخرون لله سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيوحي الله إليه من أمره ما شاء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، زال الفزع عنهم، وعلموا أن القيامة لم تقم، ونزل جبريل عليه السلام بالأمر من عند الله، كما في حديث النّوّاسِ بْنِ سمْعان رضي الله عنه قال: «قال رسُول اللّه ﷺ: «**إذا أراد اللّهُ أنْ يُوحِي بالأمرِ تكلّم بِالْوحْيِ، أخذتْ السّماوات مِنْهُ رجْفةٌ - أوْ قال رعْدةٌ - شدِيدةٌ، خوْفًا مِنْ اللّهِ ﷻ، فإذا سمِع بِذلِك أهْل السّماوات صُعِقُوا وخرُّوا لِلّهِ سُجّدًا، فيكُون أوّل منْ يرْفع رأْسهُ جِبْرِيلُ، فيُكلِّمهُ اللّهُ مِنْ وحْيه بِما أراد، ثُمّ يمُرُّ جِبْرِيلُ على الْملائِكة، كُلّما مرّ بِسماءٍ سألهُ ملائِكتُها: ماذا قال ربّنا يا جِبْرِيلُ؟ فيقُول جِبْرِيلُ: قال:** ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. **قال: فيقُولُون كُلّهمْ مِثْل ما قال جِبْرِيلُ. فينْتهِي جِبْرِيلُ بِالْوحْيِ إلى حيْثُ أمرهُ اللّه ﷻ**»[(١)]، فينزل جبريل بالوحي حيث شاء

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣٦) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٤٨)، والآجُري في الشريعة (٣٠٧)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٩١)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير في تفسيره، وساقه بإسناده (٣/ ٥٣٨)، =

الله. وفِي الصّحِيحِ عنْ أبِي هُرَيْرة رضي الله عنه عنِ النّبِي ﷺ قال: «**إذا قضى اللّهُ الأمْر فِى السّماءِ، ضربتِ الْملائِكةُ بِأجْنِحتِها خضعانًا لِقوْلِهِ، كأنّهُ سِلْسِلةٌ على صفْوانٍ ينْفُذُهُمْ ذلِك** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، **فيسْمعُها مُسْترِقُ السّمْعِ، ومُسْترِقُ السّمْعِ هكذا بعْضُهُ فوْق بعْضٍ - وصفهُ سُفْيانُ بِكفِّهِ فحرّفها وبدّد بيْن أصابِعِهِ - فيسْمعُ الْكلِمة، فيُلْقِيها إِلى منْ تحْتهُ، ثُمّ يُلْقِيها الآخرُ إِلى منْ تحْتهُ، حتّى يُلْقِيها على لِسانِ السّاحِرِ أوِ الْكاهِنِ، فرُبّما أدْرك الشِّهابُ قبْل أنْ يُلْقِيها، ورُبّما ألْقاها قبْل أنْ يُدْرِكهُ، فيكْذِبُ معها مِائة كذْبةٍ، فيُقالُ: أليْس قدْ قال لنا يوْم كذا وكذا: كذا وكذا؛ فيُصدّقُ بِتِلْك الْكلِمةِ الّتِى سُمِعتْ مِن السّماءِ**»[1].

هذا كان الحال قبل بعثة النبي ﷺ، وهو كما وضح من الحديث أنه صار مما يظن، أنه صار مما يعلم أنه يقع لأجل كلام الملائكة بأن الله قد أوحى إلى جبريل أو إلى من شاء من عباده أمرًا يقع في المستقبل، ولكن هذا الأمر قد انتهى، قال سبحانه وتعالى عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩﴾، فأصبحوا لا يتسمعون أصلاً؛ لأن كل من استمع أصابه شهاب وأحرقه وأهلكه، حماية للوحي المنزل من عند الله على محمد ﷺ؛ لأن الله هو الذي تعهد بحفظ هذا الكتاب: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، فمنع أن تناله الشياطين ولا شيئًا منه قبل أن يلقيه النبي ﷺ على الناس؛ ولأن الشرع الإسلامي قد جاء بإبطال الكهانة

= وأبونعيم في الحلية (٥/ ١٥٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٦)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٥٧).

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١).

وتحريمها، وأن الكهان من رؤوس الطواغيت، فظل هذا الأمر من حراسة السماء؛ لأن حكم الوحي المنزل من عند الله ﷻ القرآن باق إلى يوم القيامة.

ومن هنا قال من قال من أهل العلم كالقرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فإِنْ قِيل: إِنّ هذا الْقذْف إن كان لِأجْلِ النُّبُوّةِ، فلِم دام بعْد النّبِيِّ ﷺ؟ فالْجوابُ: أنّهُ دام بِدوامِ النُّبُوّةِ**»(١).

هذا هو الصحيح في هذه المسألة؛ لذلك قلنا: إن هذا الأمر، أعني: أن هناك كلام يُستمع من السماء مما يقع في الأرض لم يعد له وجود في زماننا، فليس إذًا بوسيلة، أعني: أن ادعاء سماع مسترقي السمع من الجن ليس وسيلة لمعرفة أحداث الغيب، لم يعد وسيلة كما كان في الماضي، قد يلقي كلمة وقد يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، ولكن الآن أصبح كل من يستمع يدركه الشهاب، كان قبل ذلك هناك حراسة للسماء، لكن زيد فيها حتى منعتهم من أصل السماع، فلم يعد هناك في ادعاء الغيب المطلق إلا التخمين والظن المحض، وإن كان كثير من الناس يخدع، لكن لا يجوز لمسلم أن يصدِّق أن كاهنًا يمكنه أن يعرف المستقبل بحال من الأحوال، وإن كانت هذه المسألة، أعني: أن كفر من صدق الكهان في معرفة المستقبل، مسألة كفر من صدق الكهان كفرًا ناقلاً عن الملة، هذه المسألة قد يجهلها البعض، فتحتاج إلى إقامة حجة قبل تكفير المعين، والله أعلى وأعلم.

فالكهانة باطلة شرعًا وكونًا وقدرًا، وادعاء أثر اللزوم في أحداث الأرض وفي صفات الناس ادعاء كاذب باطل لا أصل له، وقد قال النبي ﷺ: «**لَيْس**

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٦٦، ١٩/ ١٣).

مِنّا منْ تطيّر أوْ تُطُيِّر لهُ، أوْ تكهّن أوْ تُكُهِّن لهُ، أوْ سحر أوْ سُحِر لهُ»[١]، وكثير من الناس ما زال يدعي خصوصًا مع أوائل السنين، في أول رأس السنة هناك من يتكلم بما يقع من حوادث خلال هذه السنة، وهذه في حقيقته من النوع الذي هو كفر أكبر، فعلاً وتصديقًا، أو قولاً أو تصديقًا، القول بالكهانة ومن يصدقه بذلك، فيذهبون إلى من يسمونهم أهل الفلك أو المنجمين؛ ليدعوا أن حروبًا ستقام، وأن أرواحًا ستزهق، وأن فلانًا سيموت، وأن فلانًا سيصيبه كذا. وهذا كله من الكذب والظن والتخمين المحض، إذا وافق شيئًا قالوا: ألم يقل لنا الساحر الفلاني والكاهن الفلاني أنه سيقع كذا وكذا؟ بمجرد التخمين، والله أعلم.

لكن نقول: في مسألة تكفير المعين لابد من إقامة الحجة واستيفاء الشروط وانتفاء الموانع، خصوصًا مع كثرة الجهل في زماننا، لكن من علم الآية الكريمة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، ويعلم الآية الكريمة: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فهذا قد قامت عليه الحجة، لا يسعه أن يصدق الكهان ولا المنجمين ولا الرمالين ولا الذين يدعون علم الغيب بهذه الوسائل.

يبقى أن نقول أيضًا: إن من وسائل الكهانة في زماننا ما يسميه الناس (حظك اليوم) و(معرفة أبراج السماء)، وتقسيم السنة على هذه الأبراج وأن كل مولود يولد في يوم معين يكون له برج معين؛ فذاك في الدلو، وذاك في العذراء، وذاك في الجدي، ثم يكذب هؤلاء المنجمون ويقولون: من كانوا

---

(١) أخرجه البزار (٩/ ٥٢)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٢).

مولودين في هذا اليوم، فسيحدث لهم كذا وكذا، ومن كانوا من أهل البرج الفلاني، فصفاتهم كذا وكذا وأحوالهم كذا وكذا وينتظرهم كذا وكذا، وكل هذا مما يعلم كل عاقل أنه من خداع الجهلاء ومن استغفال هؤلاء الذين لا علم لهم بدين ولا دنيا، إنما يرونهم في غفلة فيكذبون عليهم ذلك، نسأل الله العافية، وكما ذكرنا في المرة السابقة من قراءة الفنجان ووشوشة الودع والخط على الرمال، كما ذكرنا من هذا ما يكون من جهة الغيب النسبي، ومنه من جهة ادعاء علم الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، ومن جزم بوقوعه ذلك في المستقبل في تاريخ معين، فقد كفر بتكذيبه القرآن العظيم، وما دون ذلك هو كفر دون كفر، نسأل الله العافية.

ويجب محاربة الكهان الذين هم أحد رؤوس الطواغيت ومنعهم من ذلك، ليس استفتاؤهم ولا الذهاب إليهم ولا نشر كلامهم إلا من يريد أن يكذبهم ويفضحهم ويبين بطلان كلامهم، وأنه لا يقع ما أخبروا به وإنما هم يخمنون، وإنما إن وافقوا شيئًا من الحق فبلا علم منهم، وإنما هو الظن: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، فمن هذا الباب يمكن فضحهم وبيان حقيقتهم؛ أما من يأتيهم ليصدقهم وليستفهم منهم ويستخبرهم، فهذا لا يجوز بحال من الأحوال.

وأما عقوبة الكهان الدنيوية: إذا كان الكاهن ممن يدعي علم الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، فهذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتدًا؛ وأما إذا كان من جنس العرافين الذين يبحثون في مكان الشيء المسروق والشيء المفقود ونحو ذلك، فهذا إن لم يستحل هذا الذنب أو إن لم يقر على نفسه بكفر يفعله للجن حتى يخبروه بذلك، يعزر تعزيرًا بليغًا؛ فأما إذا وصف كفرًا

فقال: إنما أعلم هذه الأحداث إذا تقربت إلى الجن بشيء من الكفر، فيكون مرتدًا في هذه الحالة، فهذا يُكفر ويقتل في تلك الحال، ولكن إذا لم يكفر فينبغي أن يعزر تعزيرًا بليغًا.

والاستعانة بالجن منافية لقول النبي ﷺ: «... **إِذَا سألْت فاسْألِ اللَّه، وَإِذَا استعنْت فاسْتعِن باللَّهِ...**»[1]، ولكن استعانته بالجن في معرفة الأمور التي هي من الغيب النسبي أمر لا يجوز ومحرم، ولكن لا يُخرج من الملة؛ وأما إذا كان يعتقد أن الجن يمكنهم معرفة ما يقع في المستقبل أيضًا؛ ولذلك هو يصدقهم ويستعين بهم ويستخبرهم عما يقع في المستقبل، فهذا أيضًا من الكفر الناقل عن الملة.

وإذا فعل الكاهن شيئًا مكفرًا؛ كالسجود للصنم، أو السجود للجن وعبادته، أو إلقاء المصحف في القاذورات أو كتابته بالنجاسات، أو الصلاة لغير القبلة، أو غير ذلك مما يكون كفرًا؛ تقربًا إلى الجن، فهذا يكفر إذا اعترف على نفسه بذلك، وليس كل كاهن يعترف على نفسه، وليس كل كاهن يقول أو يفعل ذلك، لا يلزم من أن بعض الكهان يفعلون ذلك أن كل الكهان لابد أن يتقربوا للجن بالكفر.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٣٨).

الْمسْألةُ السَّابِعَةُ والْعِشْرون بَعْدَ الْمِائةِ: التَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ.

الشـــرح:

قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

فبين ﷻ أن الإيمان والإسلام مرتبطان بالتحاكم إلى ما جاء به النبي ﷺ وتحكيمه في كل موارد النزاع وقبول حكمه والانقياد له، ونفى الله ﷻ الإيمان عمن لم يتحاكم إلى رسول الله ﷺ، إلى ما جاء به من الشرع والوحي المنزل من عند الله الحكم العدل، سبحانه وبحمده، وبين ﷻ أن من أراد التحاكم إلى الطاغوت مجرد الإرادة، فضلاً عن فعل ذلك هو من علامات النفاق: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾. والطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو

مجاوزة الحد[١]، وطاغوت كل قوم هو متبوعهم ومعبودهم ومطاعهم، الذي يطيعونه ويتبعونه ويعبدونه على غير بصيرة من الله، الذين يخالفون ما جاءت به الرسل من عبادة الله وتوحيده ويتبعون رأسًا من رؤوسهم جاوزوا به الحد، رضي هو أم لم يرض، لكن إذا كان غير راض لم يسم هو طاغوتًا، ولكن هم جعلوه لله ندًّا، نقول: فهذا الذي جعلوه ندًّا لله سبحانه وتعالى يتحاكمون إلى كلامه وإلى آرائه، دون مستند من شريعة الله، فهذه مجاوزة للحد، فالعبد حده أن يكون محكومًا بشرع الله عز وجل متحاكمًا إليه، لا يطلب الحكم من غير الله، إنما أنزل الله سبحانه وتعالى الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، أنزل الله عز وجل الكتاب على رسله ليبين للناس ما اختلفوا فيه، فلا يجوز أن يتحاكم من انتسب إلى الإيمان، وزعم الإيمان بالله وبكتبه ورسله إلى شيء آخر خلاف شرع الله سبحانه وتعالى، حد العبد أن يكون - إذا حكم - حاكمًا بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإذا تحاكم وطلب الحكم، أن يكون متحاكمًا إلى ما أنزله الله على رسوله، فإذا جاوز العبد حده، سواء كان حاكمًا، أو محكومًا، وادعى الحاكم لنفسه أن له أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً أو بما يراه صوابًا من غير رجوع إلى شرع الله، فهذا طاغوت، وكذلك إذا ادعى المحكوم أن له أن يتحاكم إلى من يريد، دون أن يرجع إلى شرع الله سبحانه وتعالى أو إلى من يحكم بغير شرع الله، فقد جاوز حده؛ ولذلك يكون قد جعل الذي يُتحاكم إليه دون شرع الله طاغوتًا.

وكل من حكم بغير شرع الله سبحانه وتعالى فهذه الآية تدل على أنه يسمى طاغوتًا،

---

(١) انظر: تعريف ابن القيم رحمه الله للطاغوت في إعلام الموقعين (١/ ٥٣).

طغى وجاوز الحد، وقد أُمِر المؤمنون أن يكفروا بهذا الطاغوت الذي يحكم بغير الله شرع الله ﷻ، وذلك أن الإيمان يسلتزم قبول شرع الله ﷻ والحكم به والتحاكم إليه؛ كما قال ﷻ مبينًا ضلال من ضل في هذه المسألة ممن سبق من أهل الكتاب، وممن ينتسب إلى الإسلام من المنافقين، ولكنهم على درب الكفار من أهل الكتاب يسيرون، قال ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞۖ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۖ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الآيات إلى قوله ﷻ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾. فإرادة التحاكم إلى الطاغوت هي حال أهل الجاهلية، وهناك من يريد ذلك من المنافقين، وتأمل أن الله - سبحانه - ذكرهم في الآية قبل ذكر الذين هادوا، مع أن سبب نزول الآية كان في الذين هادوا، كان في اليهود، وذلك كما ثبت في الصحيح

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود أتوا إلى رسول الله ﷺ في رجل وامرأة زنيا[1] لما كثر الزنا في بني إسرائيل وفعله أشرافهم وأبوا أن يقيموا الحدود التي شرعها الله ومنها حد الرجم الذي في التوراة، وإلى يومنا هذا ما زال في التوراة والإنجيل ثابتًا، والقرآن قد نزل به وبينه الرسول ﷺ وفعله ولم ينسخه، ونسخت تلاوته وبقي حكمه.

نقول: لما كثر الزنا فيهم وأبوا أن يطبقوا حكم الرجم على الزاني والزانية، اصطلحوا فيما بينهم على عقوبة هي أدنى من عقوبة الرجم، بأن يسودوا وجوه الزانيين، ويطوفون بهما على حمارين مقلوبين، ويجلدوهما، فلما بعث النبي ﷺ قالوا لبعضهم مثل هذا لما وقعت واقعة الرجل والمرأة اليهوديين الذين زنيا، وشهد أربعة شهود أنهم رأوا فرجه في فرجها كالرشاء في البئر والميل في المكحلة، فقالوا: ائتوا هذا النبي فإنه قد بعث بالتخفيف فإن حكم لكم بالجلد فخذوه وقولوا: حكم به نبي - يرون أن ذلك يكون حجة عند الله، وهم يعلمون صدق النبي ﷺ -، وإن حكم لكم بالرجم فاحذروا، إن أصر على ما في التوراة فاحذروا ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «**أنّ الْيهُود جاءُوا إِلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فذكرُوا لهُ أنّ رجُلًا مِنْهُمْ وامْرأةً زنيا فقال لهُمْ رسُولُ اللهِ ﷺ: ما تجِدُون فِي التّوْراةِ فِي شأْنِ الرّجْمِ فقالُوا: نفْضحُهُمْ ويُجْلدُون فقال عبد اللهِ بْنُ سلامٍ: كذبْتُمْ إِنّ فِيها الرّجْم فأتوْا بِالتّوْراةِ فنشرُوها، فوضع أحدُهُمْ يدهُ على آيةِ الرّجْمِ، فقرأ ما قبْلها وما بعْدها، فقال له عبد اللهِ بْنُ سلامٍ: ارْفعْ يدك فرفع يدهُ، فإِذا فِيها آيةُ الرّجْمِ فقالُوا: صدق**

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٢٧).

يا مُحمّدُ فِيها آيةُ الرّجْمِ فأمر بِهِما رسُولُ اللهِ ﷺ، فرُجِما».

قال عبد اللهِ بْنُ عُمر رضي الله عنهما: «**فرأيْتُ الرّجُل يجْنأُ على الْمرْأةِ، يقِيها الْحِجارة**»(١)، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾، ولم يذكر سبحانه وتعالى هذه المسألة في كتابه قط إلا بلفظ الكفر والشرك، وذلك مع الظلم والفسق، لم تذكر مجردة عن ذلك، والظلم - كما نعلم - منه الظلم الأكبر ومنه الظلم الأصغر، والفسق منه الفسق الأكبر ومنه الفسق الأصغر، وكذلك الكفر منه الكفر الأكبر ومنه الكفر الأصغر، لكن ما تكرر ذكره في القرآن مؤكدًا أنه من الكفر، فواجب حمله على الكفر الأكبر، وكذا الشرك حتى يتبين خلاف ذلك بالدليل؛ لأن الأكثر في الاستعمال في كتاب الله عز وجل، والأصل في الاستعمال هو إطلاق الكفر والشرك على ما كان من ذلك أكبر.

ولذلك نقول: هذه قضية عظيمة من أجلها بعثت الرسل، ومن أجلها أنزلت الكتب، فكيف تكون مسألة من مسائل الفروع كما يحب البعض أن يجعلها تباعًا لشهوات البعض ومداهنة في دين الله عز وجل؟! كما قال الله عز وجل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾، فإذا كان الكتاب قد أنزل ليحكم بين الناس، فكيف تقول: هذه مسألة فرعية؟!

أرسل الله الرسل من أجل ذلك، أنزل الله الكتب من أجل ذلك، وأنتم تجعلونها من مسائل الفروع، التي لا تضر صاحبها إلا كما تضره المعصية

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٢٧).

التي من جنس سائر المعاصي والذنوب، قد سماها الله ﷻ كفرًا، وسمى من فعلها مشركًا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ وقال ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾. وفي القراءة الأخرى وهي سبعية متواترة: (ولا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أحدًا)، وهي لا تحتمل إلا أمر الحكم، وسمى الله ﷻ من جعل مع الله شريكًا في الحكم يشرع للناس من دون الله، سماه شركًا: (ولا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أحدًا)، وقال في هذه الآيات الكريمة: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾، فدل ذلك على خطر المنافقين في هذا الباب، وقال ﷻ لمن استحل الميتة بتأويل باطل يتبع فيه تشريع الشيطان بإباحتها، عندما قال المشركون للمسلمين: أتأكلون مما قتلتم - أي: ذبحتم - ولا تأكلون مما قتل الله بيده - يعنون الميتة - فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، فمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الأكل من الميتة دون شرع الله ﷻ في تحريمها وأقر هذا كتشريع، فإنه يكون مشركًا، والعياذ بالله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، إن أطاعهم واتبعهم على ما بدلوا وغيروا من شرع الله.

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ

سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، فسمى الله ﷻ ما فعلوه من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا، مع ادعائهم لله ﷻ الولد واتخاذهم المسيح ربًّا مع الله أو من دون الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، سمى الله ﷻ ذلك إفكًا وكفرًا، وسماهم مشركين، وسماهم كافرين، وبين أن عداوتهم للدين الإسلامي من أجل أن يطفئوا هذا النور الذي أراد الله ﷻ أن يعم البشرية.

وهذه الآيات في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾، ذكر غير واحد من المفسرين أنه كعب بن الأشرف؛ لأن بعض المنافقين من الأنصار كانوا قد تعودوا أن يتحاكموا في جاهليتهم إلى أحبار يهود، فكان كعب بن الأشرف من هؤلاء، قال الشعْبي: (**كان بيْن رجُلٍ مِن المنُافِقِين، ورجُلٍ مِن الْيهُودِ خُصُومةٌ، فقال الْيهُودِيُّ: نتحاكمُ إِلى مُحمّدٍ؛ لِأنّهُ عُرِف أنّهُ لا يأْخُذُ الرِّشْوة. وقال المُنافِقُ: نتحاكمُ إِلى الْيهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أنّهُمْ يأْخُذُون الرِّشْوة، فاتّفقا على أنْ يأْتِيا كاهِنًا فِي جُهيْنة، فيتحاكما إِليهِ، قال: فنزلتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾** [النساء: ٦٠] **الآية**)[1].

وقِيل: (**نزلتْ فِي رجُليْنِ اخْتصما، فقال أحدُهُما: نترافعُ إِلى النّبِيِّ ﷺ، وقال الآخرُ: إِلى كعْبِ بْنِ الأشْرفِ، ثُمّ ترافعا إِلى عُمر، فذكر لهُ أحدُهُما**

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٠).

القِصّة، فقال للّذِي لمْ يرْض بِرسولِ اللهِ ﷺ: أكذلِك؟ قال: نعمْ. فضربهُ بِالسّيْفِ، فقتلهُ)[١].

فقد كان الكهان ورؤوس الكفر من طواغيت أهل الكتاب هم الذين يُتحاكم إليهم في الجاهلية، فكان هذا كله مما أمر أهل الإيمان أن يكفروا به، نعوذ بالله من الضلال، وذلك أن هؤلاء كانوا يرون ما يحكمون به من التشريعات المخالفة لشرع الله أمرًا سائغًا لا بأس به، وأغلظ من ذلك من يجعله أمرًا حتمًا لازمًا هو شر من الاستحلال، الذين يظنون أن قول أهل العلم في اشتراط الاستحلال في هذا الباب يقتصر على من قال: هو حلال أن نتحاكم إلى غير شرع الله، هو أجهل بكلام العلماء ممن لم يتكلم في هذه المسألة أصلاً؛ لأن الإيجاب أغلظ وأشد من الاستحلال، فمن جوّز مخالفة شرع الله ﷻ، ورأى أنه لا بأس بمخالفتها، مع كونه لا بأس باتباعها، فهل هو أهون أم أشد من الذي قال: بل لا يجوز ولن تفعلوا أن تتحاكموا إلى شرع الله، ولابد أن تتحاكموا إلى ما وضعه الناس بآرائهم من غير مستند من شريعة الله، والمقاومة الشديدة العنيفة التي قد تصل إلى الحرب والقتال في بلاد العالم من أجل عدم إقامة شرع الله ﷻ.

الكلام بين وواضح أن الذي أوجب على الناس وألزمهم بخلاف شرع الله ﷻ في التشريع العام، لا شك أنه أغلظ ممن أباح ذلك، فلو أن الناس في

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) معلقًا من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رضي الله عنهما به وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

بعض هذه البلاد مثلاً التي خالفوا فيها شرع الله ﷻ: ورثوا الذكر مثل حظ الأنثيين، لكانت جريمة يُعاقب عليها.

وإذا ثبت عليه في بعض البلاد التي تسوي بين الذكر والأنثى، كانت هذه جريمة يعاقب عليها، وجعله ممنوعًا منه، بل ومحرمًا قانونًا ومجرمًا جريمة هي أشد في الحقيقة من كلمة المحرم، كلمة التجريم أعظم؛ لأنه يدل على لزوم العقوبة، فهناك أمور محرمة قد لا يوجد لها عقوبة دنيوية، فلو أكل إنسان خنزيرًا مثلاً في بيته، فهذا جريمة في دين الله ومحرم في شرع الله، وإن كنا لا نجد نصًا يعاقِب هذا الرجل الذي أكل لحم الخنزير ولم نطلع نحن على ذلك، ولكن نقول: هذا التجريم هو - والعياذ بالله - دليل على محاربة دين الله ﷻ.

وقد حرموا الزواج الثاني وجعلوه جريمة أيضًا إذا تزوج بأكثر من واحدة؛ وأما إذا أثبت أنها خليلته وعشيقته، فهذا لا يعاقب وتثبت براءته ويُقال عنه: بريء لم يرتكب جرمًا.

ويحاربون فيما بقي من آثار التشريع الإسلامي في كثير من البلاد، حتى سعوا مثلاً إلى إلغاء تجريم الزنا بالكلية من قوانين بعض البلاد، التي كانت في زمن من الأزمان إسلامية، وأوروبا وأمريكا تتبع القوانين الوثنية التي وضعتها، والتي هي مستمدة من فلسفات إلحادية لا تعترف بملة ولا بدين في حقيقة الأمر، حتى بالتوراة والإنجيل، وإلا فكما ذكرنا أن التوراة تنص على رجم الزاني إلى يومنا هذا، والمسيح قد أقر رجم الزانية في حقيقة الأمر، وإن كان طالبهم بأن يكونوا جميعاً مطبقين لذلك، إن صح ما ينقلونه عن

المسيح، وإن كان يطالبهم بأن يقيموا الحدود على الشريف والوضيع، وليس أنه يقيم الحدود من يستحق أن تُقام عليه قبل أن يقيمها على الناس، فإنه قد قال في امرأة أتاه بها اليهود وزنت، فأرادوا أن يحكم فيها، فقال: «من كان منكم بلا خطيئة، فليرمها بحجر»، والخطيئة معروف عندهم استعمالها كثيرًا في معنى الزنا، فقال: «من كان منكم بلا خطيئة، فليرمها بحجر». إذًا، قد أقرهم أنهم يرجمونها إذا كانوا هم بلا تلك الخطيئة؛ وأما أن النصارى فحملوها على أنه الخطيئة عمومًا، وهذا من تحريفهم وجهلهم بمقاصد الشريعة، فإنهم يقرون بأن المسيح ما جاء لينقض الناموس، والناموس قد أقر برجم الزانية، فكيف بعد ذلك يقولون: إن هذه القوانين جائرة وتنافي حقوق الإنسان؟!

هذا لأنهم فعلاً تركوا هذا الدين بالكلية، تركوا دين المسيح بالكلية، واليهود تركوا دين موسى بالكلية، لم يعد يدافع عن هذه النظم الدينية الشرعية التي أنزلها الله وما نسخت وما زالت في شريعتنا كما كانت في شريعتهم، لا يدافع ولا يبحث عن إقامتها إلا المسلمون، فسبحان الله! مع أنها - كما ذكرنا - في التوراة والإنجيل، ولكنهم يأبون ذلك أشد الإباء؛ لأن التشريعات التي أخذت من أوروبا مبنية على الفلسفة الوثنية، فلسفة اليونان والرومان وإنكار وجود الله ﷻ، وفلسفة المعاصرين من أيام الثورة الفرنسية الإلحادية أيضًا، وكل ذلك بتوجيه اليهود الذين يريدون تحلل الأمم، مع أنهم هم قد تحللوا بالفعل.

وكذلك قطع يد السارق موجود في التوراة: «**وأن اقطعها هذه اليد التي سرقت قبل أن تأخذك إلى النار**». وقد قرأت خبرًا في الماضي عن رجل في

الأرجنتين وضع يده تحت القطار ليقطع يده، بعد أن قرأ في التوراة هذا الأمر، وقد كان قد سرق، فأراد أن يتخلص من يده قبل أن تقوده إلى النار.

فانظر إلى العجب الذي يكون في زماننا! من الذي يهاجم هذه الأمور ويصفها بأنها خلاف حقوق الإنسان، وأن هذه عقوبات من العصور الوسطى، ونحو ذلك على سبيل الانتقاص منها، نسأل الله العافية. وكيف وهذا في باب واحد وهو باب الثواب والعقاب؟! وأما القرآن فقد نزل عمومًا ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ليس فقط في قضية قانون العقوبات أو الجرائم التي تستحق العقوبة، وإنما الأمر أوسع من ذلك، يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من العقائد والتصورات والأفهام، وهذا أول وأوجب ما يحكم فيه بين الناس بكتاب الله، فلا تؤخذ العقائد إلا من دين الله ﷻ، لا يؤخذ الفهم والتصور عن الوجود والبداية والنهاية، واستحقاق العبادة إلا من كتاب الله ﷻ وما أنزله على رسوله ﷺ؛ ولذلك في كل الأمور؛ في القضاء والقدر، في الإيمان والكفر، وفي الولاء والبراء، في أنواع العبادة، في أنواع الشرك، في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وسائر القضايا لابد أن يكون التحاكم فيها إلى شرع الله ﷻ.

كذلك فيما يختلف الناس فيه من الأعمال، فأهل البدع لِما ضاهوا أهل الشرك؟ لماذا كانت البدع هي السبيل الأول أو أول خطوة على طريق الكفر؟ بمعنى أن من أتى بها لم يبق بينه وبين الكفر إلا خطوة واحدة، أن يخطو خطوة واحدة فيقع في الكفر، ومن البدع ما يكفر؛ لأن قضية البدعة هي نوع من التشريع، مضاهاة في التشريع؛ ولذلك غلظ أمرها وكانت كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فالتحاكم فيما اختلف الناس فيه ليس فقط في قضايا

العقوبات، لكن في قضايا العبادات، في قضايا المعاملات، في قضايا الأخلاق، لابد أن يرد إلى شرع الله ﷻ، في قضايا أحوال القلوب كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إن الهجرة النبوية إلى النبي ﷺ هي سفر النفس في كل مسألة من مسائل الإيمان، وحادثة من حوادث الأحكام، ومنزلة من منازل القلوب إلى معدن الهدى ومنبع النور، المتلقي من فم الصادق المصدوق ﷺ، فكل مسألة طلعت عليها شمس رسالته، وإلا فاقذف في بحر الظلمات، وكل شاهد عدله هذا المزكي ﷺ، وإلا فعده من أهل الريب والتهمات**»[1].

لذلك نقول: كذلك التحاكم إلى شرع الله ﷻ والحكم به فيما اختلف الناس فيه من نظم الحياة؛ في الإعلام، في التعليم، في السياسة، في الحرب، في السلم، في الاقتصاد، في نظام المال، في نظام الأسرة، في النظام الاجتماعي، في نظام الرياسة والملك والإمارة، وطرق إقامة الأئمة وعزلهم، وكل ما يتعلق بذلك، لماذا تحارب الأمم بعضها بعضًا؟ ولماذا تسالمها؟ وعلى أي المبادئ يبنى المجتمع وما يسوى فيه بين الناس وما يخالف فيه بينهم؟هذه القضايا كلها.

لابد وأن تكون نظم الحياة كلها فيما يختص بالفرد وفيما يختص بالأمة مأخوذة من شرع الله، مردودة من شرع الله، يُتحاكم فيها إلى شرع الله ﷻ، القضية أعظم وأعم من مجرد بعض القوانين في مواد العقوبات، القضية في مواد العقوبات هي من أظهر المخالفات، وإلا فهناك في أمور الاقتصاد في إلزام الناس بالربا، وأن من تأخر عن سداد دينه ألزم بفائدة، كل هذا من آثار

(١) انظر الرسالة التبوكية (ص ٢٣).

الجاهلية ومن آثار حكم الجاهلية ومن إرادة التحاكم إلى الطاغوت، وغير ذلك كثير في كل مناحي الحياة، إباحة الفجور والفسق والتصريح به ونحو ذلك، وكل هذا فيما يتعلق بالتشريع العام فيما يعم الأمة أو فيما يقرر كقواعد، هذا بلا شك من خالف فيه شرع الله ﷻ، وسن للناس تشريعًا عامًا يخالف دين الله ﷻ، فلا شك أن ذلك من الشرك بالله، ممن ادعى لنفسه هذا الحق الذي ليس بحق له أو لغيره، سواء كان هو الذي سن ذلك، أو ألزم الناس بتشريع غيره، كما يوجد في كثير من البلاد، سن هناك زنادقة منافقون كفار - والعياذ بالله - أحكامًا تحارب شرع الله ﷻ، وجاء من بعدهم يحافظون على ذلك محافظة تامة ويقاتلون من أجله، ويشنعون على من خالف ما ورثوه من طاغوتهم الذي جعلوه ربًّا لهم يعبدونه من دون الله ﷻ، هذه الأتاتوركية في تركيا - إلى يومنا هذا - طاغوت يعبد من دون الله، هذا الرجل كان طاغوتًا فظيعًا يحارب الإسلام نصًا وعلانية ولا يداري ذلك، من أتى بعده قد يدارون ولا يمكنهم أن يطعنوا في القرآن علانية، لكنه كان يطعن في القرآن علانية، كان يقول: «لا يمكن أن نبني تركيا الحديثة على كتاب يبحث في التين والزيتون». والعياذ بالله، وجعل قانونًا مصرِّحًا به: أن من يدع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، يعاقب بالسجن ثمان سنوات. باللفظ، وليس أن مثلاً هناك متشددون في فهم الشريعة، متطرفون في تطبيقها، لا يفهمون الفهم الصحيح، لا، بل يقول: «من يدع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في القوانين، يعاقب بالسجن ثمان سنوات، وإذا كان هذا ضمن جماعة - هذا أخطر - يعاقب بالسجن مدى الحياة»، إلى أن يموت يظل في السجن.

وسن قوانين في منع الآباء والأمهات من تحفيظ أبنائهم القرآن أكثر مما هو مقرر في المدارس، جعل لهم مقررات معينة، إذا زادوا عليها الآباء والأمهات وحفّظوا الأولاد قرآنًا، عوقبوا بالحبس ثلاث سنوات ونحو ذلك. وقوانين موجودة بعضها حاول الزنادقة من أتباعها تطبيقها، وكل من يطعن في شخصه يكون مجرّمًا، وكل من يطعن في مبادئه ويصرح مثلاً بأن الدين يشمل الدولة، وأنه لابد وألا يفصل في الدين والسياسة ونحو ذلك، بمجردها تصبح جريمة، والعياذ بالله؛ لأنه دعا إلى عدم فصل الدين عن الدولة، أو دعا إلى إلزام الدولة بالرجوع إلى الدين، هذا عندهم جريمة مستقلة، والحقيقة أن هذا هو الذي قاد كثيرًا من دول العالم الإسلامي إلى نفس المجال، ولكن بدرجات متفاوتة؛ حتى يغر الناس بذلك، لكن الحقيقة أن هذا الباب باب واحد والذين يسيرون عليه، على طرق العلمانية التي أصحابها ومؤسسها في الغرب يعلمون تمام العلم، ويصرحون تمام التصريح بأنهم يرومون فصل الدين عن السياسة وعن الدولة وعن الحياة كلها، حصر الدين أن يكون علاقة شخصية لا دخل له بنواحي الحياة ولا يشكل في الناس أي جانب من جوانب حياتهم، هذا أمر خاص، التدين مسألة شخصية، من أراد أن يعبد بوذا فليعبد، من أراد أن يعبد الله فليعبد، من أراد أن يعبد الصليب فليعبد، كل ذلك عند هؤلاء القوم سواء، وأما نظم الحياة وأما التشريعات في كل المجالات فهي مردودة إلى ما يختاره الناس؛ إما بالأغلبية، وإما بما يقرره طائفة منهم، وإما بالاستفتاءات أو بالانتخابات على ما يقرروه، وهم يمتحنون المسلمين الذين يحاولون مشاركتهم في ديمقراطيتهم الزائفة، يمتحنونهم في هذه المسائل فيقولون: ما تقولون لو أن

صناديق الاقتراع أتت بإلغاء الشريعة الإسلامية بأنه لا يكون هناك ديانة للدولة، يُلغى أن الدولة دينها الإسلام، وأن الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع أو حتى مصدر للتشريع؟! ماذا تقولون؟ هل تقبلون؟! يختبرونهم بالكفر، والعياذ بالله؛ لأن من قال: نقبل لو أن الناس اختاروا الكفر فلهم ذلك، نعوذ بالله، من قال: نعم أقبل ذلك كان كافرًا، والعياذ بالله، كان مكذبًا للقرآن.

الله ﷻ أنزل الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وقال ﷻ على لسان يوسف عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾، وهم يختبرونك في ذلك، يقولون: هل تقبل هذا الأمر وترضى به وتطبقه، أم لا؟!

هذا الخطر العظيم الذي لابد أن ينتبه له المسلمون، وإن كان هذا يكاد هم يجزمون ويقطعون أنه لا يمكن أن يقع، أن المسلمين لو طرح عليهم هل تريدون شرع الله ﷻ، هل سيقولون: لا نريده؟! والعياذ بالله، لا يمكن. أظن أن الكفار يقولون: نعم نريده؛ لأنهم يعلمون، كما قال اليهودي في الماضي: نتحاكم إلى محمد، وأنا أعلم كثيرًا من النصارى إذا وقعت خصومة بينهم وبين المسلمين، بل وبين بعضهم بعضًا، أحيانًا يطلبون الإخوة الأفاضل الدعاة للحكم بينهم، يقولون ذلك أنهم سوف يحكمون بالعدل، وربما لا يطلبون الذهاب إلى المحاكم، فكما قال اليهودي: «**نتحاكمُ إلى مُحمّدٍ؛ لِأنّهُ عُرِف أنّهُ لا يأْخُذُ الرِّشْوة. وقال المُنافِقُ: نتحاكمُ إلى الْيهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أنّهُمْ يأْخُذُون الرِّشْوة**»[1]، والعياذ بالله، فسبحان الله ما أشبة الليلة بالبارحة!

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٨١).

النفاق كان قديمًا مستترًا وأصبح اليوم علانية، كما قال حذيفة رضي الله عنه ذلك بعد عصر النبوة مباشرة، والإسلام كان في أوج قوته، والمسلمون في أوجه قوتهم، ومع ذلك كان حذيفة يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ نعده بها من المنافقين. أسمعها من الواحد منكم في المجلس الواحد عشر مرات، فسبحان الله! كيف صار النفاق في ذلك العهد؟! عهود بلا شك، لا تظن أن هذا كان منعدمًا، لكن كان خطيرًا، أظهر البدع الكبرى الصحابة أدركوا من قال: إن عليًّا هو الله، وأدركوا من قال: لا قدر وأن الأمر أنف، وأدركوا من قتلوا أهل الإسلام وتركوا أهل الأوثان وكفروا خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، أدرك الصحابة ذلك، وهم من المنافقين الذين حاولوا هدم الدين من الداخل، لكن الله سبحانه وتعالى حفظ هذا الدين، حفظ الكتاب وحفظ السنة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وهذه القضية احتاجت من أعداء الإسلام قرونًا طويلة، نحو ثلاثة عشر قرنًا وزيادة، حتى يحققوا في بلاد المسلمين ما يريدون، أعني: أن يكون في التطبيق العام، وإلا فقد فعلوا ذلك في بعض البلاد مدة من الزمن عندما تسلط التتار على بلاد المسلمين، وطبقوا فيها النظام التتري الذي أخذوه عن الياسق الذي وضعه جنكيز خان، لكن بسرعة غلب المسلمون التتار ودمجوهم في المجتمع الإسلامي، وذهب أثر ما صنعوا، لكن ما وقع هذا التبديل لشرع الله سبحانه وتعالى إلا بعد احتلال الغرب لمعظم بلاد الإسلام ونزول جيوشهم فيها وقهرهم للمسلمين، ثم انهزام دولة الخلافة في الحرب العالمية الأولى، وسقوط دولة الخلافة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسقط معها التشريع الإسلامي في معظم البلاد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإمعانًا في إذلال المسلمين كانت أول التشريعات، كما ذكرت في تركيا فعلوا ذلك وحرموا وجرموا من يدعو إلى تطبيق الشريعة، لو نظرت إلى أول دستور وضع في مصر في سنة **١٩٢٢**م من بعد ثورة **١٩** كان أول دستور مصري ينص على الاستقلال عن إنجلترا، ينص على أن مصادر الأحكام أعلاها الأحكام الدستورية، ثم بعد ذلك القانون «مواد القانون التفصيلية»، فإن لم يجد القاضي شيئًا من ذلك حكم بالعرف، فإن لم يجد في العرف حكم بمبادئ الشريعة الإسلامية.

انظر إلى هذا الأمر الفظيع في التأخير والإهانة للمسلمين في شأن شريعتهم، يجعلونه بعد العرف، وقام أبو القانون المصري في ذلك الوقت يخاطب بعض المتدينين الذين ينكرون عليه مخالفة الشريعة، فقال: «أنا لم أجد شيئًا في الشريعة يوافق القانون الفرنسي إلا وضعته»، يعني أنه أخذ من الشريعة كل ما أمكن أن يأخذه، موافقًا للقانون الفرنسي الذي كان هو مصدر القانون المصري الأول في ذلك الوقت، ومصائب عظيمة حصلت للمسلمين في هذه القضية، وكما ذكرت القضية ليست قضية قانون فقط، القضية أعمق من ذلك وأعم من ذلك في كل ما اختلف فيه الناس؛ ولذلك لا يظن البعض أن نقتصر في قضية (الحكم بما أنزل الله) على مسألة العقوبات أو الحدود، هذا جانب من الجوانب، القضية - كما ذكرت - أولها وأعظمها أمور الاعتقاد، فلا يمكن أن يرضى أهل الإسلام بغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حكمًا فيما يعتقده الناس، فيما يكون إيمانًا وما يكون كفرًا، وإلا فكم من الناس يصف الكفار بالمؤمنين، ويصف المؤمنين أحيانًا بأنهم كافرون من أجل إرضاء الآخرين، والمهادنة في دين الله ﷻ،

وإلا فأنت لا تكاد تسمع في وصفهم للكفار أبدًا هذا الوصف، بل ينتفضون غضبًا إذا قيل عن اليهود والنصارى كفار، وجعل بعضهم - من باب المجاملة والمهادنة - من مات من الكفار في حروب أو غيرها أنهم شهداء أيضًا، من المسيحيين كما يقولون، كالشهداء من المسلمين، كلهم سواء.

وآخر يقول: إن مصيرنا في الدنيا واحد، وفي الآخرة واحد، والعبرة بالأعمال.

هذا من أخطر ما يمكن أن يكون فيه الحكم بما أنزل الله ﷻ، لابد أن نحكم بما أنزل الله في هذه المسائل، من الذي جعله الله كافرًا؟ ومن الذي جعله الله مؤمنًا؟ ومن الذي جعله رسول الله ﷺ مؤمنًا مسلمًا؟ وكيف عامل ﷺ من كذبه، وكذب القرآن، وأشرك بالله وجعل مع الله ﷻ آلهة ثلاثة أو أكثر أو أقل، جعل مع الله إلهًا آخر أو ادعى لله صاحبة أو ولدًا، أو قال: إن الله هو المسيح ابن مريم؟ هذا مما يحكم فيه، لابد أن يُحكم فيه بشرع الله ﷻ.

لذلك نقول: القضية قضية عظيمة الأهمية، هدم مرجعية الشريعة هي التي يرومها أعداء الإسلام، وهذه القضية عمي عنها البعض حتى صغرها جدًا؛ لأنه قد وقع مثلاً في بغض من نادى بها لأجل مخالفته في بعض الأمور، بعض الناس قد يكون نادى بهذه القضية، فأبغضه البعض لبعض المخالفات بينه وبينه أو لشحناء أو لغير ذلك أو حتى لبدع وقع فيها، فدفعته هذه البغضاء إلى أن يرد المسألة من أصلها، ويجعلها كلها من باب الفروع كما ذكرنا، وهذا والله خطر عظيم، وفتح الباب لفرض العلمانية ليس على

المجتمعات المسلمة فقط، بل على الصحوة الإسلامية نفسها، حين يُمتحن الناس - كما ذكرت - بقبول ما يخالف شرع الله ﷻ إذا كان رأي الأغلبية، والبعض الآخر يجعل هذا كله مقبولاً، طالما أنه وقع ممن يتولى الأمور في المسلمين.

ومن أعجب ما قرأه الإنسان أو سمعه أنه عندما يؤتى بنصوص الكتاب والسنة ونُقُول إجماع علماء الأمة، العلماء الذين نقلوا الإجماع على أن من تحاكم إلى غير شرع الله، وجعل أحكام الشريعة وراءه ظهريًّا أن ذلك من الكفر، والعلماء ينصون على ذلك، وينصون على تضليل من يجعل هذا من باب الكفر الأصغر؛ ككلام الشيخ أحمد شاكر، والشيخ محمود شاكر - رحمهما الله تعالى -، وأن من فعل ذلك فهو من أهل الضلالة، فيقول: إنما يقصدون العلمانيين لا يقصدون الحكام. عجبا والله! إذا فعل الحاكم شيئًا، يقول: قصد هؤلاء العلماء ليس الحكام، إذا فعل الناس مثلاً القانونيين شيئًا، كان كفرًا، وأما إذا فعله الحكام كان معصية، هل القضية فيما هي منزلة فلان هذا أو درجته، إذا كان هو الحاكم والرئيس فلابد أن يكون ذلك مقبولاً؟!

فيكون - كما في بعض البلاد - الأمر ربا والفتوى بأنه محرم، والفتوى بأنه ميسر، وأنه لا يجوز، فإذا فعله الملك أو قرره الملك أو ولي الأمر، فيقولون: هذا قرار ولي الأمر.

لابد أن يكون الحكم واحدًا، ليس الأمر لأن من فعله من الناس كان محجوجًا أو كان عليه العقوبة، ومن فعله من الحكام كان مبرأ أو كان واجب

الاتباع أيضًا؛ «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ**»(١)، نسأل الله العافية، فكيف بهذا الأمر العظيم؟! قضية عظيمة الخطر والله، لابد أن ننتبه لها.

بيّن الله ﷻ المنافاة بين ادعاء الإيمان وبين إرادة التحاكم إلى الطاغوت - كما بينا في المرة السابقة - في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾، وهذا الطاغوت يشمل نوعين من الحكام: يشمل من بدل شرع الله ﷻ، وإن نسب ذلك إلى الدين؛ كالأحبار والرهبان الذين نسبوا أنفسهم إلى دين موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبدلوا الدين ونسبوا تبديلهم ذلك إلى دين الله ﷻ، ورغم أن الناس يظنون أن هذا هو الدين الذي يلزمهم اتباعه، فذلك لم يغن عنهم من الله شيئًا، فمن رؤوس الطواغيت -كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رؤوس الطواغيت الخمسة (٢)- أن الحاكم المبدل لشرع الله ﷻ، بمعنى: الذي ينتسب إلى الشريعة، ولكنه يبدل هذه الشريعة ويغيرها، يأتي بأحكام أخرى وينسب ذلك إلى الدين، وهو يعلم أنه قد خالف في ذلك، ومن تحاكم إليه عالمًا بما فعله، مقرًا صحة الدين الذي اخترعه وابتدعه بدلاً من دين الله ﷻ، فقد عبده من دون الله، ولم يكفر بالطاغوت كما أمر الله ﷻ أن يُكفر به، وهذا منطبقًا تمام الانطباق على حال اليهود والنصارى مع أحبارهم ورهبانهم، وذلك أنهم غيروا دين الله ﷻ، وجعلوا تشريعات من عند أنفسهم، حرموا فيها

(١) أخرجه البخاري: (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٦١).

الحلال، وأحلوا فيها الحرام، والناس يعلمون ذلك ويقرونهم على هذا الادعاء وهذا الحق، فالكل مثلاً يعلم أن النصارى غيّروا تحريم الخنزير وإباحة الطلاق، وأن ذلك إنما قرروه في مجامع وليس بوحي جديد، هم لا ينسبون ما فعلوه إلى وحي، ولكن حين قرر كبراؤهم ذلك صار شريعة؛ لأنهم يرون أن للأحبار والرهبان أن يحرموا ويحللوا ويكون ذلك هو الدين، فذلك - والعياذ بالله - من الكفر، ومن فعله فقد عبدهم من دون الله كما بين النبي ﷺ؛ ولذلك كان كعب بن الأشرف ممن شملهم قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾.

والنوع الثاني من رؤوس الطواغيت في هذا المقام: هو من يأتي بشرع من عند نفسه، يحكم بغير ما أنزل الله، لا ينسبه إلى الدين، الحاكم بغير ما أنزل الله دون أن ينسب ذلك إلى الدين، فهو أيضًا طاغوت، وهو أشد من الذي قبله، فإن الذي قبله يدعي أن الله قد جعل له هذا الحق، حق التبديل والتغيير، كذبًا وزورًا، وهو افتراء كذب على الله ﷻ وتكذيب بالحق الذي أنزله من نحو قوله ﷻ: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾، فإذا كان الرسول ﷺ وكل الرسل كذلك لا يبدلون من تلقاء أنفسهم شيئًا مما أوحاه الله إليهم، فكيف يكون ذلك للأحبار والرهبان؟! شر منه من يقول: بل هذه الشريعة جملة، بل ما جاء به الأنبياء وما أنزل الله من الكتاب ليس بشيء، لا دخل لنا به، لا نلتزم به، لا يصح أن نبني أحكامنا عليه. فهذا مستكبر ومتعال على شرع الله ﷻ، آبٍ له، كفره من جنس كفر إبليس، والعياذ بالله، الذي يترك الشريعة وراءه ظهريًّا، ويطعن فيها، ويجعلها بعيدة عن مناط التحكيم، يرى أنه لا ينبغي للناس في زمنه أو في أزمنة مضت أو في

المستقبل أن يبنوا أحكامهم على الوحي، وأن يبنوا تشريعاتهم على ما أوحى الله إلى الرسل، ويرى ذلك الذي يراه هو مقدمًا على ذلك، فهذا - والعياذ بالله - شر ممن ينسب ما يفعله إلى الدين أو إلى إذن الشرع؛ ولذلك لا يشترط في وصف هذا الإنسان بأنه طاغوت بأن ينسب ما يفعله إلى الدين، بل هذا أيضًا مما تشمله هذه الآية وغيرها من الآيات: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾، وعامة الأمم التي لا تتدين بشريعة سماوية يجعلون أمورهم إلى كبراء ورؤساء فيهم، يخترعون أحكامًا من عند أنفسهم ويجعلونها شريعة ملزمة للناس، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من السياسات والآراء التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، بيّن الله ﷻ أن بدعة النسيء، التي ابتدعها العرب في الجاهلية، تأخير تحريم الأشهر الحرم عن موعدها إلى أشهر أخر بوضع زعمائهم وكبرائهم، مع علمهم بأن الله ﷻ حرم الأشهر الحرم المعروفة: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر، ومع ذلك فكانوا يؤخرون إذا أخر كبراؤهم، مثل: عمرو بن لحي وغيره ممن كان يُنسأ، يؤخر تحريم الشهر الحرام، ويجعلون ذلك هو ديدنهم والتزامهم، وكما ذكرنا في أن قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾، أن هؤلاء الطواغيت كهان من جهينة، فكان الكهان أيضًا من ضمن هؤلاء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويتركون ما شرع الله ﷻ، وإن كانوا لا ينسبون ذلك إلى الدين، بل يرون أنفسهم أحرارًا في ذلك، يأخذون ما يريدون ويتركون ما لا يشتهون،

ولا يلتزمون بأمر أنزل الله ﷻ في شريعته، وهذا نوع موجود، مثل: الوضعيين المعاصرين، إن كان الأحبار والرهبان يبدلون وينسبون تبديلهم إلى الدين، فإن هؤلاء الوضعيين الذين وضعوا قوانين من عند أنفسهم ما نسبوها إلى الدين، بل صاروا ينظرون إلى تشريعات الإسلام على أنها تخلف ورجعية وتضييع لحقوق الإنسان، ونحو ذلك من الخرافات والضلالات التي ابتدعوها، فكفروا - والعياذ بالله - وضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، فهذا كله من الطاغوت.

أما من حكم بحكم يخالف الشريعة متأولاً مجتهدًا في ذلك، فيُنظر، فإن كان حكم به بغير علم وقصر فيما يلزمه من البحث والاجتهاد إن كان مجتهدًا، والسؤال إن كان غير مجتهد، وإن كان لا يجوز للإنسان أن يحكم وهو على غير علم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**القُضاةُ ثلاثةٌ: قاضِيانِ فِي النّارِ، وقاضٍ فِي الجنّةِ، رجُلٌ قضى بِغيْرِ الحقِّ فعلِم ذاك فذاك فِي النّارِ، وقاضٍ لا يعْلمُ فأهْلك حُقُوق النّاسِ فهُو فِي النّارِ، وقاضٍ قضى بِالحقِّ فذلِك فِي الجنّةِ**»(١).

فنقول: إذا قصر الإنسان في الاجتهاد أو في السؤال إذا كان لا يعلم فقال قولاً يخالف ما أنزله الله ﷻ بتأويل، فإن ذلك لا يدخل في وصف الطاغوت، وإن كان مقصرًا في حال، وغير مقصر إذا بذل كل ما عنده، إذا بذل كل وسعه فأخطأ، فقد قال النبي ﷺ: «**إِذا حكم الحاكِمُ فاجْتهد ثُمّ أصاب فلهُ أجْرانِ، وإِذا حكم فاجْتهد ثُمّ أخْطأ فلهُ أجْرٌ**»(٢)، فجعله مأجورًا

(١) سبق تخريجه (١/ ٨٥).
(٢) سبق تخريجه (١/ ٨٤).

مع أنه خالف ما أنزله الله ﷻ، فهذا نوع وإن كان في حقيقة الأمر مخالفًا لشرع الله، إلا أنه لما يقصد المخالفة ولم يقصد الخروج عن الشرع، لم يوصف بكونه طاغوتًا؛ ولذلك كان من يحكم بغير ما أنزل الله وإن دخل في مسمى الطاغوت، إلا أنه لابد أن يعرف أنه يشتمل على أقسام، فكما ذكرنا من اجتهد ولم يقصر فإنه لا يدخل في هذا الوصف أصلاً؛ وأما من قصر أو علم وخالف وإن كان لا يلزم الناس بخلاف شرع الله ﷻ، ولا يستحل مخالفة الشرع، ويعرف أنه قد أتى معصية حين خالف شرع الله ﷻ، هذا فيه نوع من الطغيان، وقد يوصف بأنه طاغوت كذلك، لكن لا يلزم من ذلك خروجه من الملة، نعلم بذلك أن هذا النوع الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، قال: «**كُفْرٌ دُون كُفْرٌ، قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، كفر لا ينقل عن الملة**»[1]، ومثل ذلك عن طاوس وأبي مجلز وغيرهم من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف، وهذه الآثار عنهم رضي الله عنهم تدل على أن هذا النوع من الحكم الذي كان قد وقع من بعض الأمراء بعد عهد الخلافة الراشدة والملك العادل أو حتى في أثناء الملك العادل، لكن قد يكون وقع من بعض الأمراء ما يخالف شرع الله ﷻ، فقد كان الخوارج هم الذين يكفرون بمثل ذلك؛ ولذلك أنكر عليهم السلف رضي الله عنهم وذكروا أنهم إن فعلوا - أي الأمراء - إن فعلوا ما فعلوا فهم يعلمون أنهم قد عصوا، فهذا الكفر دون كفر، وليس فيه استحلال ولا إيجاب ولا رد لشرعه ﷻ، يقر على نفسه بالمعصية والخطأ من أجل هوى أو رشوة في حكم أو في أحكام ولو كثرت، ولكن كلما كثرت

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٤).

كلما اقترب من الكفر الأكبر؛ لأن الكفر الأصغر ذريعة إلى الأكبر ويقرب منه ويدني إليه، وربما غلب عليه فألقاه في الكفر الأكبر، والعياذ بالله؛ لأن الذي تعود على مخالفة الشرع ربما تجرأ على رده، والتكبر عليه وإبائه أو أمر الناس بطاعته في مخالفة الشرع وألزمهم بذلك، وربما يصل إلى الكفر من هذا الباب، نعوذ بالله من ذلك، الغرض المقصود أن هذا النوع من الحكم بغير ما أنزل الله، وهو نوع ثابت قد أثبته السلف رضي الله عنهم، داخل في عموم الآية، وإن كان يختلف درجة الحكم فيه، فهو طاغوت ولكن ليس بالذي كفر صاحبه كفرًا ينقل عن الملة، ولكن لابد وأن يكون أصل التزامه بالشريعة، وأصل التزامه بأحكام الله سبحانه وتعالى، ونضرب على ذلك مثالاً في قاض أو حاكم يحكم في مسألة ما، يكون له هوى إلى أحد الطرفين، فيبطل مثلاً شهادة الشهود العدول ويزعم أنهم غير عدول، أو يوجه اليمين إلى غير من توجهت عليه اليمين، أو يدعي غير الحقيقة فيما حكم، يقبل شهود الزور وهو يعلم أنهم شهود زور، لا شك أن هذا حكم بغير ما أنزل الله، ومع ذلك فهذا الذي فعله يعلم أنها معصية، إن استحلها كفر، وإن لم يستحلها فإنه لم يخرج من الملة، وقد كفر كفرًا دون كفر، وفعل كبيرة من الكبائر، لها حكم الكبائر، وربما كانت أشد من الكبائر الأخرى، وأما من يأبى الشريعة، من يجحدها من أصلها، ويقول: لم يحرم الله هذه المحرمات، ولم يوجب هذه الواجبات، وليس من الدين أن يلزم الناس بتشريعات معينة، وهذا حاصل في بعض العلمانيين الذين يحاولون الجمع بين انتسابهم الكاذب ونفاقهم في انتسابهم إلى الإسلام، وبين ما يريدون من مخالفة أحكامه، فيقولون: إن الدين لا يشمل السياسة ولا الاقتصاد، ولا غير ذلك. وصرحوا ويصرحون

بأنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وأن الشرع إنما هو علاقة شخصية بين الإنسان وبين ربه، والدين ليس له علاقة بحياة الناس ونظم حياتهم وسياستهم واقتصادهم وتشريعاتهم، وهذا - والعياذ بالله - من جحود الشريعة، ونوع آخر هو الذي يقر بالشرع، ولكنه يحتقره ويجعله غير مناسب، منهم من يجعله - والعياذ بالله - دون ما اخترعه الناس من الأحكام مطلقًا، ومنهم من يجعله دون ما اخترعه الناس من الأحكام بالنسبة إلى زمانه، يقول: كان هذا مناسبًا في أزمنة العصور الوسطى، وأما في القرن الحادي والعشرين أو القرن العشرين أو غير ذلك، فهذه أحكام غير مناسبة. ومنهم من يقول: بل كانت في الماضي والحاضر ظلمًا للبشر ومنافاة للإنسانية ونحو ذلك، فهذا كفر أيضًا لا نزاع فيه، ومن يسوي بين حكم الله سبحانه وتعالى وحكم الناس، هو أيضًا ممن يكفر بالله عز وجل، وينطبق عليه ما ذكر الله عن أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وكذلك الذي يجوِّز مخالفة الشريعة، وأعظم منه من يوجب مخالفة الشريعة، ويحرمها ويجرمها، يحرم شرع الله ويجرم من يلتزم به، فهذا لا شك أنه في الكفر الناقل، سواء كان هذا مكتوبًا، أو معروفًا أمرًا عرفيًّا، كما في بعض القبائل من البدو أنهم يخيرون المتحاكم أحيانًا وأحيانًا لا يقبلون، يقولون: تقبلون شرعة الله، أم شرعة أولاد علي؟! يقول بعضهم مثلاً: إن شرع الله يوقعنا في الوحل، يجعل لنا مشاكل لا تنتهي، وشرع الله لا يحل المشاكل، ولو طبقنا الشرع لما حصلت لنا المصالح، والعياذ بالله. وكثير من الناس يكفر بمثل هذه الكلمات، وإن لم يكن قانونًا مكتوبًا، وإن كان بعضهم في العصر الحديث لما شاعت الكتابة صار يجمع شرعة قبيلته

وقومه ويدونها؛ حتى يلتزم بها رؤوس الطواغيت، الذين يجلسون في مجالس عرفية يحكمون بغير ما أنزل الله، ويطبقون هذه القوانين العرفية التي وضعوها ووضعها آباؤهم وأجدادهم، ويأكلون أموال الناس بالباطل، والعياذ بالله، وهم يعلمون مخالفتها للشرع، ومثل هذا - والعياذ بالله - من هذا النوع من الطواغيت الذين حكموا بغير ما أنزل الله على جهة الإلزام بخلاف الشريعة، وهذا كله من الكفر الأكبر؛ لذلك نقول: إن الطاغوت الذي وصل إلى أشد درجات الطغيان هو من حكم بخلاف شرع الله ﷻ على أحد هذه الوجوه من الجحود، أو التحقير لشرع الله ﷻ والتفضيل لغيره عليه، أو المساواة أو التجويز، وأشدها الإلزام، سواء كان مكتوبًا أو معروفًا عرفيًّا، فكل هذا طغيان أكبر وصاحبه طاغوتًا قد كفر بالله ﷻ؛ وأما من حكم بغير ما أنزل الله مع علمه بالمخالفة، ولم يكن من هذه الأنواع، وإنما خالف ما أنزله الله سبحانه، وهو يعلم أنه عاص لأجل هوى أو رشوة دون تأصيل وإلزام في التشريع العام لمخالفة الشريعة، فإن ذلك ينطبق عليه ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**كُفْرٌ دُون كُفْرٌ**»[1]، ولم يكن في زمن ابن عباس ولا في زمن طاووس ولا في زمن أبي مجلز، ولا في زمن الصحابة رضي الله عنهم قط من ألزم الناس بتشريع يخالف شرع الله سبحانه وتعالى؛ كنحو مساواة الذكر بالأنثى في الميراث، وكنحو تحريم الطلاق إلا إذا أمر القاضي به، وكنحو تحريم تعدد الزوجات وتجريم ذلك، وكنحو إلغاء تجريم الزنا، واستباحة هذه المحرمات، والحقيقة أن القوانين الوضعية سواء كانت مكتوبة، أو عرفية، أو غير ذلك، هي في حقيقة الأمر تنص على أمر الاستجازة والإيجاب

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٤).

والتحريم والتجريم، هم لا يستحيون من ذلك، ويسمون ما عندهم فقهًا وفتوى وغير ذلك من الألفاظ المستعملة في الشرع، فيقولون: الفقه القانوني والفقه الدستوري، والفتوى المتعلقة بالقوانين ونحو ذلك. وهذا يدلك على أنهم فعلاً تركوا شرع الله ﷻ ورائهم ظهريًّا، وليس أنهم ممن يدين بالشرع ويخالفه لهوى يأتيه أو لرشوة أو لقرابة أو لكرسي يحافظ عليه، نسأل الله العافية.

فهذا من جهة أنواع الطواغيت المشمولة في هذه المسألة، قد يكون طاغوتًا وصل إلى الكفر، وقد يكون طاغية من الطغاة الذين ما زالوا في دائرة الإسلام، كالحجاج مثلاً كان طاغية ولم يكن خارجًا من الملة عند الجمهور، مع أن طائفة من التابعين ومن بعدهم حكموا على الحجاج بالكفر من أجل تبديل الشرع، وإن كان نوع التبديل هذا في حقيقة الأمر لم يكن كالذي عرف في أزمنة الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين، ولم يقع مثل هذا في التاريخ إلا في عهد احتلال التتار لبلاد الإسلام، ولم يكن فيه منازعة ولا احتمال إلا بعد ما دخل التتار في الإسلام، أعني: أن التتار كانوا يتبعون الياسق الذي وضعه لهم جنكيز خان، وكانوا على الكفر كما كان ملكهم جنكيز خان وهولاكو ومن بعده، ثم بعد أن هزمهم المسلمون في عين جالوت دخلوا في الإسلام بعد ذلك وأظهروا التزامهم بهذا الدين، إلا أنهم بقوا يقاتلون على ملك جنكيز خان ويحكِّمون الياسق في الناس والبلاد التي تحت سلطانهم، فكانت فتاوى أهل العلم كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يقول: (**فمنْ ترك الشّرْع الْمُحْكم الْمُنزّل على مُحمّدِ بْنِ عبد اللّهِ خاتمِ الْأنْبياءِ، وتحاكم إِلى غيْرِهِ مِن الشّرائِعِ الْمنْسُوخةِ**

كفر، فكيْف بِمنْ تحاكم إلى الياسا وقدّمها عليْهِ؟ منْ فعل ذلِك كفر بِإِجْماعِ الْمُسْلِمِين)[١]، نقل الإجماع الواضح وهو لا نزاع فيه، وهو الذي نقل رَحِمَهُ اللَّهُ كلام ابن عباس في كفر دون كفر، ونقل كلام طاووس ونقل كلام أهل العلم، نعم لأن هذا أمر لم يقع قط لا في عهد الأمويين ولا العباسيين ولا غيرهم ممن يدين بهذا الدين، بدين الإسلام، أن يأتي أحد إلى شرع الله عَزَّ وَجَلَّ فيبدله تبديلاً عامًّا ويترك ما أنزل الله على رسوله ﷺ ويخترع من عند نفسه، فضلاً أن يكون متبعًا لأهل الكفر، والعياذ بالله، يتبع تشريعًا من وضع أهل الكفر، يلزم به المسلمين، نسأل الله العافية.

الخلاصة: أن اسم الطاغوت ينطبق على من ثبت فيه النوع الأكبر، وينطبق على من ثبت فيه النوع الأصغر، الكفر الأصغر، ولكن دون أن يحكم عليه بعينه بالكفر، كما قد ذكرنا أن من رؤوس الطواغيت الساحر والكاهن، وذكرنا الخلاف في كفر الساحر حسب نوع السحر الذي يفعله، وكذا الكاهن حسب نوع الكهانة التي يدعيها، فهناك كهان يدعون معرفة مكان الضالة والشيء المسروق، ولا يخرجون من الملة، وهم طواغيت طغوا وجاوزوا الحد، ولكن لم يخرجوا من الملة، وكلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة الكفر بالطاغوت أنك تكفر أهلها، هذا في النوع الذي هو كفر ناقل عن الملة، وهذا من جهة النوع في الجملة؛ وأما من جهة التعيين، أعني: فلان بن فلان الشخص المعين الذي يلزم تكفيره واعتقاد كفره، إنما هو بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وكما ذكرنا قد يكون

---

(١) سبق عزوه (٢/ ٣٠٦).

الإنسان حكم بخلاف شرع الله مجتهدًا مخطئًا، والخطأ من موانع التكفير، وقد يكون من موانع التفسيق ومن موانع التبديع، ومن موانع الحكم عليه بأنه عاص أصلاً حسب درجة اجتهاده، قد يكون مأجورًا، وهو قد حكم بخلاف الشرع، لكن كان مجتهدًا مخطئًا كما بين النبي ﷺ؛ لذلك نقول: ليس كل من وصف فعله بالكفر أو الفسق أو البدعة يكون كافرًا أو فاسقًا أو مبتدعًا، حتى تستوفى الشروط وتنتفي الموانع، فإذا استوفيت الشروط وانتفت الموانع، وهذا إنما يكون لأهل العلم أو القضاء الشرعي، فعند ذلك يحكم على شخص بعينه بالكفر، لا نعني بذلك أن هذا الأمر لا يقع في الوجود، كما يظن البعض أن أمر تكفير المعين أمر لا يمكن أن يتم أبدًا، ولكن نقول: ليس هذا مفتوحًا لكل أحد ولا فائدة منه في الأغلب إلا لمن خالطه أو تعامل معه، أعني: أن الحكم على شخص معين بالكفر إنما يحتاجه من يرثه أو يتوارث معه، أو يحكم بصحة نكاحه أو بطلان ذلك، أو الأحكام المتعلقة بحل المال ونحو هذا، في واقعنا هذا قد يقع للمخالطين لمن ارتكب هذه الأنواع، ويحتاج بالتأكيد إلى معرفة استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وهذه ليست في هذه المسألة فقط، بل في كثير من المسائل التي يقع فيها الحكم بالكفر، ويحتاج إلى ثبوت الردة على شخص بعينه، فإن امرأته قد تسأل هل نكاحها معه صحيح، أم لا؟ وورثته يسألون وقد يكون وليًّا شرعيًّا على بناته: هل تصح الولاية ويصح العقد، أم لا؟ هؤلاء يحتاجون بالتأكيد إلى معرفة التعيين، وهذا أمر - كما ذكرنا - مردود إلى أهل العلم، ومعلوم أن القضاء الشرعي في الأغلب الأعم من بلاد المسلمين غير موجود، فكيف الكلام لأهل العلم، وعند وجود القضاء الشرعي لابد أن ينظر في استيفاء الشروط

وانتفاء الموانع بعد المناظرة وبعد إقامة الحجة، ومعلوم أن هناك موانع للتكفير كثيرة قبل ثبوت الردة للشخص المعين، لا يزال - إذا كان مسلمًا قبل ذلك - حكم الإسلام يُعامل به، حتى يثبت عكسه، والله أعلى وأعلم.

فهذا في هذه المسألة المهمة، يبقى مسألة وهو أن الناس في زماننا يحتاجون بالتأكيد إلى أنواع من اللجوء إلى القضاء، وهو قضاء يحكم في مجمله بما يخالف الشريعة في مسائل كثيرة، سواء كانت قلة، أم كثرة، فالعبرة في أن هذا النوع من القضاء ليس بالقلة ولا بالكثرة؛ لأن البعض يقول: إنما يحكم بالكفر على من خالف الشريعة مطلقًا، بمعنى خالفها خلافًا تامًا؛ أما لو خالفها في بعض المسائل ووافقها في بعض المسائل، فلا يكفر، وهذا كلام باطل، فاليهود الذين أنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾، إنما خالفوا في أمر واحد وهو حكم الرجم في الزنا، جعلوا بدلا منه الجلد والتحميم، فكان كفرًا، والعياذ بالله، طالما جعلوه شريعة ملزمة، نعوذ بالله من حالهم؛ لذلك نقول: لو أن رجلاً في مسألة واحدة من مسائل الشريعة استحل مخالفة الشرع أو جحدها، وهي معلومة من الدين بالضرورة، أو أتى بشريعة بدلها يلزم الناس بها، فهذا كفر ناقل عن الملة، نقول مثالاً على ذلك: من قال كما هو مُطالب مثلاً بصحة الزواج بين الرجلين في إثبات جواز المعاشرة بين رجل ورجل، والعياذ بالله، هذا حكم واحد فقط، من فعل قوم لوط، وهو مشروع عند الغرب، وعند من ينادي بمشابهتهم في ذلك أو إلغاء تجريم الزنا، كما هو واقع في بعض البلاد المسلمة أو المسماة بالإسلامية، التي تريد مصالح من الدخول

في كيانات غربية، يشترطون عليهم إلغاء تجريم الزنا، الموافقة على هذا القانون الواحد، لو كان واحدًا فقط يعني، فهم ينصون على أن الزنا ليس بجريمة طالما بتراضي الأطراف، والعياذ بالله، وليس بجريمة حتى ولو كانت متزوجة، وهذه البقايا التي كانت موجودة من أجل أمر الزواج، يرون أن بضع المرأة، فرج المرأة، حق شخصي لها، لا حق للزوج ولا لغيره، النظرة الأولى للقوانين الغربية كانت ترى أن الزنا إنما هو اعتداء على حق الرجل المتزوج، وبالتالي يعاقبون المرأة الزانية التي هي في تعريفهم المتزوجة التي زنت، وهذا حق للزوج مطلقًا، بمعنى: أنه هو الذي يملك وحده إقامة الدعوى، وهو الذي يملك إيقاف العقوبة، وإذا ثبت رضاه بما فعلت بمعاشرتها، ولو مرة واحدة بعد علمه، سقط حقه في ذلك، وكذلك يسقط حقه إذا زنا هو أيضًا في منزل الزوجية، فهذه نظرتهم، ثم تطورت نظرة الغربيين إلى أمر الزنا حتى جعلوا أمر فرج المرأة حقًّا شخصيًّا لها، لا دخل لأحد لا المجتمع ولا الزوج ولا أي إنسان، بما في ذلك مثلاً أنهم يعدون من ضمن المغتصبين الزوج إذا عاشر زوجته بغير رضاها، فهذا عندهم جريمة اغتصاب، ينفذ فيها القانون الخاص بالاغتصاب.

نقول: لو هذه مسألة واحدة، ومثلها مسألة تحريم تعدد الزوجات مطلقًا لا بتأويل، لا يقولون: لأن ذلك عندنا عرفيًّا نوع من الضرر؛ لأن النساء عندنا لا يرضين بذلك، وكأنهن اشترطن في أصل العقد فلهذا نمنع ذلك، بل يقولون: لا، تعدد الزوجات ممنوع ابتداءً، مطلقًا، مع علمهم بالآية؛ فهذا - ولو في مسألة واحدة - كفر ناقل عن الملة؛ فلذلك العبرة ليست بالقلة ولا بالكثرة، بل في نوع المسألة.

نقول: ماذا يصنع من يضطر إلى المطالبة بحقه أمام هذه المحاكم الوضعية التي فيها من هذا النوع، نقول: لابد أولاً من معرفة ما يوافق الشرع وما يخالفه من هذه الأمور التي يحكمون بها، حتى إذا وقف الإنسان أمام هذه المحاكم مضطرًا مكرهًا؛ لنيل حق له لا يستطيع أن يصل إليه إلا بذلك، فإنه لا يطالِب إلا بما يوافق الشرع، حتى وإن قال: إن بعض المواد القانونية عندهم توافق الشرع في كذا وكذا. فلابد أن يطالِب بما يوافق الشرع، لا يطالب بما يخالفه، وهذا بلا شك من أهم الأمور التي تكون مخرجًا لكثير من المسلمين الذين يوقفون ويضطرون لأخذ حقهم من خلال هذه المحاكم ومن خلال هذه القوانين، والمسلمون في عامة بلادهم لا يستطيعون التخلص من ذلك، فهناك أنواع من المقاضاة حتى وأنت تسير في الطريق، لو وقعت في مخالفة مرورية، فهناك قانون يحكمك، وسوف تقف أمام المرور لدفع الغرامة أو نحو ذلك، وهناك أحكام بالطلاق وأحكام بالزواج، وثبوت أحكام بالإرث.

وكل ذلك لابد وأن يكون مثبتًا في هذه المحاكم.

نقول: ما وافق الشرع من ذلك، وإن كان تولي هذه الأمور مخالفا للشرع، أعني: ضمن مخالفات أخرى للشرع لا يجوز؛ لأن الإنسان لا يجوز أن يتولى أمرًا فيه موافقة ومخالفة لشرع الله إلا أن يتمكن من ترك المخالفة، من يعمل في هذه الوظائف، سواء كان قاضيًا، أو محاميًّا، أو وكيلًا للدّيّانة كما يقولون، إن استطاع أن يأخذ ما يوافق الشرع ويترك ما يخالف الشرع، فهذا الذي يمكن أن يعمل ويطالب ويقضي في مثل هذا الموطن، وإن كان بعض المشايخ العلماء الأفاضل

المعاصرين قد نصوا على بطلان القضاء بمقتضى هذه القوانين، ولو وافق الشريعة، فإنما يوافق الشريعة اتفاقًا لا قصدًا، وإن كان هذا الأمر في الحقيقة بعد النصوص التي تنص في كثير من البلاد على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع أن ذلك الكلام قد يكون فيه نظر.

نقول: ما وافق الشرع فهو حق، وما خالف الشرع فهو باطل، ومن طالب بالحق لا يكون متحاكمًا إلى الطاغوت، ومن طلب من أي إنسان مسلمًا كان أو كافرًا أن يحكم بما وافق شرع الله ﷻ، فهو لم يتحاكم إلى الطاغوت؛ ولذلك نقول: من طالب بإثبات حق شرعي مثل الميراث مثلاً، الذين يموت لهم ميت، فيقدمون طلبًا إلى المحكمة الوضعية التي تحكم بين الناس في بعض المسائل الأخرى وفي نفس المكان وفي نفس المشاكل بخلاف الشرع، لكنه طالبهم بما يوافق الشرع من إثبات الميراث بين فلان الميت وبين ورثته، وأن يقسم على وفق الشريعة، فمثل هذا أمر هو من الحق، لا يمكن أن يوصف من طالب به أنه متحاكم إلى الطاغوت، وإن كان الشخص الذي يقضي به هو في حد نفسه يحكم بغير ما أنزل الله في مسائل أخر، لكن في مثل هذا الموطن مطالبته بالحق أمر مشروع، وامرأة مثلاً يضارها ولا ينفق عليها ويضربها ويؤذيها، ومن حقها شرعًا في شرع الله أن تطلق، فإذا وقفت أمام القضاء وأثبتت الضرر الذي حصل لها، وطلبت الطلاق وحكم لها بالطلاق الموافق للشرع، فهذا حكم موافق لشرع الله لابد من العمل به، ومن يبطل هذه المحاكم بالكلية كالشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، فلابد أن يُرد الناس إلى أمر يتعاملون به في مثل هذا المقام، فنقول: من يُبطل ذلك ويمنعه بالكلية يرد الأمر إلى أهل العلم، وأهل العلم سوف يوافقون

وسوف يقبلون ما وافق الشرع من هذه الأحكام، فعاد الأمر إلى مسألة ما يوافق الشرع وما يخالفه، فما وافق الشرع لزم الحكم به ولزم اعتبار الحكم به؛ أما إذا خالف الشرع فلا اعتبار به كائنًا من كان، لا يجوز للقاضي أن يقضي به، ولا يجوز لممثل النيابة أن يطالب به، ولا يجوز للمحامي عن موكله أن يطالِب بأمر يخالف الشرع، مهما كان يعطيه من أمور دنيوية ومصالح أرضية، إنما هو يعلم أولاً ما يوافق الشرع وما يخالفه، ويطلب ما يوافق الشرع ولا يطالب بغيره، ولو كان القانون يتيح له مخالفة الشرع، فلا يجوز على سبيل المثال في قضية خصومة مالية أن يطالب أحد الأطراف بإلزام الطرف الآخر بالفوائد الربوية، وإن كان القانون يلزم بها، فالمحامي الذي يحكم بذلك ووكيل النيابة الذي يطالب بذلك والقاضي الذي يحكم بهذه الفوائد الربوية، كل هؤلاء داخلون في مسمى الظلم، والعياذ بالله.

لذلك نقول: هذا خطر عظيم، وإن كان مسألة التكفير للمعين، كما ذكرنا قد تكلمنا عن مسألة استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، فقد يكون البعض متأولاً، يقول: أنا سأطلب ذلك ولن آخذه، أو سأطلب ذلك لأن فلانًا قد أغاظني، أو لأن فلانًا قد ماطلني أو غير ذلك، أيا ما كان، إذا كان هناك نوع من التأويل امتنع التكفير، ولكن قد يقع كثير من الناس في الكفر، وإن لم نحكم نحن بكفره، فما ينفعه عذرنا له، وهو عند الله من الكافرين، أعني: أننا قد نتوقف عن تكفير شخص بعينه، ونقول: نحن لم نعلم باستيفاء الشروط ولا انتفاء الموانع، ومع ذلك فهو عند الله ﷻ قد يكون غير معذور؛ لأن الحجة قد قامت عليه، أو لأن التأويل الذي تأوله غير معتبر، أو لأنه غير مكره، أو لأنه فعلاً قد استوفيت الشروط بأي طريقة كانت، ونحن لا نعلم،

فهل ينفعه عند الله أننا قد عذرناه، وهو عند الله غير معذور؟! وهذا كالمنافق الذي نحن نحكم بإسلامه، ومع ذلك فهو عند الله في الدرك الأسفل من النار؛ لذلك نقول: هذا خطر عظيم لابد أن ينتبه له من يتعامل في هذه المسألة، ونسأل الله العافية.

❀ ❀ ❀

الْمسْألةُ الثّامِنةُ والْعِشْرون بَعْدَ الْمِائةِ: وَكَرَاهَةُ التّزْوِيجِ بِيْنَ الْعِيديْنِ.

الـشـــرح:

في عامة النسخ: (**الْعِيديْنِ**)، أي: بين عيد الفطر وعيد الأضحى. وكثير من الناس يكره التزوج في شوال، وإلى يومنا هذا هناك من يكره التزوج في شوال، مع أن الرسول ﷺ قد تزوج عائشة رضي الله عنها في شوال وبنى بها في شوال؛ ولذلك كانت تستحب عائشة رضي الله عنها ذلك، وعلى أي الأحول فهو نوع عندهم من التشاؤم، كانوا يتشاءمون بالزواج بين العيدين، وبقيت رواسب جاهلية من أهل الجاهلية إلى الأزمنة المتأخرة، وإلى يومنا هذا هناك من يكره مثل ذلك من باب التشاؤم وأنهم يكرهون ذلك؛ حتى لا يقع فراق أو اختلاف بين الزوجين، وهو كله من مسائل الجاهلية التي يجب هجرانها وتركها، ولا يجوز أن يتشاءم الناس بأمر باختراعهم وابتداعهم، ولا طيرة أساسًا في شرع الله عز وجل؛ كما قال النبي ﷺ: «**الطِّيرةُ شِرْكٌ، الطِّيرةُ شِرْكٌ، ثلاثًا، وما مِنّا إلّا، ولكِنّ اللّه يُذْهِبُهُ بِالتّوكُّلِ**»[1]، فلا يصح أن يُبنى عمل على ذلك، في بعض النسخ: «**كراهةُ التّزْوِيجِ بيْن الْعبْديْنِ**» وفسره بعضهم: بأنه يمنع التزويج بين العبيد لكي تبقى الأمة بلا زوج؛ لتستعمل في البغاء، وهذا من حال أهل الجاهلية؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾،

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٥٦).

قد كان في الجاهلية هذا النوع، أعني: البغاء بالإماء وأن يتكسب البعض من كسب فروج إمائه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن مهر البغي[١]، حرم مهر البغي، وجعل هذا كسبًا محرمًا لا يجوز، وبقي مثل هذا في عصور بعد ذلك ككبيرة من الكبائر ومسألة من مسائل الجاهلية المنكرة، لكن أكثر النسخ - كما ذكرنا - على الضبط الأول: «**كراهةُ التّزْوِيجِ بيْن الْعِيديْنِ**»؛ أما بعد العبدين. . . فطبعًا سيكون بين العبد والأمة؛ لذلك الصحيح أنها بين العيدين.

انتهت مسائل الجاهلية التي ذكرها شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

تم بحمد الله

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٨)، واللفظ للبخاري «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ**».

فهرس المصادر والمراجع

* الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

* الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١-١٩٩١.

* الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

* الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

* الآداب الشرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

* الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

* إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، الناشر: الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ .

* أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

* الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩ .

* الاستقامة، شيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم. مكتبة السنة، القاهرة ط٢، ١٤٠٩هـ.

* الاستيعاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.

* الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢ .

* الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

* أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، المؤلف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

* إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

* الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية، مصر.

* الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

* اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ.

* إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

* اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.

* الأم، للشافعي، دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

* أمراض القلب وشفاؤها، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

* الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، المؤلف: إبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

* الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

* الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

* البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

* البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

* البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م.

* البدع، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (المتوفى: ٢٨٦هـ). دار النشر: مكتبة ابن تيمية.

* بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

* تاج العروس من جواهر القاموس، محبّ الدِّين أبو الفيض محمد بن مرتضي الزبيدي، دار الفكر، طبعة ١٤١٤هـ.

* تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

* تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

* التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

* تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

* تاريخ واسط، اسم المؤلف: أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، دار النشر: عالم الكتب بيروت ١٤٠٦، الطبعة الأولى، تحقيق: كوركيس عواد.

* تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٣٩٣هـ.

* تأويل مشكل القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

* التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ .

* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة.

* ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

* الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

* التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

* التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

* تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

* تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

* تفسير البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

* تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

* تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

* تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

* تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

* تقريب التدمرية لابن عثيمين رحمه الله، دار ابن الجوزي الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

* تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧

* التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

* التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

* التنبيه والإشراف، للمسعودي، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر: دار الصاوي - القاهرة.

* تهذيب الكمال، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

* تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، مصر.

* التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشهوان، دار الرشد بالرياض، طبعة ١٤١٨هـ.

* تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

* جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلِم، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.

* جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

* جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية)، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. علي حسن ناصر، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

* الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١

* حجة الوداع، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، المحقق: أبو صهيب الكرمي، الناشر: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ .

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

* الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢

* حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، د. سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

* خواطر حول الوهابية، المؤلف: محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار التوحيد للتراث، الإسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

* الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

* درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض طبعة ١٣٩١هـ

* الدعاء للطبراني، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣.

* دلائل النبوة. الأصبهاني. دار طيبة. الرياض. ١٤٠٩هـ.

* دلائل النبوة للبيهقي محققا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.

* ديوان ابن الفارض.

* ديوان البوصيري.

* ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. دار المعرفة بيروت.

* الرحيق المختوم، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري، الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

* الرد على الجهمية والزنادقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١

* الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

* رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا، الناشر: دار المنار، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م.

* رسائل في العقيدة للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

* الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني - جدة.

* الروح، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.

* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

* روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

* روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

* زاد المسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

* الزهد، اسم المؤلف: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، دار النشر: دار الريان للتراث - القاهرة - ١٤٠٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.

* الزهد الكبير للبيهقي، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

* الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦

* الزهد لأبي داود السجستاني، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

* الزهد، هناد بن سري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

* السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق سالم أحمد السلفي.

* السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

* السنة للخلال. دار الراية للنشر والتوزيع. الرياض.

* السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

* سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

* سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

* سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

* سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

* سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

* سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

* سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

* السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

* السنن الصغرى للنسائي (المجتبي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

* السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

* سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

* سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

* السيرة النبوية - ابن هشام - مكتبة المنار - الأردن - ١٤٠٦هـ.

* السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م.

* السيرة النبوية لابن إسحاق، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

* شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

* شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

* شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥

* شرح الشفا، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

* شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة١٣٩١هـ.

* شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان. مكتبة المعارف، الرياض.

* شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

* شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

* شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي ﷺ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار المحدث للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١

* شرح علل الترمذي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

* شرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

* شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.

* شرح معاني الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

* شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.

* الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى، مطابع الأشراف، لاهور.

* شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

* الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، الناشر: دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ.

* شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

* الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

* الصّارِمُ المُنْكِي في الرّدِّ على السُّبْكِي، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

* صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

* صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

* الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

* الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني، المحقق: مصطفى خضر دونمز التركي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م.

* طبقات الأولياء للشعراني.

* طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء، مير محمد كتب خانة، كراتشي.

* طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

* الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

* العجالة في الأحاديث المسلسلة، المؤلف: علم الدين أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي (المتوفى: ١٤١١هـ)، الناشر دار البصائر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥.

* عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه

ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة.

* عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي)، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود - حفظه الله -

* العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ضمن مجموع الفتاوى.

* العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

* عمل اليوم والليلة لابن السني، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت.

* عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ

* العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

* غاية الأماني في الرد على النبهاني، المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، المحقق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

* غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبعة ١٤٠٢هـ.

* الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، قدّم له وعرّف به حسين محمد مخلوف، دارالمعرفة، بيروت، لبنان.

* فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

* فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

* فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ.

* فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، للسخاوي، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي.

* الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

* فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

* الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

* فضائح الباطنية، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

* فضائل الصحابة، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

* فضل الصلاة على النبي ﷺ، المؤلف: القاضي أبو إسحاق إسماعيل ابن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧

* فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب، د. يوسف بن عبد الله الشبيلي، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية.

* الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

* الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

* فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد القادر الأرناؤط. ط الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء. الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

* القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

* القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن المستفاض، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

* القضاء والقدر، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

* القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الخالق، الناشر: دار القلم - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ .

* الكافي في فقه الإمام أحمد، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

* الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية١٤١٥هـ.

* الكامل في ضعفاء الرجال، اسم المؤلف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

* كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى، الناشر: دار الكتب العلمية.

* كشف الخفاء ومزيل اللباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله أبو طاهر القسطنطني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٣هـ.

* اللآلي البهية في شرح العقيدة الواسطية لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ -حفظه الله - .

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥

* لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

* المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

* مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

* المجموع شرح المهذب، للنووي. دار الفكر بيروت ١٩٩٧م.

* مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث)، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ). دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى بمصر، ١٣٤٩هـ النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء: ١

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.

* مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

* مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

* مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩

* مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله بن أحمد، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد بن سالم المصري، دار التأصيل - دار المودة، سنة النشر: ١٤٢٨ - ٢٠٠٨، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٣.

* مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، المؤلف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ.

* المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

* مسند ابن الجعد، الناشر: مؤسسة نادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ - ١٩٩٠.

* مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

* مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

* مسند أحمد بن حنبل - النسخة المحققة بإشراف شعيب الأرناؤط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.

* مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

* مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

* مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* المسوّدة في أصول الفقه، لآل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السّلام بن عبد الله بن الخضر، شهاب الدّين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السّلام، شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، جمعها وبيّضها شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمد الحرّاني الدّمشقي الحنبلي، حقّق أصوله وفصّله وضبط شكله وعلّق حواشيه محمد محي الدِّين، دار الكتاب العربي، بيروت.

* مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، طبعة دار الرسالة بيروت.

* مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

* مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

* مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

* المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

* المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

* المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

* معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة١٤٢٢هـ.

* معرفة الصحابة لأبي نعيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

* المغني لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

* مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١

* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.

* المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

* الملل والنحل، للشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

* المنتظم لأبي الفرج بن الجوزي، دار صادر، بيروت.

* منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

* موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المؤلف أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى.

* موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

* موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

* النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٨٦هـ.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

* نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام)، لابن حجر العسقلاني، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

* النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الناشر المكتبة العلمية، سنة النشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت، عدد الأجزاء ٥ .

* نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت.

* هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

* هذه مفاهيمنا لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

* الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

بيضاء

فَهْرَس المَوْضُوعَات

الموضوع | الصفحة

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ: (دَعْوَتُهُمْ النَّاسَ إِلَى الضَّلاَلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]) ٥

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّبْعُونَ: (دَعْوَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَى الكُفْرِ، مَعَ العِلْمِ؛ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]) ٥

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ وَالسَّبْعُونَ: (الْمَكْرُ الكُبَّارُ، كَفِعْلِ قَوْمِ نُوحٍ) ٨

الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ: (إِنَّ أَئِمَّتَهُم: إِمَّا عَالِمٌ فاجرٌ، وإِمَّا عابدٌ جاهلٌ) ١٨

الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ وَالسَّبْعُونَ: (دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ) ٢٩

الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ وَالسَّبْعُونَ: (دَعْوَاهُمْ مَحَبَّةَ اللهِ، مَعْ تَرْكِهِمْ شَرْعَهُ ٣٧

الْمَسأَلَةُ الثَّمَانُونَ: تَمَنِّيهِمْ الْأَمَانِيَّ الْكَاذِبَةَ) ٤٠

الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: (اتِّخَاذُ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ) ٥١

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّمَانُونَ: (اتِّخَاذُ آثَارِ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ كَمَا ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ) ٧٠

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّمَانُونَ: (اتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَى الْقُبُورِ. . .) ٨٠

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ: (اتِّخَاذُ الْقُبُورِ أَعْيَادًا) ٨٣

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: (الذَّبْحُ عِنْدَ الْقُبُورِ. . .) ٩٠
الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّمَانُونَ: (التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الْمُعَظَّمِينَ، كَدَارِ النَّدوَةِ، وَافْتِخَارِ مَنْ كَانَتْ تَحْتَ يَدَهُ بِذَلِكَ) ٩٣
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ حَتَّى التِّسْعِينَ: (الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، الاسْتِسْقاءُ بِالْأَنْواءِ، النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ) ١٠٤
الْمَسْأَلَةُ الْوَاحِدَةُ وَالتِّسْعُونَ: (إِنَّ أَجَلَّ فَضَائِلَهُمْ الْبَغْيُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِيهِ مَا ذَكَرَ) ١١٣
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ وَالتِّسْعُونَ: (إِنَّ أَجَلَّ فَضَائِلَهُمُ الفَخْرُ وَلَوْ بِحَقٍّ، فَنُهِيَ عَنْهُ) ١٢٠
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ وَالتِّسْعُونَ: (أَنَّ تَعَصُّبَ الْإِنْسَانِ لِطَائِفَتِهِ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَمْرٌ لاَبُدَّ مِنْهُ عَنْدَهُمْ، فَذَكَرَ اللهُ فِيهِ مَا ذَكَرَ) ١٢٣
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ وَالتِّسْعُونَ: (أَنَّ مِنْ دِينِهِمْ أَخْذَ الرَّجُلِ بِجَرِيمَةِ غَيْرِهِ. .) ١٣٩
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ وَالتِّسْعُونَ: (تَعْيِيرُ الرَّجُلِ بِمَا فِي غَيْرِهِ، فَقَالَ: أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. .) ١٤٧
الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ وَالتِّسْعُونَ : (الافْتِخَارُ بِوِلاَيَةِ البَيْتِ، فَذَمَّهُمْ اللهُ) ١٥٠
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ وَالتِّسْعُونَ: (الافْتِخَارُ بِكَوْنِهِمْ ذُرِّيَةَ الأَنْبِيَاءِ) ١٥٣
الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ وَالتِّسْعُونَ: (الافْتِخَارُ بِالصَّنَائِعِ، كَفِعْلِ أَهْلِ الرِّحْلَتَيْنِ عَلَى أَهْلِ الْحَرْثِ. .) ١٥٨
الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ وَالتِّسْعُونَ: (عَظَمَةُ الدُّنْيَا فِي قُلُوبِهِمْ. . .) ١٦٣

الْمَسْأَلَةُ الْمِائَةُ: (التَّحَكُّمُ عَلَى اللهِ، كَمَا فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ..) ١٦٨
الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (ازْدِرَاءُ الفُقَرَاءِ....) ١٧٠
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (رَمْيُهُمْ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ بِعَدَمِ الإِخْلاَصِ، وَطَلَبِ الدُّنْيَا...) ١٧٥
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْكُفْرُ بِالْمَلاَئِكَةِ..) ١٧٨
الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْكُفْرُ بِالرُّسُلِ..) ١٨٩
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْكُفْرُ بِالْكُتُبِ..) ١٩٣
الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْإِعْرَاضُ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللهِ..) ١٩٩
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْكُفْرُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..) ٢١٠
الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (التَّكْذِيبُ بِلِقَاءِ اللهِ.) ٢١٧
الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (التَّكْذِيبُ بِبَعْضِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ....) ٢٢١
الْمَسْأَلَةُ الْعَاشِرَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ: (قَتْلُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ..) ٢٢٧
الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْإِيمانُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، تَفْضِيلُ دِينِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ..) ٢٣٤
الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ وَالرَّابِعَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (لَبْسُ الْحَقِّ بِالبَاطِلِ، كِتْمَانُ الْحَقِّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ.) ٢٤٤
الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (قَاعِدَةُ الضَّلاَلِ، وَهِيَ: الْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) ٢٦٥

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (التَّنَاقُضُ الْوَاضِحُ، لِمَا كَذَّبُوا بِالْحَقِّ..) ٢٦٨
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْإِيمَانُ بِبَعْضِ الْمُنَزَّلِ دُونَ بَعْضٍ) ٢٧٦
الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (التَّفْرِيقُ بَيْنَ الرُّسُلِ..) ... ٢٨٠
الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (مُخَالَفَتُهُمْ فِيمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ..) ٢٩١
الْمَسْأَلَةُ الْعُشْرُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (دَعْوَاهُمْ اتِّبَاعَ السَّلَفِ مَعَ التَّصْرِيحِ بِمُخَالَفَتِهِمْ..) ٢٩٩
الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرَونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (صَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ..) ٣١٣
الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرَونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (مُوَدَّتُهُمْ الْكُفَرَ وَالْكَافِرِينَ..) ٣٢١
الْمَسَائِلُ: مِنْ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ إِلَى الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْعِيَافَةُ، وَالطَّرْقُ، وَالطِّيَرَةُ) ٣٤٥
الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرَونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (الْكَهَانَةُ..) ٣٦١
الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرَونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (التَّحَاكُمُ إِلَى الطَّاغُوتِ) ٣٧٥
الْمَسْأَلَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرَونَ بَعْدَ الْمِائَةِ: (وَكَرَاهَةُ التَّزْوِيجِ بَيْنَ الْعِيدَيْنِ..) ٤١١
فهرس المصادر والمراجع ٤١٣
فهرس الموضوعات ٤٤٧